



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

النقد الأدبي في كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق القيرواني

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي تخصص النقد المغربي القديم

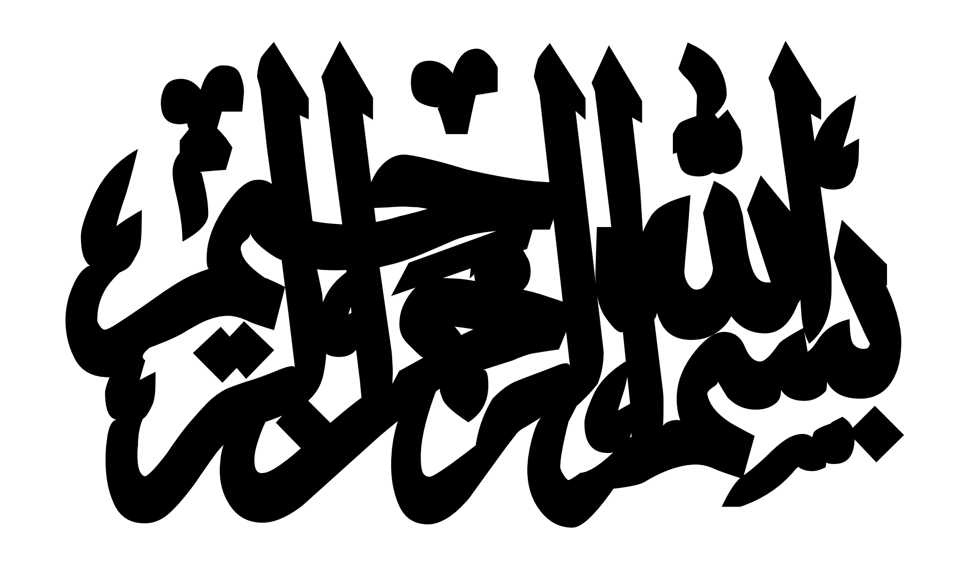
إعداد الطالب :

محمود بن راس

تحت إشراف :

الأستاذ الدكتور: عبد الحميد هيمة

الموسم الجامعي : 2013/2012


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والديّ الكريمين بارك الله تعالى في أنفاسهما أهدي هذا

العمل المتواضع بكثير من الحب و التقدير

أملا في رضاء الله المعلّق بهما

شكر وتقدير

في هذا المقام أجد نفسي أمام بحر من الودّ حباني به أساتذة وزملاء وأصدقاء كانوا مثل النّجوم للمهتدي و كالبّدور للمقتدي

كل الشكر لجميع معلميّ و أساتذتي من الصبا إلى اليفوع

كل الشكر و التقدير للسيد مدير جامعة ورقلة و لجميع الزّملاء الموظّفين بالجامعة

كل الشكر و التقدير للزملاء بكلية الحقوق و العلوم السياسية

كل التحية و التقدير لجميع أسرة قسم اللغة و الأدب العربي

أساتذتي الأفاضل ، السيّد العميد السابق ، السيد العميد الحالي و نوابه ، السيّد رئيس القسم و نوّابه .

تحية خاصّة لموظّفي مكتبة قسم اللّغة و الأدب العربي

شكر خاص

إلى من أكرمني الله بإشرافه على هذا البحث ، فكان

نعم الأب قبل المعلّم، و نعم المرشد قبل المشرف

الأستاذ الدكتور: عبد الحميد هيمة

أقول له إن ابنك محمود يشكرك و يقبّل رأسك

و يرجو رضاك ...رضى الوالد على ولده .

مقدمة

عرف المغرب الإسلامي في عصر الدولة الصنهاجية نهضة حضارية كبرى ضاهت في بريقها مثيلتها العباسية التي كانت في المشرق ، حتى عدّت القيروان حينها العاصمة الثانية في العالم العربي والإسلامي بعد بغداد ، و كانت هذه الثورة المغاربية نتاجا لتآلف خصوبة المنطقة مع الإرادة السياسية الرشيدة التي تمثلت في بُلُّكين بن زيري و بنيه من بعده خاصة المعزّ بن باديس و ابنَه تميم ، ثمّ إنّ هذه النهضة كانت قائمة على أكتاف الأبناء الأصليين لبلاد المغرب المسلمين المستعربين أي الأمازيغ الصنهاجيين ،كما أنّها شملت أغلب إقليم المغرب العربي ، و يشهد لهذه النهضة ذلك العددُ الهائل من العلماء و الفقهاء والحكماء والأدباء و الشعراء و الوزراء الذين امتلأ بهم بلاط الدولة الصنهاجية الذين اجتمعوا في تلك الفترة و لم يجتمعوا في فترات لاحقة من تاريخ المغرب الكبير و لا شكّ أن تقديم المغرب لعالم بحجم ابن أبي زيد القيرواني الذي لُقّب في ذلك الزّمن بمالك الصغير ، الذي كانت تيمم قوافل العلم صوبَه ، يعدّ كفاية لمعرفة حجم تلك النهضة.

أحصى المؤرخون في البلاط الأدبي لوحده في عصر الدولة الصنهاجية المئات من الشعراء الفحول المغاربة الأصليين مع عدد لا بأس به من شعراء الأندلس و عدد بسيط من المهاجرين المشارقة ، إضافة إلى عدد كبير من علماء اللغة والكتّاب و النقّاد ، و لا يُنكِر أحدٌ أن القاعدة التي انطلق منها الأدباء المغاربة كانت التراث المشرقيّ بكلّ ثرائه و تفاعلاته و مميزاته ، لكنّ المغاربة استطاعوا مع تراكم السنوات و الرغبة في تحقيق الذات ، أن يُعرِّفوا عن أنفسهم بأسلوب خاص عكس شخصيتهم وواقعهم و تجلّى ذلك في كتاباتهم و أشعارهم ونقدهم فشكلّوا بذلك مدرسة أدبية و نقدية خاصة بهم ، مطبوعة بفكرهم ، و مرقونة بمنطقهم ، تحمل تاريخهم و مناخهم و عقليّتهم ، رغم أصالتهم و امتدادهم اللغوي و الدّيني الموصول بين العالمين المشرقي و المغربي ، الذي ليس هناك من فرق بينهما أصلا إلا في الجغرافيا.

كل هذه المعطيات دفعت ابن رشيق هذا العلَم الفذّ الجزائري مولدا و منشأً والقيرواني إقامةً بعد ذلك إلى تأليف كتابه المسمّى أنموذج الزمان في شعراء القيروان، حاول فيه جمع عدد كبير من شعراء البلاط الصنهاجي و ما حوله ، هذا الكتاب على أهميته لما اشتمل عليه من مادة تاريخية وأدبية و نقدية لم يحض بالاهتمام الكافي من الدراسة و التحليل ، مثلما عرفته كتب ابن رشيق الأخرى

مثل العمدة و قراضة الذهب وهذا لكثير من المعطيات والملابسات التي عرفها هذا الكتاب ، حيث إنه ظلّ مفقودا إلى فترة غير بعيدة أين أعاد بعض الباحثين لملمة نصوصه من بطون المصادر و جمْعِها في موْضع واحد ، الأمر الذي دفعني إلى محاولة نفض الغبار عن هذا السِفْر النفيس و تحقيق و تدقيق النظر فيه ومحاولة استخراج الفكر النقدي الذي يكتنزه .

يعدّ ابن رشيق من أوائل النقاد المغاربة الذين بدؤوا مسيرة النقد المغربي والأوحد الذي وصلتنا أهمّ كتبه النقدية كاملة في تلك الفترة المتقدّمة خاصّة ، وهو كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" ، الذي قال فيه ابن خلدون " لم يؤلف قبلَه ولا بعدَه مثلُه" وهذا لما اشتمل عليه من فكر نقدي رصين جعل كتابه فعلا عمدة للنقّاد في المشرق والمغرب، الأمرُ الذي جعل الباحثين ينكبّون عليه دراسة وبحثا بشكل حجب قدر بقيّة كتبه، خاصّة كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان الذي و إن كان كتابا في أصله في التراجم و السّير إلا أنّه لا يخلو من مادة أدبية و نقدية غزيرة على خلاف الكثير من كتب التراجم الأخرى التي تركز على الجانب التاريخيّ في معزل عن الفقه الأدبي أو الحكمة من الترجمة بما يخدم الأهداف الأدبية و النقدية ، أو يخدم الباحثين عن الذوق الأدبي العالي أو تمييزه على الأقلّ و هذا يعتبر من صميم فقه الكتابة الذي نجده في كتابات ابن رشيق عموما ، و هذا الفقه كان نتيجة حتمية لحجم مؤلِّف كتاب الأنموذج وقيمته الرفيعة بين نقّاد الأدب والشّعر خاصة ، الأمر الذي يجعل كل إشارة مباشرة أو غير مباشرة منه تومئ إلى أحكام نقدية بمنطوق اللفظ و بمفهومه، هذا الإيمان جعلني أتخّذ كتاب الأنموذج موضوعا للدراسة والبحث النقدي ، و هذا بعنوان :

" النقد الأدبي في كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق القيرواني ".

الإشكالية:

في هذا البحث أعالج الإشكالية التالية :

هل يمكن اعتبار كتاب الأنموذج كتاب أدب ونقد كما هو كتاب تراجم و سير ؟؟؟ وبحث هذه الإشكالية يحقّق لنا مقصِدا هاما وهو مغربيةُ النقد حقيقةً ، أي مادة و منهجا _ و هي الفكرة التي يدعو إليها بعض النقاد المعاصرين _ و ذلك لأنّ أعلامه مغاربة ونصوصهم مغربية اللفظ

و الهوى والفكر، و نقد ابن رشيق من دون شكّ لن يلغيَ هذه الاعتبارات والخصائص ، ويمكن أن ندرج تحت هذه الإشكالية المحورية بعض التساؤلات الفرعية منها :

أولا: هل وُفِّق ابن رشيق في تطبيق المفاهيم النظرية التي قرّرها في كتابيه العمدة و القراضة على النّصوص و الشعراء الذين ترجم لهم في الأنموذج ؟؟؟

ثانيا : هل تعدّ الأحكام التي أصدرها ابن رشيق على النصوص و الشخصيات في الأنموذج أحكاما انطباعية فقط أو علمية مؤسّسة ؟؟؟

ثالثا: هل يظهر منهج التأليف و النقد، بشكل واضح عند ابن رشيق في هذا الكتاب ، وما هي مصادر ابن رشيق في كتابه هذا و ما هي العوامل المؤثرة في تأليفه مادّة ومنهجا؟؟؟

وغيرها من الأسئلة الكثيرة التي تخدم في مجملها السؤال الرئيس في هذا البحث، و عليه سأحاول استخراج كل القضايا والأحكام النقدية و استكشاف الفكر النقدي الذي يقدّمه ابن رشيق من خلال هذا السفر النفيس ، و محاولة تحديد الملامح العامة التي تميّز الخطاب النقدي لابن رشيق .

المنهج :

و قصد معالجة هذه الإشكالية رأيت أنّه من الناجع اعتماد آلتي الوصف و التحليل من ناحية الشكل والمحتوى ، ذلك لأن الدّراسة تتناول مدوّنة محدّدةً لذلك فستكون البداية بالتحليل الشكلي في الدرجة الأولى ، و دراسة أهمّ القضايا المتعلّقة بالإطار العام و الجوانب النظرية الخاصة بالمدونة ، معتمدا في ذلك الوصف و التحليل ، و كذا البحث التاريخي فيما يخص ترجمة المؤلف و التعريف بالمدوّنة و بعض المواضع الأخرى حسب الحاجة ، إضافة إلى نهج تحليل المحتوى في الدرجة الثانية فيما يتعلّق بدراسة الأفكار و الاتجاهات والمسائل الأدبية و النّقدية التي تحتويها المدوّنة مستعملا أدوات الاستقراء والتحليل والتأويل في تناول هذا الموضوع ، مستعينا في ذلك بالسبر و التقسيم ، حيث جمعت كل القضايا المشتركة المتناثرة في ثنايا الكتاب ، ملحقا الأشباه بالنظائر وحاولت شرحها مجتمعة بعد تحليلها مفرّقة قصد الخروج بنتائج مجملة عن مختلف القضايا النقدية بما يكون مقاربا لتوجّه ابن رشيق ومنهجه في كتابه حسب قراءتي .

أسباب اختيار الموضوع :

هناك أسباب عدّة دفعتني لاختيار هذا الموضوع منها :

أولا : ما يرتبط بكتاب الأنموذج .

حيث أنّي بعد مطالعة هذا الكتاب اكتشفت أنه يحوي صنعة نقدية كبيرة قمينة بالكشف والإظهار خاصة و أن الكتاب أساسا في التراجم ، لكنّ ابن رشيق ترجم للشعراء بعقلية النّاقد تماما كما يترجم علماء نقد الحديث النبوي لرجال السند بما يخدمهم في معرفة صحة نسبة الأثر إلى صاحبه ، كذلك ابن رشيق ترجم للشعراء بالقدر الذي يخدم الأدب ، فوجدت نفسي مشدودا لكشف هذا المنهج ، ثم إن هذا الكتاب ضروري لفهم شخصية ابن رشيق الناقد في ضوء كل مؤلفاته المتاحة على الأقل .

ثانيا : ما يرتبط بالدراسات التي تناولت هذا الموضوع ، حيث نلحظ قلة الدراسات المتخصصة في مجال النقد المغربي القديم رغم وجود المادة الأدبية والعلمية عموما و المتعلقة بابن رشيق على وجه خاص ، فأردت أن أسهم و لو بقسط بسيط في الإشارة إلى مدى أهمية البحث في هذا المجال لما يكتسيه من أهمية علمية وأدبية وحضارية تخدم الأدب المغربي والعربي و العالمي .

ثالثا :

يضاف إلى ما سبق ، أن هذا الموضوع بهذه الإشكالية لم يطرح من قبل في حدود ما توصلت إليه ، ما بعث في نفسي حافزا قويا لبحثه بعمق ، خاصة و أنه يهتم بأهم شخصية ناقدة في المغرب العربي كما أن مثل هذه المدونات في أصل منهج تأليفها ليس الغرض منها تقديم مادة أدبية أو نقدية و إنما الهدف تقديم مادة تاريخية ، فأن تشتمل على مادة نقدية بين صفحاتها فهذا الملفت للانتباه الذي يستفز الباحثين لكشفه و تبيينه .

أهمية الموضوع :

يكتسي الموضوع حسب نظري أهمية كبيرة و هذا لكثير من الأسباب ، أهمها :

السبب الأول :

يعد ابن رشيق العلم الأبرز و الأهم في الأزمنة الأولى لتبلور الأدب و النقد في المغرب العربي، إذ يمكننا أن نعتبره من المؤسسين ، رغم منهجية تأليفه و تفكيره التي لا تختلف كثيرا عن العقلية المشرقية ، لكن نظرا لزمن و ظروف و ملابسات تلك الفترة ، يجعلنا نسلم لما هو بين أيدينا على ما هو عليه ، و تبقى الأهمية كامنة في محاولة الكشف و الربط بين هذه المعطيات و التراث العلمي الذي خلفه ابن رشيق .

السبب الثاني :

يعتبر كتاب الأنموذج مصدرا أصيلا جدّا و ضاربا في عمق الزمن في الترجمة لأعلام المغرب العربي ، إذ يمكن أن نعدّه تقريبا أقدم معجم متخصص ألّف في هذا القطر من العالم العربي ، ونلمس هذا من خلال العديد من التراجم للأعلام التي لا نجدها في غيره - رغم أنه متوسط الحجم- ، و إن وجدناها ، فمنقولة من أنموذج ابن رشيق ، فكثرة الاقتباسات من الأنموذج كما هو الحال مثلا في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ، أو تحفة القادم لابن الأبار أو كتاب ترتيب المدارك و تقريب المسالك للقاضي عياض ، كل هذه الاقتباسات التي نجدها في مثل هذه المصادر تبيّن لنا مدى أهمية هذا الكتاب و أنه مصدر في بابه ، فكيف إذا علمنا أنه ليس مصدرا في التراجم فقط، بل في الأدب و النقد كذلك .

السبب الثالث :

يقدم لنا ابن رشيق فكرا مهما في منهجية التأليف الهادف ، حيث أن الأنمودج يقدم لنا تراجم مختصرة مفيدة بالقدر الذي يطلعنا على أهمية الكاتب و مرتبته من غير تطويل ولا تقصير ، ونحن في هذا الزمن رغم بعد المسافة بيننا و بينه أحوج ما نكون إلى مثل هذا الاقتصاد في المعرفة ، والبعد عن الحشو أو التطويل في غير محله الذي يجعل الوصول إلى الهدف شاقا و مملا و يحتاج الكثير من العناء و التفكير والنظر .

هذا إلى جانب الكثير من الأسباب الأخرى التي توقفنا على أهمية هذا الموضوع لكن نكتفي بما ذكر.

أهداف الموضوع :

و سعيت من خلال هذه الدراسة انطلاقا من إشكاليتها إلى محاولة الكشف عن الفكر النقدي لدى ابن رشيق بكل مكوناته المنهجية و الإيديولوجية والأسلوبية والتعبيرية ، و محاولة ربط مختلف العلاقات الممكنة و المؤثرة في تأليف هذا الفكر النقدي أولا ثم تأليف الأنموذج في المرتبة الثانية.

إضافة إلى ذلك يهدف البحث إلى تبيين مرتبة كتاب الأنموذج في تراث ابن رشيق أولا ، ثم إلى تبيين مرتبته في التراث الأدبي عموما خصوصا في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ الأدب العربي في المغرب .

كما يسعى الباحث كذلك إلى تبيين كيفية تعامل ابن رشيق القيرواني في أنمودجه مع أهم القضايا و المسائل النقدية و الأدبية ، إضافة إلى منهجية تعامله مع أقرانه و طبقته من الشعراء والنقاد.

الدراسات السابقة :

يعتبر كتاب أنموذج الزمان في الحقيقة كتابا مفقودا ، لكننا نملك منه جزءً مهما جمعه بعض الأساتذة ، لذلك كانت الدراسات فيه قليلة، عثرت منها على مجهوديْن معتبريْن عبارة عن مذكرتيْ ماجستير الأولى نوقشت في جامعة باتنة بالجزائر عن أدباء المغرب الأوسط من خلال كتاب الأنموذج، و هذه الدراسة كما هو جلي من العنوان اهتمت بالمسائل الأدبية المتمثلة في أغراض الشعر و مراتبه وفنونه على حسب ما ورد في كتاب الأنموذج ، والثانية نوقشت بجامعة وهران بالجزائر كذلك عن النقد التطبيقي لدى ابن رشيق من خلال كتاب الأنموذج، هذه الأخيرة رغم قربها من موضوع بحثي إلا أنها تختلف معه من حيث التصور و العمق والمنهج ثم إن صاحبتها أطالت النفس في تقرير قضايا نظرية ثابتة أصلا خارج كتاب الأنموذج و هذا على حساب المطلوب المتمثل في استخراج الفكر النقدي الذي يخبؤه كتاب الأنموذج في طيات أوراقه حيث أنها مثلا تعرضت في القضايا النقدية لدى الأنموذج لقضيتي الطبع و الصنعة و اللفظ و المعنى فقط ، في الوقت الذي نجد في الأنمودج الكثير من القضايا النقدية الأخرى مثل السرقات الأدبية و النقد الأخلاقي و قضية الذوق الأدبي والمعايير النقدية و شروط الشاعر و الناقد و غير ذلك ، لكن هذا لا ينقص من قيمة البحث شيئا بل يحسب لصاحبته فضل السبق و الجرأة في خوض غمار مثل هذه البحوث التأويلية .

أما الدراسات عن ابن رشيق عموما فكثيرة يعجز العد في إحصائها ، لعل من أهمها رسالة الماجستير للباحث الشيخ بوقربة التي نوقشت بجامعة دمشق و غيرها من الكثير من الدراسات الأكاديمية التي تناولت ابن رشيق أو أحد كتبه بالدراسة الأدبية أو النقدية .

خطة البحث :

وقصد إنجاز هذا الموضوع وضعت خطة تتكون من تمهيد و فصلين ، التمهيد تناولت فيه مدخلا عاما إلى النقد المغربي في عهد الصنهاجيين مع أخذ نظرة مجملة عن الحياة السياسية والاجتماعية و الثقافية في تلك المرحلة .

أما الفصل الأول : فهو عبارة عن تعريف بالمؤلِّف و المؤلف حاولت إيجازه قدر المستطاع بحيث ركزت فقط على أهم المسائل المساعدة في إنجاز المطلوب ، لذلك تناولت فيه ما يلي:

التعريف بابن رشيق المسيلي القيرواني و ثقافته مختتما الفصل بالتعريف بكتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان الذي خصصت له حيزا أكبر مما سبق .

أما الفصل الثاني : فهو الفصل الأساسي في البحث و هو الذي تناولت فيه القضايا النقدية في كتاب أنموذج الزمان ، و من ثم جاء كالتالي :

- المبحث الأول تناولت فيه قضايا الإبداع الأدبي الذي يناقش قضايا السرقات الشعرية والطبع و الصنعة و القديم و الجديد و اللفظ و المعنى.
- المبحث الثاني تناولت فيه قضايا النقد اللغوي و الفكري الذي يناقش قضايا النقد اللغوي والفني و النقد الديني أما البحث الثالث فعرضت فيه بعض الظواهر النقدية الخاصة بكتب التراجم والطبقات مثل مقاييس نقد الشعراء و تصنيفهم ، و طبقات الشعراء إضافة إلى بعض تقاليد الأدب و النقد.

و ذيلت البحث بخاتمة أوردت فيها أهم النتائج المتوصل إليها .

و أهم ما اعترضني في البحث هو هواجس الوقوع في مغب سطحية الطرح و المرور بهامش المقصود ، خاصة لمّاّ يتعلق الأمر ببحث كهذا يبحث في النقد من خلال مدونة ليست للنقد أصالة .

و في ختام هذا التقديم أجدد شكري لمشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الحميد هيمة ، و لكل من قدّم لي يد العون لإتمام هذا العمل المتواضع .

محمود بن محمد بن راس

ليلة الأربعاء 18 ربيع الأول 1435هـ

الموافق لـ 21 جانفي 2014م

تمهيد : المغرب الإسلامي في عهد الصنهاجيين

قبل الشروع في استخراج ما استودعه ابن رشيق من فكر نقدي في كتابه أنموذج الزمان في شعراء القيروان ،لا بدّ من من توطئة المجال لذلك من خلال إطلالة على الحيّز الزماني و المكاني بكل معطياته السياسية و الاجتماعية و الفكرية التي عاش فيها هذا العلَم، فلقد عرف المغرب الإسلامي بتولي الصنهاجيين لزمام الحكم فيه ثورة كبيرة انعكست بشكل إيجابي على واقع الفكر و المجتمع في تلك المرحلة ، خاصة و أن دولة الصنهاجيين عرفت استقلالا سياسيا وايدولوجيا إلى حد كبير ، خاصة و أن الصنهاجيين هم أدرى الناس بخصوصية تلك المنطقة لانحدارهم من أمازيغ المغرب الأوسط ، و فيما يلي تفصيل لواقع الحياة السياسية و الاجتماعية والثقافية في دولة الصنهاجيين .

- الحياة السياسية و الاجتماعية و الثقافية في عهد الصنهاجيين

أولا : الحياة السياسية

بدأ ذكر الزيريين في منطقة المغرب العربي مع زيري بن مناد الصنهاجي الذي كان فارسا مقداما قلّده المعز لدين الله الفاطمي سيف الولاية على قومه و استعمله في أهم حروبه و غزواته فأبلى البلاء الحسن ما أدّى بالخليفة المعزّ الفاطمي إلى إطلاق يد زيري بن منّاد على المنطقة بالتوسّع في الملك و الولايات ، لكن ما لبث زيري أن قُتِل في إحدى المعارك مع القبائل الزناتية سنة(360هـ،971م) [1] فولّى المعز بعده ابنه بلّكين كلَّ ما كان أبوه مكلّفا به[2]، و لم يكن بلّكين أقل شجاعة وإقداما و دهاء من أبيه ، و في عهده اكتملت سيطرت الصنهاجيين على المغرب كله تقريبا ، إذ توجّه المعز الفاطمي إلى القاهرة سنة(361هـ) ، لكن بلّكين كان لا يزال مواليا في سياسته للمعزّ الفاطمي رغم أنه ليس متشيّعا و لا المجتمع المغاربي كذلك[3] ، و بعد حكم امتد لثلاثة عشر سنة توفي بلّكين في مدينة ورقلة[4] الجزائرية سنة (373هـ) و هو في طريقه إلى سجلماسة ، و كان قد أوصى بالخلافة لابنه المنصور [5]، الذي اشتهر عنه قوله: أنّ أباه و جدّه كانا "يأخذان الناس بالسيف و أنا لا آخذهم إلا بالإحسان"[6] لذلك فملكه لم يعرف كثير القلاقل مثل أبيه وجده ، توفي المنصور سنة (386هـ) بعد ثلاث عشرة سنة من الحكم[7] ، فتولى الحكم من بعده ولي عهده

1)- عبد الرحمن بن خلدون ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(المعروف بتاريخ ابن خلدون) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2001م ، 205/6 .

2)- عبد الرحمن بن خلدون ، التاريخ ، 205/6 .

3)- المصدر نفسه ، 205/6 .

4)- المصدر نفسه ، 206/6 ، و ذكرها ابن الأثير باسم وارقلين ، انظر الكامل في التاريخ ، دار الفكر العالمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1978م، 414/7 .

و في وفيات الأعيان: واركلان ، ينظر: شمس الدين أحمد ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، 286/1 ، و ذكرت بأسامي أخرى في عدة مصادر .

5)- ابن الأثير، الكامل 414/7 .

6)- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1983م ، 239/1 .

7)- ابن خلدون ، التاريخ 207/7 .

ابنه باديس[1] ، وعرفت منطقة المغرب الإسلامي في عهده تطورا كبيرا إذ بنيت في عهده قلعة بني حماد على يد عمه حماد بن بلّكّين الذي أعلن استقلاله فيما بعد و كان أول من أعلن القطيعة مع الفاطميين التي كانت في عهد الزيريين رمزية تقريبا و أعلن الولاء للعباسيين[2]، فعزم باديس على محاربته لتمرده و استقلاله بالملك لكن الموت فاجأه في إحدى معسكراته في حربه تلك فاتفق الجند على مبايعة ابنه المعز سنة (406هـ) و هو ابن ثماني سنوات و كان نائبا له و قائم حكمه ابن عنه كرامة بن المنصور[3] ، وأهم ما عرفته المنطقة في عهده الصلح بينه و بين حماد بن بلكين ، إذ كان المعز ينزع نحو العلم والمعرفة دون الحرب و القتل ، مما أدخل المغرب في حالة من الاستقرار كان سببا في الازدهار على الكثير من الأصعدة[4]، و في عهده اكتملت القطيعة بين الصنهاجيين و الفاطميين بعد أن أعلن المعزّ الولاء للعباسيين[5] ، لكن ما لبث الفاطميون أن ألّبوا القبائل الهلالية على الصنهاجيين فهاجموا المغرب بوحشية ما تسبب في خراب كبير لحواضر مهمة كالقيروان و انحصر ملك الصنهاجيين في الساحل من المغرب الإسلامي ، توفي المعز بعد حكم دام ثمانية و أربعين عاما ، فخلفه ابنه تميم سنة (454هـ) [6] ، فسار على نفس نهج والده و خلفه بعده ابنه يحيى سنة (497هـ) [7] ثم علي بن يحيى سنة (509هـ) [8] ثم أبو يحيى الحسن بن علي سنة(515هـ) [9] لكن دولته عرفت الكثير من التمرد من السلاطين ما أدى إلى ضعف الدولة فتكالب عليها النورمان و الفرنجة حتى سقطت تماما سنة (543هـ) ، بعد حكم دام قرنين من الزمن شمل كل المغرب الإسلامي تقريبا[10] .

---

1)- ابن خلدون ، التاريخ 208/7.
2)- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب239/1 و ما بعدها .
3)- المصدر نفسه 267/1 .
4)- عبد الرحمن بن خلدون ، التاريخ 208/6- 214 .
5)- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب 267/1.
6)- المصدر نفسه 279/1 .
7)- ابن خلكان ، وفيات الأعيان 211/6 .
8)- المصدر نفسه 215/6 .
9)- المصدر نفسه 217/6 .
10)- المصدر نفسه 217/6 .

ثانيا : الحياة الاجتماعية

إن أول ما يبادرنا في الدولة الصنهاجية هو قيامها على أساس عصبي انحصر في قبيلة صنهاجة ، و أدى ذلك إلى صراع طويل مع القبيلتين الأخرتين زناتة و كتامة بتأليب من الفاطميين في مصر أو الأمويين في الأندلس[1]، و رغم ذلك فإن بلاد المغرب الإسلامي في عهد الزيريين عرفت ازدهارا و رخاء كبيرين لكثير من الأسباب منها :

- أن الملوك الصنهاجيين لم يكونوا جبابرة مستبدين ، لأنهم كانوا يحكمون أنفسهم و قبائلهم المنتمين إليها ، إضافة إلى اشتهارهم بالعلم و المعرفة .
- طبيعة القبائل الأمازيغية في المغرب الرافضة للاستبداد إذ ما يلبثون أن يخلعوا ملكا متى ما اشتهر بذلك .
- يضاف إليه خصوبة الأراضي المغاربية ووفرة المحاصيل الزراعية و الموارد الإقتصادية ما عاد على المجتمع بشكل مباشر فتمتع سكان الأرياف بطيبات الرزق ووفرة الغلال و شاركهم في ذلك سكان الحواضر فتمتعوا برخاء العيش و كثرة المال و انتشار الحرف [2]، و ساهم ذلك كذلك في امتلاء خزائن الدولة فاجتمع لدى السلاطين مالا يحصى من الثروة ، فابتنوا القصور وافتنوا في إتقانها و تجميلها بالنقوش و الزخارف الإسلامية ، و ملؤا جنباتها بالعبيد و الإماء و لعلّ قصرا مثل قصر المنصورية بصبرة شاهد على ذلك فلقد كان أعجوبة الدنيا [3].

و بلغ بذخ السلاطين في تلك الفترة قدرا جعل كتب التراجم و الطبقات تعج بحكاياتهم، إذ قيل أن بلّكين بن زيري كان له اربعمائة حظية ، و أن البشائر وفدت عليه في

1)- الشيخ بوقربة ، المنهج النقدي عند ابن رشيق القيرواني ، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الراقنة ، جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، 1987 ، ص 19 .

2)- حسن حسني عبد الوهاب ، بساط العقيق في حضارة القيروان و شاعرها ابن رشيق ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون ـ بيت الحكمة ـ ط3 ، 2009م ، ص 13 .

3)- حسن حسني عبد الوهاب ، بساط العقيق ص27 ، و انظر إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: 453هـ) ، زهر الآداب وثمر الألباب ، دار الجيل، بيروت، 233/1 ، 816/3 .

يوم واحد بميلاد سبعة عشر ولدا [1] ، و قرّب السلاطين الشعراء و المطربين و القيان واشتهر المجان و دور اللهو و الغناء ، إلى جانب ذلك كانت تعيش طبقة من الزهاد والمتعبدين و العلماء و الكتاب و الوراقين[2].

إذن فالثراء الواسع و البذخ الكبير هو الذي أدى إلى ظهور تلك الصور المتقابلة في المجتمع التي كانت مؤثرة جدا في الحياة السياسية و الفكرية ، فالتنوع الكبير في المظاهر الاجتماعية الإيجابية والسلبية ، يعد مؤشرا على التحول الحضاري الكبير في مجتمع المغرب الإسلامي ، شأنه في ذلك شأن ما يحدث في الكثير من المجتمعات الهجينة التي عرفتها البشرية قديما و حديثا .

ثالثا : الحياة الثقافية و الفكرية

كان من لوازم ازدهار الحياة الاجتماعية في المغرب الإسلامي في عهد الصنهاجيين انتعاش الحياة الفكرية ، إذ ظهرت معالم الحضارة ، و استحكم العمران ، و عرفت الدولة علاقات علمية كبيرة مع الشرق و الأندلس و غيرهما ، و من أهم أسباب هذه النهضة العظيمة هي سياسية الأمراء الصنهاجيين خصوصا المعز بن باديس و ابنه تميم إذ يقول ابن خلكان في الأول : " وكان ملكاً جليلاً عالي الهمة، محباً لأهل العلم كثير العطاء، وكان واسطة عقد بيته ومدحه الشعراء وانتجعه الأدباء"[3] ، و قال فيه ابن عذارى: " و لم يكن أحد في زمانه أشد منه بأسا في الملاحم ، و لا أطول يدا بالمكارم ، و لا أعنى بلسان العرب ، و لا أحنى على أهل الأدب"[4] ، و قال ابن خلكان في تميم : "كان محبا للعلماء ، معظما لأرباب الفضائل ، حتى قصدته الشعراء من الآفاق على بعد الدار كابن السراج الدوري الصوري و أنظاره"[5] ، و لم يكن بقية الأمراء الصنهاجيين بأقل مكانة

1)- ابن خلكان ، وفيات الأعيان 287/1 .

2)- محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ط1 ، 446/2 .

3)- ابن خلكان ، وفيات الأعيان 233/2 .

4)- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب 367/1 .

5)- ابن خلكان ، وفيات الأعيان 304/1 .

وقدرا منهما لكنهما يمثلان الدرة اليتيمة في العقد في غرة ذلك العصر و في كل عصر كما قال حسن عبد الوهاب[1] .

و قصد القيروان في هذه الفترة الناس من كل حدب و صوب للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو طلبا للعلم و المعرفة فالتقى فيها الحجازي و الشامي و اليمني و العراقي و المصري و الأندلسي والسوداني و الصقلي و غيرهم مما لا يدخل تحت الحصر ، إذ أصبحت رابعة الأمصار العربية إلى جانب الكوفة و دمشق و بغداد [2] ، و الأهم من ذلك أن القيروان كانت عاصمة فقط لمجموعة من الحواضر العلمية مثل المهدية و تيهرت و بجاية و قابس و تلمسان و فاس و غيرها [3].

و اجتمع في هذه الفترة في المغرب الإسلامي من فضلاء العلماء و الفقهاء و الفلاسفة والأطباء و الكتاب و الشعراء و اللغويين و غيرهم ما لم يجتمع في غيرها من الأزمان ففي الفقه مثلا عرفت علماء مثل ابن أبي زيد القيرواني الذي لقب بمالك الصغير[4] ، و سحنون صاحب مدونة مالك الذي عد العلماء الذين تتلمذوا عليه بنحو سبعمائة [5]، و غيرهم كثيرون .

و من علماء اللغة و النحو عرف المغرب الكثير كذلك مثل الطرماح وعياض بن عوانة وإبراهيم المهري و أحمد بن أبي الأسود وحمدون النحوي و القزاز القيرواني و غيرهم كثير [6]، أما علماء الأدب والنقد فلقد اجتمعت مجموعة من النقاد الذين شح الزمن بولادة مثلهم مثل عبد الكريم النهشلي و ابن شرف و الحصري و القزاز و رئيسهم ابن رشيق القيرواني .

أما الشعراء فلقد ازدحموا في البلاط الصنهاجي خاصة مع إكرام الأمراء الصنهاجيين لهم وتشجيعهم على القول و يكفي ما جمعه ابن رشيق منهم .

---

1)- حسن حسني عبد الوهاب ، بساط العقيق ص 14 .
2)- المصدر نفسه ص 14 .
3)- المصدر نفسه ص 14 .
4)- أبو إسحاق الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، تهذيب محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تح: إحسان عباس ، ط1 ، 1970 م ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، ص 160 .
5)- ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ، 37/2 .
6)- الشيخ بوقربة ، المنهج النقدي ، ص 25 .

أما النثر فقد ازدهر في هذا العصر ازدهارا كبيرا ، وذلك بسبب عناية أمراء بني زيري بالأدب و الأدباء، فكانت للكتابة عندهم منزلة ليس وراءها إلا منزلة أمراء الجيش ، إذ كانوا هم العمدة يتناول إنشاؤهم التهنيئات بالنصر ، و تقليد الوظائف و مكاتبات العمال والأمراء و الملوك [1]، حتى أصبح الكتاب ظاهرة في البلاط و الدولة الصنهاجية و اشتهروا أفرادا و جماعات و عائلات فكانوا طبقة مميزة في المجتمع المغاربي كما سنرى لاحقا في الفصل الثاني .

يضاف إلى ما سبق أن بلاد المغرب الإسلامي عرفت بعض الفرق و المذاهب الإسلامية التي عاشت في فترات مشتركة و مختلفة فعرفت الخوارج و الشيعة و المعتزلة و الأشاعرة و الإباضية والمالكية و الحنفية و مذهب الأوزاعي ، هذا التنوع و الاختلاف سبّب تفاعلا تجلّى فيما قام بين هذه الفرق و المذاهب من المناظرات العلمية و مجالس الجدل و النقاش في مختلف الأماكن و المنتديات و تبلور ذلك في التأليف و الإبداع الأدبي و الشعري عموما و في الإنتاج النقدي خصوصا و في إسهام ابن رشيق بصفة أخص [2] .

1)- المصدر نفسه ، ص 25 .

2)- ابن عذارى ، البيان المغرب ، 367/1 و ما بعدها .

- النقد الأدبي في المغرب في عهد الصنهاجيين

عرفت الحركة النقدية في عهد الصنهاجيين ازدهارا كبيرا تبعا للديناميكية العامة لواقع الفكر والثقافة في المغرب الإسلامي في تلك الفترة و كثرة الشعراء مع توفر علماء اللغة و الأدب يعني تفاعل نقدي كبير و هذا الذي كان ، حيث يمكننا اعتبار أن مبدأ الحركة النقدية في خصوص المغرب الإسلامي بدأت منذ تلك الفترة أو قبلها بقليل ، أو لنقل على الأقل أن أوائل ما وصلنا من تراث نقدي مغربي يعود إلى ذلك العهد .

و قاد هذه الحركة النقدية أعلام أفذاذ في الأدب و نقده من أهمهم ، ابن ميخائيل الحسين القرشي الذي" كان شديد الانتقاد على مذهب قدامة بن جعفر" كما يقول ابن رشيق [1] ، وأبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي في كتابه "الممتع في علم الشعر و عمله" ، و القزاز القيرواني في كتابه ما يجوز للشاعر في الضرورة ، وابن شرف القيرواني الذي ألّف رسالة "مسائل الانتقاد" و أبي طاهر التجيبي في كتابه الرائق بأزهار الحدائق ، و أبو إسحاق الحصري في كتابه زهر الآداب و ثمر الألباب و كتاب جمع الجواهر في الملح و النوادر، و أبو الحسن بن رشيق الذي يعتبر أهم علم على الإطلاق في تلك المرحلة التي يمكن اعتبارها تأسيسية للنقد المغربي و ذلك من خلال كتبه العمدة في صناعة الشعر و نقده وكتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، وكتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، و غيرهم كثير ممن وصلتنا و من لم تصلنا كتبه[2].

و السمة الظاهرة على واقع النقد في تلك المرحلة في ذلك الإقليم أنّ منهج التأليف كان مختلفا بين هؤلاء النقاد و طبيعة ممارسة النقد كذلك تختلف للأسباب التاريخية المنطقية ، و يظهر كذلك في

1)- الحسن بن رشيق ، أنموذج الزمان في شعراء القيروان ،تح: محمد العروسي المطوي و بشير البكوش ، الدار التونسية للنشر -تونس- و المؤسسة الوطنية للكتاب _الجزائر_1986م ، ص 375 ، 376 .

2)- بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، المكتبة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص 35 و ما بعدها ، و محمد مرتاض ، النقد الأدبي في المغرب الإسلامي ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2000م ، ص 23 .

الفكر النقدي في تلك الفترة التأثر بالفكر الديني خاصة بمنهج تفكير و تأليف علماء الحديث النبوي و لا غرابة ما دمنا نعتبرهم السباقين في التأليف في الفكر الإسلامي عموما على الأقل ، كما نلاحظ كذلك أن اغلب القضايا التي ناقشها نقاد المغرب الإسلامي الأوائل هي نفسها القضايا التي كانت تشغل الفكر النقدي العربي عموما مع استحضار خصوصيات كل منطقة وكل ناقد سواء كان مشرقيا أو مغربيا ، لذلك نجد أن نقاد المغرب استفادوا مما وصلهم من الفكر النقدي المشرقي الذي يعتبر الأسبق و الأصل الذي انطلق منه المغاربة [1]، و يظهر هذا بشكل كبير من خلال تردّد كتب وأسماء مشرقية كثيرة مثل الأصمعي و كتابه فحولة الشعراء أو ابن سلام الجمحي و كتابه طبقات فحول الشعراء ، أو الجاحظ و كتبه المختلفة ، أو ابن قتيبة و كتابه الشعر و الشعراء ، أو الحاتمي وكتابه حلية المحاضرة و أحمد بن يحيى ثعلب في كتابه قواعد الشعر ، و عبد الله بن المعتز في كتابه البديع وغيرهم كثير .

و نظرا لهذه المعطيات الفكرية المتعلقة باعتماد المغاربة على التراث و الفكر المشرقي بالدرجة الأولى فلقد جاء النقد المغربي في منطلقه عبارة عن نقد للتراث النقدي الأدبي قبل نقد الأدب بشكل محدد ، خاصة عند ابن رشيق و عبد الكريم النهشلي ، إذ نجد النقد عندهم ينزع إلى التراث ومناقشة مختلف الظواهر النقدية دون التأسيس لها أو البحث في أصولها ، لكننا نستطيع استنتاج الفلسفة النقدية لدى كل علَم من خلال مناقشاته و مطارحاته ، لكن على العموم فإن المنهج العام كان تراثيا و ليس فلسفيا كما كان في أقصى المغرب الإسلامي أو الأندلس ، أو بعض الأقاليم المشرقية خصوصا تلك المتاخمة لبلاد الفرس و الروم .

---

1)- بشير خلدون ، الحركة النقدية ، ص 35 و محمد مرتاض ، النقد الأدبي في المغرب الإسلامي ص23 ، وإحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 439 .

و ختاما لهذا التمهيد فإنه يمكننا القول أن نهاية القرن الرابع و بداية القرن الخامس تعتبر تحولا كبيرا في المسار السياسي و الاجتماعي و الثقافي في المغرب الإسلامي الكبير ، فبتولي الصنهاجيين لزمام الحكم عاد الحكم السنّي للمغرب بدلا من الشيعي الفاطمي الذي كان من شأنه أن يغيّر خارطة الفكر و السياسة من تلك الفترة إلى يومنا هذا ، و طبيعة رجال الحكم الزيري التي تنزع للفكر والثقافة إلى جانب السياسية و الفروسية ، و انحدار هؤلاء السّاسة من قبائل في قلب المغرب الإسلامي ، هذه المعطيات قدّمت المغرب الإسلامي للعالم سياسةً و ثقافةً ، و جعلت منه قطبا حضاريا حقيقيا ينافس الحواضر العلمية العربية و الإسلامية ، و تجلى ذلك –على الأقل- في الحركة النقدية و الأدبية التي عرفها المغرب الإسلامي في هذا العهد و يكفي أنها قدمت عَلَمًا عالميا كابن رشيق المسيلي القيرواني .

الفصل الأول:

ابن رشيق و كتابه أنموذج الزمان في شعراء القيروان

- المبحث الأول: التعريف بابن رشيق المسيلي القيرواني
- المطلب الأول: اسمه و نسبه
- المطلب الثاني: أساتذته
- المطلب الثالث: تلامذته
- المطلب الرابع: وفاته
- المطلب الخامس: ثقافته و آثاره
- المبحث الثاني: التعريف بكتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان .
- المطلب الأول : تحقيق اسم الكتاب .
- المطلب الثاني : تاريخ تأليف الكتاب .
- المطلب الثالث : الدافع إلى تأليفه .
- المطلب الرابع : مكانة الكتاب و أهميته .
- المطلب الخامس : مصادره .
- المطلب السادس : منهج التأليف النقدي في الكتاب
- المطلب السابع : بين كتابي العمدة و الأنموذج .

المبحث الأول : التعريف بابن رشيق المسيلي القيرواني

المطلب الأول: اسمه و نسبه

اتفق أغلب الذين ترجموا لابن رشيق على أنه الحسن بن رشيق القيرواني و كنيته أبو علي[1] ، و زاد بعضهم على اسمه و قال "المسيلي" نسبة إلى مدينة المسيلة الجزائرية التي ولد بها [2].

و اختلف علماء الطبقات في تاريخ مولد ابن رشيق و مكانه لكنّ الصحيح كما يقوله عن نفسه في الأنموذج أنه ولد بالمسيلة (المحمدية) سنة (390هـ) [3] و قرأ بها الأدب كما قرض الشعر صبيا و تعلم صنعة أبيه و هي الصياغة ، ثم ارتحل إلى القيروان سنة (406هـ) [4] و هي إذ ذاك كما يقول حسني عبد الوهاب : معهد العلوم و كعبتها ،فارتوى من صافي الأدب ، و نبغ فيه نبوغا باهرا، ثم التحق ببلاط المعزّ ابن باديس و صار من رجال فكر دولة الصنهاجيين سنة (416هـ) [5].

المطلب الثاني : أساتذته

تلقى ابن رشيق الأدب و الفنون عن مجموعة كبيرة من العلماء ذكر بعضهم في كتبه خاصة الأنموذج و العمدة ، نذكر من أهمهم :

1- القزاز القيرواني : ترجم له ابن رشيق في الأنموذج و قال عنه :"كان القزاز عالما متبحرا في علوم اللغة العربية مهيبا عند الملوك و العلماء ، محببا عند العامة "[6] ، و من شدة تأثره به أن نقل عنه كثيرا في عمدته واصفا إياه بأنه شيخه[7] .

2- عبد الكريم النهشلي: ترجم له ابن رشيق في الأنموذج حيث قال فيه :" كان شاعرا مقدّما عارفا باللغة خبيرا بأيام العرب و أشعارها بصيرا بوقائعها و آثارها ، و كانت فيه غفلة

---

1)- ابن خلكان ، وفيات الأعيان 85/2 .

2)- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح : إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ط:1 ، 1981م ، 597/8 .

3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 439.

4)- المصدر نفسه ص 439.

5)- المصدر نفسه ص 439 .

6)- المصدر نفسه ص 365 .

7)- المصدر نفسه 155/1 .

شديدة عما سوى ذلك ... و قال له بعض إخوانه : الناس يزعمون أنك أبله ، فقال : هم البله هل أنا أبله في صناعتي ؟ قال : لا ، قال : فما على الصائغ ألا يكون نساجا ؟ قال ابن رشيق : و لعمري ما هذا بله ، و لقد أصاب ثغرة الصواب" [1] ، و يعتبر النهشلي من أهم مصادر ابن رشيق النقدية إذ كثيرا ما ينسب ابن رشيق أو ينقل أراء نقدية عن شيخه النهشلي في كتبه خاصة العمدة و أنموذج الزمان .

3- أبو إسحاق إبراهيم الحصري: ترجم له ابن رشيق في الأنموذج فقال :"كان شاعرا نقادا عالما بتنزيل الكلام و تفصيل النظام" [2] ، و يروي ابن رشيق أن شباب - القيروان و هو منهم- كانوا يجتمعون عند الحصري و يأخذون عنه[3] .

4- أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني: يعتبر من أهم أساتذة ابن رشيق الذين أعجب بهم إعجابا شديدا ، إذ كان في درجة رفيعة من العلم و الأدب و صناعة الشعر ، كما أنه كان يتبوأ مكانة عالية عند السلطان ، فهو رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية، و من شدّة تقدير ابن رشيق لهذا الرجل أن ألّف كتاب العمدة باسمه ، فقال في مقدمته : "و لم أسم كتابي هذا باسم السيد -زاده الله سموا- لأكون كجالب التمر إلى هجر ، ومهدي الوشي إلى عدن ، و لكن تزينا باسمه الشريف ..." [4] ، و كتاب العمدة مليء بنصوص و أراء ابن أبي الرجال .

5- أبو عبد الله الخشني الضرير المعروف بابن البقّال: ذكره ابن رشيق في الأنموذج قائلا : "كان مشهورا باللغة و النحو جدا مفتقرا إليه فيهما ، بصيرا بغيرهما من العلوم و لم يُرَ قط ضرير أطيب منه نفسا و لا أكثر حياء مع دين و عفة ، أدركته و قد جاز التسعين

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 170 ، 171 .

2)- المصدر نفسه ص 45، 46 .

3)- المصدر نفسه ص 45 ، 46 .

4)- ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، دار الجيل ، ط5، 1401 هـ - 1981 م ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد . 16/1 .

والتلاميذ يكلمونه فيحمر خجلا"[1] ، و نقل ابن رشيق في العمدة عن ابن البقّال في مواضع متعددة [2].

6- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين : ذكره ابن رشيق في العمدة في غير ما موضع في دلالة واضحة على مدى إفادته منه[3] .

هؤلاء هم أهم أساتذة ابن رشيق الذين يمكن إيجادهم ببساطة لكثرة تردد أسمائهم عند ابن رشيق، و الذين يبدو ظاهرا أنهم الأساتذة الذين صقلوا مواهبه النقدية ، و إلاّ فمن المؤكّد أنّ أساتذة ابن رشيق أكثر من هؤلاء بكثير خاصة أولئك الذين تلقى عنهم التكوين الديني ، خاصة في مهده الأول بالمسيلة .

من الملفت كذلك أنّ ابن رشيق عاصر شخصيات مغاربية مهمة كان لها أثر في بلورة تجربته الأدبية عموما و النقدية خصوصا ، فبالإضافة إلى الأمراء الصنهاجيين مثل المعزّ بن باديس الصنهاجي ، نجد شخصيات علمية و أدبية مثل ابن شرف القيرواني ، أبو حديدة ، خلف بن أحمد القيرواني ، و عبد الله ابن قاضي ميلة ، و أبو موسى القطّان ، و ابن الربيب و أبو طاهر التجيبي[4]، و غيرهم كثير من الشخصيات التي عاصرت ابن رشيق و دارت بينهم حوارات و مساجلات ومناظرات أدبية ونقدية أعطت زخما كبير للحياة الفكرية في المغرب الإسلامي .

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 158 ، 159 .

2)- ابن رشيق ، العمدة 114/1.

3)- ابن رشيق ، العمدة 309/2.

4)- الشيخ بوقربة ، النقد المنهجي ص 54 .

المطلب الثالث : تلامذته

من أهم تلاميذ ابن رشيق الذين تشحّ المصادر بهم نجد ابن الصفار الصقلي[1] ، و علي بن عبد الجبار بن سلامة بن عيذون الهذلي اللغوي التونسي[2]، كما نجد كذلك أبا محمد عبدالله بن يحيى بن حمود الخزيمي[3] .

هؤلاء هم أهم من يمكن إيجادهم من تلاميذ ابن رشيق إضافة إلى الكم الهائل من معاصريه وأقرانه ، و الحق أن تلاميذ ابن رشيق من الناحية التاريخية ليسوا بتلك الأهمية المعرفية الكبيرة ، إذ لم نجد منهم من نقل لنا معارفه أو كتبه كاملة أو ملخصة على الأقل إلا كتبه الموجودة و شذرات من شعره المتناثر هنا و هناك ، إذ ليس له كما للكثير من الأعلام مصدر من أحد تلاميذه إليه المرجع في نقل موروث ابن رشيق القيرواني .

المطلب الرابع : وفاته

أما عن وفاته فلقد اختلف الذين ترجموا لابن رشيق في تحديد زمان وفاته ،فياقوت الحموي يقول أنه مات بالقيروان سنة (456هـ)[4] ، و ذكر ابن خلكان أن ابن رشيق توفي سنة (463هـ) ، ثم يعود ليقول[5] : "وقيل إنه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر"[6]، وهذا الأخير الأرجح لأن أكثر الذين ترجموا لابن رشيق استقروا على هذا التاريخ[7]، يضاف إليه أن نشاط ابن رشيق و إنتاجه الفكري توقف قبل هذه الفترة بكثير أي

---

1)- ابن بسّام ، الذخيرة 599/8 .

2)- ابن ناصر الدين الدمشقي ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1993م ، ط1 ، تح: محمد نعيم العرقسوسي ، 64/6 ، و شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، 531/19 .

3)- عبد الرحمن ياغي ، قيروان ابن رشيق ، دار الفارابي ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 1999 م ، ص187 .

4)- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء 111/8 .

5)- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 85/2 .

6)- المصدر نفسه ، 86/2 .

7)- الشيخ بوقربة ، النقد المنهجي ، ص 66 .

منذ الغزو الهلالي و ووفاة المعز بن باديس سنة (454هـ) كأقصى حدّ فإلى هذا التاريخ و ما قبله في عهد المعز كانت أزهى فترة في مسيرة ابن رشيق العلمية و غارات القبائل الهلالية ووفاة المعز كانت نهايته .

المطلب الخامس: ثقافته و آثاره

اجتمع لدى ابن رشيق من المعطيات الاجتماعية و الثقافية و السياسية ما يعزّ توفّره للكثير ، لذلك ساهمت هذه الظروف الإيجابية في صقل معارفه و مواهبه و بناء قدرته العملية و نزعته النقدية و شخصيته الثقافية عموما ، حيث أنّ ابن رشيق تلقى في مكان مولده بالمسيلة تكوينا قاعديا أصيلا متمثلا في المعارف الدينية و اللغوية و الكونية ، إلى جانب تعلّمه لحرفة الصياغة و مخالطته لطبقة أخرى من المجتمع غير طبقة طلاب المعرفة و المثقفين ، و هذا أمر إيجابي للمبدع و للناقد ، ثم وطّن كل ذلك بالرحلة للقيروان أين احتك بالعلماء و الأدباء و أرسى لنفسه مكانة علمية بين أعلام القيروان ليخوله ذلك الدخول بين رجال البلاط الصنهاجي ، و رغم أن مهمته في البلاط كانت علمية و أدبية في الأساس إلا أنّ السياسية لن تدع من دخل أسوار الحكم ، لكن لحسن الحظ أن المعزّ بن باديس و أباه من قبله وأبنه من بعدهما لم يكونوا من أولئك السلاطين الذين يكرّسون المثقف لخدمة السياسة فقط بل كانوا من أولئك الذين يؤمنون بأهمية العلم و الثقافة لذاتهما ، و هذا ما انعكس بشكل إيجابي على ابن رشيق و ثقافته و إنتاجه العلمي و إقليم القيروان عموما .

كما أنّ ابن رشيق شاعر مفلّق تفتّقت موهبته الشعرية منذ صغره كما يذكر عن نفسه وصقل هذه المقدرة الشعرية بانضمامه لسلك شعراء البلاط الصنهاجي ، فترك لنا ديوانا شعريا معتبرا ، كما أن قلمه الكتّاب لم يكن دون الشاعر أهمية و قدرة ، و ذلك لاتساع ثقافته .

و تجلت هذه الثقافة الواسعة لدى ابن رشيق في حجم إنتاجه المعرفي الكبير حيث يذكر أن له مجموعة كبيرة من الرسائل و المصنفات منها : رسالة ساجور الكلب ، رسالة قطع الأنفاس ، رسالة نجح الطلب ، رسالة رفع الإشكال و دفع المحال و نقض الرسالة الشعوذية و القصيدة الدعية ، والرسالة المنقوضة ، و كتاب نسخ الملح و فسخ اللمح [1]، و ذكر له كذلك كتاب تاريخ القيروان ،

1)- ابن شاكر كتبي، فوات الوفيات ، 359/3 .

و شرح موطأ مالك ، و ميزان العمل في تاريخ الدول[1] ، و كتاب الروضة الموشية في شعراء المهدية ، وكتاب العمدة في صناعة الشعر و نقده ، و كتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، و كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان[2] ، و لكن للأسف لم يصلنا من كتبه إلا الثلاثة الأخيرة لذلك هي التي سنتناولها ببعض التحليل .

1- كتاب العمدة :

كتاب العمدة في صناعة الشعر و نقده ، و ورد كذلك العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، ألفه ابن رشيق في حدود سنة 420هـ كما يقول حسن حسني عبد الوهاب[3] ، و هذا منطقي جدا إذ تعتبر هذه الفترة أزهى عصور القيروان و أهم مرحلة في مسيرة ابن رشيق لأن ما يعقبها قلاقل في المغرب الأدنى، و بؤس و يأس في مسيرة ابن رشيق ، و كتاب العمدة هو أهم كتب ابن رشيق على الإطلاق إذ جمع فيه بشكل منظم و منسق أهم أبواب و مسائل نقد الأدب و الشعر و ناقشها بمهارة عالية تظهر مدى براعته في هذه الصناعة و في التصنيف ، و أثنى عليه ابن خلدون فقال : "وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة، و إعطاء حقها، و لم يكتب أحد قبله و لا بعده مثله"[4].

و تظهر مدى أهمية الكتاب في حجم ما أُلّف حوله حيث اختصره أبو عثمان بن علي بن عمر الصقلي ، و سماه العدة ، و اختصره أيضا موفق الدين البغدادي[5] ، كما اختصره الأعلم الشنتريني[6] ، و الكتاب طبع طبعات متعددة و حقق بتحقيقات مختلفة ، و تناوله الكثير من الباحثين في دراساتهم الأكاديمية و العلمية .

---

1)- حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ، مكتبة المثنى ، بيروت ، لبنان ، 301/1 و 1908/2 ، و1918/2 .

2)- حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العمر في المصنفات و المؤلفين التونسيين ، مراجعة و إكمال : محمد العروسي المطوي وبشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1، 2005م ، مج 3/ ج 2/ 190، 192 .

3)- حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العمر، مج 3/ ج 2/ 190 .

4)- عبد الرحمن ابن خلدون ، التاريخ ، المقدمة ، ص 791 .

5)- حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ، 1169/2 .

6)- الشيخ بوقربة ، المنهج النقدي ، ص 67 .

و في هذا الكتاب سلك ابن رشيق منهجا معتدلا من مختلف المسائل النقدية ، منهج يتضح فيه نزوع ابن رشيق إلى الأدب لا غيره من المعطيات و السياقات المعرفية ، لدرجة أن اتهم أنه مجرد ناقل ولا يتضح له موقف من مختلف المسائل التي عالجها [1]، لكن مع ذلك يمكننا اعتبار ان ابن رشيق حاول في مجمل كتابه أن يجعل المعيار الفني و الأدبي هو الغالب ، خاصة أنه جاء في سياق زمني متأخر خوّل له الإطلاع على الموروث الأدبي و النقدي الذي سبقه .

2- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب :

و هذا الكتاب كذلك من أهم كتب ابن رشيق في النقد ، ذكره القفطي فقال: "و هو كتاب لطيف الجرم كثيف العلم ، لطيف العبارة ، متين الإشارة ، صادق القصد هنيّ الورد"[2] ، ألفه ابن رشيق بعد العمدة بقليل و بعد سنة (427هـ) تحديدا كما يذكر حسن عبد الوهاب [3] و خاطب به أباالحسن علي بن القاسم اللواتي[4] .

و قد أومأ ابن رشيق إلى رغبته في تأليف كتاب قراضة الذهب في العمدة عندما تحدّث عن اختراع ابن الرومي للمعاني ، يقول : "إن أكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي ، و سيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه إن شاء الله"[5] .

و قراضة الذهب رسالة صغيرة الحجم لكنها كبيرة الأهمية و الجرم ، ناقش فيها ابن رشيق قضايا السرقة و توارد الخواطر و الألفاظ و غير ذلك من المصطلحات المتصلة بهذا الموضوع بأسلوب و منهج و طرح يعتبر فريدا في زمنه ، في بيئة كانت لا تزال تحتكم لعوامل الزمن و التقدم و الشهرة .

و الرسالة كما العمدة طبعت طبعات مختلفة و تحقيقات متعددة كذلك .

---

1)- إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي ، ص 439 .

2)- الشيخ بوقربة ، المنهج النقدي ، ص 67 .

3)- حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العمر ، مج 3/ ج 2/ 192 .

4)- ابن رشيق ، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، تح : منيف موسى ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ص 13 .

5)- ابن رشيق ، العمدة ، 244/2 .

3- كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان :

و هو كتاب في غاية الأهمية كذلك، شأنه شأن بقية كتب ابن رشيق ، و هو كتاب في الأصل لتراجم الشعراء و سيرهم لكنه لا يخلو من الصناعة النقدية ، و بما أنه محل الدراسة فسيكون له مجال من الشرح أكبر من هذا ، محله المبحث التالي .

من خلال ما سبق نستنتج أنّ ابن رشيق عَلَم واسع الثقافة و متعدد الموهبة و متوقد الذهن ، ما يجعل القارئ لمؤلفاته بحاجة إلى مفاتيح علوم متعددة كي يتمكن من قراءتها حقا و ليستفيد من مكتنزاتها صدقا ، خاصة فيما يتعلق بالأدب و نقده الذين كان لابن رشيق قصب السبق فيها في المغرب الإسلامي خاصة ، إذ يمكننا اعتبار ابن رشيق من الأوائل الذين حاولوا وضع أسس النقد الأدبي الصحيح ، كما أن فهم فكر ابن رشيق القيرواني يتطلب استجماع كل موروثه الثقافي وتفكيكه مفردا و إعادة تجميعه و تركيبه من أجزاء كل تلك المصنفات مع بعضها ، و يتأكد هذا في كتاب العمدة مع الأنموذج، هذا الأخير هو الذي سيكون موضوع المبحث التالي .

المبحث الثاني : التعريف بكتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان .

يختلف كتاب الأنموذج عن باقي كتب ابن رشيق من نواحي كثيرة لعل أهمها هو طبيعة تأليف هذا الكتاب الذي يحمل من خلال عنوانه منحى تاريخيا ، و الأمر الآخر هو أن الكتاب فُقِد منذ فترة ليست بالوجيزة و النسخة التي بين أيدينا لا توجد مخطوطة مكتملة على ما توصّلتْ إليه الدراسات و البحوث إلى حد كتابة هذه الأسطر، لكن مع ذلك حسب رأي الكثيرين أن كتاب الأنموذج لم يفقد قيمته المعرفية لعديد الأسباب سنقف على حقيقتها من خلال مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب.

يعتبر كتاب الأنموذج كتابا ثابت النسبة لابن رشيق القيرواني ، و هذا لمعطيات تاريخية و فنّية، حيث يجمع مترجمو ابن رشيق في كتب التاريخ و الطبقات على نسبة كتاب الأنموذج له ، لكن الاختلاف يقع في ذكر اسم الكتاب بشكل متفق عليه ، حيث نجده تارة باسم :"أنموذج شعراء القيروان" كما عند ابن الأبّار و حاجي خليفة في كشف الظنون [1] ، أو "أنموذج الشعراء" كما عند الصفدي[2] ، أو باسم الأنموذج كما عند ابن بسام في الذخيرة[3] وابن خلّكان في الوفيات[4]، أوالنموذج كما في معجم الأدباء لياقوت[5] ، لكن الأرجح أنه الأنموذج لما أورده ابن رشيق نفسه في شعر لـ عبد الرزاق النحوي يمدح فيه كتاب ابن رشيق قائلا:

---

1)- أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي ، تحفة القادم ، تح: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ط1، 1986م ، ص 5 ، حاجي خليفة كشف الظنون، 1102/2 .

2)- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2000م 9/12 .

3)- ابن بسام ، الذخيرة ، 529/8 .

4)- ابن خلكان ، و فيات الأعيان ، 52/2 .

5)- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء،861/2.

يـَا مبرزا إبـــريزَ خيـــرِ سبيكـــةٍ   و مكللا إكليـــل خيـــر متـــوجِ
و مميزا جنسـي مقدّمـــة النّهــى   إن أشكلا من عاقـــر أو منتـــجِ
و مطرزا حلل البلاغـــة معجـــزا   كل الورى ببلاغـة **الأنمـــوذج**
فكأنّه للسمـــع لفـــظ أحبّـة   و كـــأنّـــه للعين روض بنفسج
و كأنه للقلب سحـــر علاقــــة   في مهجة تخشى الصدود و ترتجي
خصصت أهل الغرب منه بمشـرق   بأقرّ من شمـــس النّهـــار و أبهج
رجحت بين ذوي الفصاحة منهـم   و فصـــلت بين مرتب و مثبـــج
و كشفت عن شعري لتلحقه بـــه   فاستر علـــى خل لسترك محوج[1]

فما نقله هنا ابن رشيق يقطع الشك باليقين في أنّ التسمية هي الأنموذج، لكن الإشكال يظلّ قائما في التسمية الكاملة ، و الراجح أنها ما ذكره حاجي خليفة أنّه : "أنموذج الزمان في شعراء القيروان"[2]، و هذا من عدة أوجه منها : أن التسميات السابقة عند المترجمين هي اختصارات لعنوان الكتاب الكامل ، و هذا جارٍ كثيرا في أساليب المؤلفين القدامى و المحدثين ، يضاف إليه أن التسمية المسجّعة جارية كثيرا عند المؤلفين المغاربة عموما و عند ابن رشيق كذلك كما في كتابه "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" ، إضافة لذلك كله فإن هذه التسمية هي التي تتطابق مع محتوى الكتاب بشكل كامل إذ أن :

- **كلمة الأنموذج :** توحي إلى أن ما جمعه ابن رشيق في كتابه يمثل فحول شعراء القيروان في تلك الفترة و درر شعرهم ، و ليس كل الشعراء ، و هذا يدل على الانتقاء و الانتخاب والترجيح كما نفهم من أبيات عبد الرزاق النحوي السابقة و ليس بسبب الجهل، و يدل عليه كذلك أن ابن رشيق لم يترجم لكل شعراء القيروان رغم معرفته بالكثير من معاصريه إلا أنه أهملهم ، و قد يكون ذلك لداعي الترجيح و الانتقاء [3] ، مثال ذلك :

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 155 .
2)- حاجي خليفة ، كشف الظنون ، 184/1 .
3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 155 .

ذكر ابن بشكوال في الصلة [1]:"أن أبا عمر الصفاقسي قال: بعث إليّ شعراء القيروان حين مقامي بها و هم : ابن رشيق ، وابن شرف ، وابن الحجاج ، و عبد الله العطار ، يسألونني أن أرسل إليهم شعري فقلت للرسول : إنه في مسوداته ، فقال كما هو ، فأخذته و كتبت عليه ارتجالا:

خطبتَ بناتي فأرسلتُهـــــنَّ إليك عواطلَ من كلّ زينَـــةْ
تعلـــــم أنيَّ ممّنْ يجـــودُ بمحض الوداد و يشنا ضنينةْ
فقل كيف كان ثناء الجليس أضُمِّخ بالمسك أم صبّ طينةْ

فأجابوني عن بطء بهذه الأبيات:

أتتنـــا بنــــاتك يرفلـــــن في ثيابٍ مـــــن الـــــوشيّ يفتنّ زينةْ
فلمّا سفرن فضحن الشُمــو س و سرب الظباء و أخجلن عينةْ
فلمّا نطقن سحرن العيـــــو ن و ظـــــلّ القرينُ ينــــادي قرينةْ
أفي بابل نحن أم في العـــراق و فـــــوق البسيطـــة أم في سفينةْ
فدعني أراقب صحو الجميع لنسمع من كل مـــــدح عيونـــه

و هذا النص يدل دلالة واضحة على معرفة ابن رشيق بابن الضابط و تفاعله معه .

و نجد كذلك في كتاب الأنموذج ذكرا لبعض الشعراء لكن ابن رشيق لم يترجم لهم مثل : أبو الفضل جعفر كاتب المعز بن سيف العزيز بالله ، و وصفه ابن رشيق بأنه كان شاعرا صاحب معاني و توليد، ذكره في ترجمة يعلى بن إبراهيم الأربسي [2]، و الشأن نفسه كذلك ما نجده في ترجمة مضر بن تميم الفزاري نجد ابن رشيق يتحدث عن أخ له يدعى غيلان ، يقول عنه ابن رشيق : "إنّه أعلم و أشهر من أخيه"[3] ، إلا أن ابن رشيق لم يترجم له ، و المؤكد أنّه لو وصلتنا مقدمة كتاب الأنموذج لوجدنا إجابات شافية لهذه الأسئلة .

1)- ابن بشكوال ، الصلة ، دار الكتاب المصري ،القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، تح: إبراهيم الأبياري ، ط1، 1989م ، 596/2 .

2)- ابن رشيق، الأنموذج ص 430 .

3)- المصدر نفسه ص 410 .

- **كلمة الزمان :** تشير لفظة الزمان إضافة إلى الحدود التاريخية التي تومئ إليها نجد فيها إيماء كذلك لحدود الكم في الأنموذج ، أو عدد شعراء الأنموذج فقوله "أنموذج الزمان" يعني عددا محدد من أعلام هذا الزمان ، و الذين حصرهم ابن رشيق بـ مائة شاعرة و شاعر ، و هذا العدد هو أكثر ما توصل إليه الباحثون بعد الجمع و البحث في مختلف المصادر ، كما أن ابن بسّام و ابن الأبّار أكّدا هذا العدد في كتابيهما الذخيرة[1] و تحفة القادم [2].
- **كلمة القيروان:** تشير إلى ما نجده في الأنموذج من حصر للشعراء المنتمين إلى حاضرة القيروان عموما باعتبارها عاصمة العلم و الثقافة في تلك الفترة ، و ليس المقصود حدود القيروان في الإطار الجغرافي ، لذلك نجد في الأنموذج أهم شعراء القيروان خصوصا شعراء البلاط الصنهاجي إضافة إلى بعض الشعراء غير القيروانيين أصالة مثل النهشلي و ابن البغدادي و ابن رشيق نفسه .

المطلب الثاني: تاريخ تأليف الكتاب .

من الملفت للانتباه أن ابن رشيق في كتابه الأنموذج لا يهتم كثيرا بالتدقيق في التواريخ ومبررات ذلك كثيرة منها أنه ألّف كتابه حول معاصريه فقط ، كما أن ذلك يعطينا مؤشرا لأهدافه من التأليف التي تركّز على الجوانب الأدبية و الفنية ، كما أن مقدمة الكتاب مفقودة ، وهي التي كان ممكنا أن نجد فيها تاريخا لتأليف الكتاب ، لكن مع ذلك نجد في الأنموذج بعض الإشارات المساعدة على تحديد الفترة التي ألف فيها الكتاب .

اختلف الباحثون في تحديد زمن تأليف كتاب الأنموذج فذكر بعضهم أنّه ألّف سنة (415هـ) و قيل سنة 420 هـ و قيل 422هـ و قيل 425 هـ ، و كلّها مجرد تواريخ مفترضة تقريبية ، لكن المؤكّد أنّ تواريخ ما قبل 421هـ غير صحيحة لأنّ النصوص المنقولة في الأنموذج تصل بنا إلى تاريخ 421هـ و نجد ذلك في ترجمة عبد الله بن محمد البغدادي [3]، و هذا يعني أن الكتاب ألّف على

1)- ابن بسّام ، الذخيرة 529/8.

2)- ابن الأبّار ، تحفة القادم ص 5 .

3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 203 .

الأقل بعد سنة 422هـ كما يقول حسن عبد الوهاب في كتاب العمر[1]، لكن التدقيق غير ممكن ما دمنا لم نعثر على مقدمة الكتاب ، بالرغم من أنّ ابن رشيق كان بإمكانه إعطاءنا مؤشرات أكثر لولا أنه يبدو غير مكترث بالتواريخ ، و على العموم يمكننا تحديد زمن تأليف الكتاب بشكل أشمل في عزّ حكم المعزّ بن باديس أي بين (406هـ و 454هـ) ، و هذا للمؤشرات الكثيرة كذلك إذ كثيرا ما يورد ابن رشيق أبيات في مدح المعز أو أحد أمرائه أو وزرائه[2] .

و ما ذكره حسن عبد الوهاب معلومة في غاية الأهمية في هذا البحث لأنها تتعلق بكتاب العمدة ، أي أن كتاب الأنموذج ألف بعد كتاب العمدة ، و ذكر محققا كتاب الأنموذج أن الباحثين يجمعون على أن الأنموذج ألف بعد كتاب العمدة اعتمادا على الإشارات التي وردت فيه ، حتى انتهت نتائج بعض الدارسين إلى اعتبار ابن رشيق طبّق في أنموذجه خلاصة تجاربه في النقد التي قرّرها في كتابه العمدة على الأقل[3] ، و هذا أمر حاصل بشكل كبير بعد الدراسة و المقارنة المتأنّية بين ما في كتابي العمدة و الأنموذج رغم اختلاف المحتوى إلا أن المنهج والفكر النقدي واحد ، و لكن محققا الكتاب ينتهون إلا أنه ألف قبله أو معه لا بعده ، فأن يكون ألف معه أو بعده فهذا أمر معقول أما قبله فبعيد للاعتبارات التاريخية و الفنية ، فالتاريخية لأنه لا يوجد دليل تاريخي يثبت هذه الدعوة ، و الفنية فإن الفكر النقدي الذي يحتويه كتاب الأنموذج و توافقه مع كتاب العمدة يوحي إلى أنه ألف بعده أو معه .

1)- حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العمر ، مج 3/ ج 2/ 192 .

2)- انظر مثلا ما أورده في ترجمة ابن قاضي ميلة ، الأنموذج ص 210 .

3)- المصدر نفسه ص 23 .

المطلب الثالث : الدافع إلى تأليفه .

أهم كتب ابن رشيق نعرف أسباب تأليفها فكتاب العمدة ألّفه ابن رشيق بإيعاز من ابن أبي الرجال[1] ، و كتاب قراضة الذهب ألفه ابن رشيق ردا على استنكار بعض رجال الأدب لبيتين استحسنهما أبو الحسن اللواتي من مرثية ابن رشيق للأمير أبي منصور الصنهاجي[2] ، و رسالة ساجور الكلب ألفها ابن رشيق ردا على خصمه و منافسه ابن شرف شأنها شأن الكثير من رسائله ، فالكتابان الأوّلان عرفنا سبب تأليفهما لاشتمالهما على مقدمة توضح ذلك و هذا مالا يتوفر في كتاب الأنموذج ، لذلك فإن سبب تأليفها يبقى مجرد تسديد و تقريب من خلال المعطيات المتاحة ، فلقد قال ابن رشيق في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم الحصري : " و له تآليف جيدة في ملح الشعر والخبر ، و قد كان أخذ في عمل : طبقات الشعراء على رتب الأسنان ، و كنت أصغر القوم سنا فصنعت : "

رفقًا أبا إسحـاقَ بالعـالِمِ حصلت في أضيقَ من خاتمِ
لو كان فضلُ السبقِ مندوحةً فُضِّـل إبليسُ علـى آدمِ

يقول ابن رشيق : "فلما بلغه البيتان أمسك عنه و اعتذر منه ، و مات و قد سدّ عليه باب الفكرة ، و لم يصنع شيئا"[3] ، و لو تركه ابن رشيق لكان بحوزتنا اليوم مصدران مهمان ، كتاب الحصري و أنموذج ابن رشيق ، و على العموم فإن هذه القصة تبين أن فكرة التأليف في طبقات الشعراء عموما كانت حاضرة لدى كتاب و أدباء المغرب الإسلامي الحصري و ابن رشيق على الأقل، و قصد الحصري هو ما حرّض ابن رشيق و استعجله في قده من دون شك ، و هذا بسبب ما استشعره من خلو هذا الجانب من التأليف ، خاصة مع اشتهار مثل هذه المصنفات في المشرق العربي مثل كتب : ابن سلام و ابن قتيبة و ابن المعتز و غيرهم ، و هذا المعطى التنافسي بين المشرق

1)- ابن رشيق ،العمدة ، 1/ 15 .
2)- ابن رشيق ، قراضة الذهب، ص 13 .
3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 49 .

والمغرب نستنتجه، من أبيات عبد الرزاق النحوي السابقة لماّ يقول : "خصصت أهل الغرب منه بمشرق"[1] ، فهذه الإشارة من عبد الرزاق النحوي تفيد أن ابن رشيق عمل على سد التخلف الحاصل في التأليف حول شعراء المغرب الإسلامي بشكل عام ، في مقابل المشرق خاصة و أن المشرق سابق في هذا التأليف كما سبق و المغاربة كانوا دائما على اتصال و متابعة لما يحصل في مشرقهم و يحتذونه ،و هذا في شتى الميادين المعرفية و اللغة و الأدب خاصة .

إضافة إلى ذلك فإن الدافع قد يكون حضر ابن رشيق لما علم أن الحصري كان يعتزم تصنيف كتابه حسب التاريخ و الزمن ، و هو المعطى الذي لا يؤمن به ابن رشيق لأسباب موضوعية و قد تكون ذاتية ، أما الموضوعية : فواضح أن ابن رشيق في مجال الأدب و الشعر خاصة يعتبر أصل التفضيل و التقديم يكون بالجودة و المقدرة أولا ، لا بالأسبقية أو الأوّلية ، و هذا ما يقرّره في العمدة و يشير إليه في القراضة ويؤكده في الأنموذج ، فعامل الزمن ليس مقياسا فنيا أو أدبيا بل هو تاريخ لا يقدم إضافة معتبرة للجوانب الفنية خاصة لما يتعلق بطبقة واحدة من الشعر و الشعراء ، و هذا ما يراه ابن رشيق ، و الأسباب الذاتية هي أن ابن رشيق كان حدث السنّ في زمن الحصري و تأليف الكتاب حسب السنين يعني أن يتأخّر ذكر ابن رشيق أو يسقط تماما لكثرة الشعراء ، ما جعله يعتب على الحصري عزمه على التأليف حسب السنين .

المطلب الرابع : مكانة الكتاب و أهميته .

يحتل كتاب الأنموذج مكانة رفيعة جدا بين كتب الأدب و النقد و التراجم و التواريخ ، ونقف على مدى هذه الأهمية لماّ نرى كثرة الكتب التي نقلت عنه إذ يعتبر أصلا مهما و مصدرا للكثير من كتب التراجم ، خاصة إذا علمنا أنّ الكتاب في نسخته الكاملة لم يُفقد إلا في القرن الثامن للهجرة[2] ، و نجد من بين من نقل عنه ابن ظافر الأزدي (613هـ) في كتابه غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات[3] و ابن الأبار (658هـ) في كتابيه تحفة القادم و الحلة السيراء ، و ياقوت

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 155 .

2)- حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العمر ، مج 3/ ج 2/ 192 .

3)- علي بن ظافر الأزدي المصري (المتوفى: 613هـ)، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، تح: دكتور محمد زغلول سلام، دكتور مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعارف، القاهرة.

الحموي (626هـ) في معجميه للبلدان والأدباء ، والقفطي (646هـ) في إنباه الرواة و التيفاشي (651هـ) و ابن خلكان (681هـ) في وفيات الأعيان ، و ابن فضل الله العمري (749هـ) والصفدي (764هـ) في كتابه الوافي بالوفيات ، والقاضي عياض (544هـ) ، في ترتيب المدارك وتقريب المسالك، و ابن بسام (542هـ) في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة [1]، و غيرها من كتب التراجم الكثيرة جدا ، ما يدل على أهمية الكتاب و أنه مصدر في عدة فنون ، و على مقدرة صاحبه و ثبوت نسبته إليه ، و على أن الكتاب في أصله موجود لكنه فقد في زمن متأخّر ، و مكانة ابن رشيق وأهمية كتاباته عموما لخصها الصفدي في ترجمته لابن رشيق عقب ذكره لكتبه و من بينها الأنموذج ، قال : "و قد وقفت على هذه المصنفات و الرسائل المذكورة جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الأدب وإطّلاعه على كلام الناس ، ونقله لمواد هذا الفنّ و تبحره في النقد"[2] .

و بالعود إلى ذات كتاب الأنموذج -مما وصلنا منه طبعا- سنجده فعلا أصلا مهما لفنون شتى نذكر منها :

- **التاريخ و التراجم** : و هذا أمر بدهي باعتبار أن أصل الكتاب في سير الشعراء ، لكن أهميته في أنّ هؤلاء الشعراء الذين ترجم لهم ابن رشيق لا نكاد نجد لهم ترجمة في كتب أخرى باعتبار ان ابن رشيق ترجم لمعاصريه و لمن شاهدهم كفاحا و عاصرهم و جادلهم، لذلك فالكثير منهم لم يكن ليعرف لولا ابن رشيق ، و ترجمتهم بدأت من ابن رشيق وهذا ما يفسّر حجم الناقلين عنه ، إضافة إلى ذلك نجد في الأنموذج ملامحا للحياة السياسية و الاجتماعية في إقليم القيروان و ما كان يعيشه من صراع بين السنة و الشيعة من ذلك ما يقوله ابن رشيق في ترجمة ابن القيني :" كان شاعرا مشهورا لطيفا قليل الشعر و كان يناقش الروافض و يزري بهم طبعا منه لا استعمالا ، فيريدون قتله و يقولون: ما أنت و الله منا و لا نحن منك و إنك لمن عويجاء أهل القيروان النواصب ، فيقول: كذبتم علي بل أنا كما قال الله عز وجل : ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [3] ، و الله لو نفعتني شهادتكم عند ابن

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ، مقدمة المحقق ص 29 .

2)- الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 9/12 ،وينظر مقال: محمد محي الدين ، الأدب المغربي القديم في كتب التراجم، مجلة الفضاء المغاربي، مخبر الدرسات الأدبية و النقدية و أعلامها في المغرب العربي ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، العدد02، أفريل 2004م/ صفر 1425هـ ، ص 214 .

3)- سورة النساء ، الآية 143 .

خلدون لكتمتموها و كان الداعي يداريه و يصدهم عنه[1] ، و قال كذلك في ترجمة : شبلون بن عبد الله المصاحفي : "كان رجلا مستهزئا مشهورا بالتنقير و المقالعة ، فيه تلاعب واستخفاف كان قد دخل الدعوة (الشيعية) تسترا بها و احتمى بسببها"[2] ، و غيرها من النصوص الكثيرة التي تشير إلى الصراع الديني و السياسي بين السنة و الشيعة في المغرب الإسلامي ، و مع ذلك نأخذ ملمحا إجتماعيا يتعلّق بهذه القضية و هو أن بين السنة والشيعة الخلاف كان سياسيا (بين الفاطميين و الزيريين) تغذيه العقيدة الدينية ، لكن مع ذلك فإن الرافضة كانوا يعيشون في الدولة الصنهاجية و لم تمارس في حقهم محاكم تفتيش أوتصفية عرقية ، وإن كان من شيء كذلك فهو في حق أولئك الذي جاهروا و أفرطوا في رفضهم و سبّهم ، أو أولئك الذين أعلنوا معارضتهم للحاكم الصنهاجي و أمرائه ، كذلك من الملامح الاجتماعية التي نستشفها من خلال كتاب الأنموذج انتشار مظاهر الترف والبذخ و اللهو فيقول مثلا في ترجمة النهشلي :**"كنّا في مجلس شراب و الكأس** في يد عبد الكريم فصففنا رواقص ترقص فصفّق عبد الكريم فأسقط الكأس في حجره و عليه ثياب نفيسة فأتلفها فقلنا له ما هذا ؟ فقال : ما علمت أن الكأس في يدي، و قال له بعض إخوانه : الناس يزعمون أنك أبله ، فقال : هم البله هل أنا أبله في صناعتي ؟ قال : لا ، قال: فما على الصائغ ألا يكون نساجا ؟ قال ابن رشيق : و لعمري ما هذا باغ ، و لقد أصاب ثغرة الصواب [3] ، و في ترجمة ابن المؤدب قال : "كان شاعرا مذكورا ، مشهورا ، متصرفا قليل الشعر، مفرطا في حب الغلمان مجاهرا بذلك بعيد الغور ذا حيلة و كيد مغرى بالسياحة وطلب الكيمياء و الأحجار محروما مقترا عليه متلافا إذا أفاد" [4] ، و غيرها من النصوص الكثيرة التي تشير إلى هذه المظاهر التي عرفها المغرب و التي يبدو أنها وفدت إليه من الأندلس خاصة مع العلاقات الكبيرة التي كانت تربط منطقة القيروان بها سواء علاقات علمية أواقتصادية إذ يشير ابن رشيق إلى البعض منها مثل ما نقله في ترجمة أبي حبيب :" ولد بالمحمدية و تأدب بالأندلس ، دخلها صغيرا مع أبيه ، وكان من صالحي الأمة و عبادها

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 286 ، 287 .

2)- المصدر نفسه ص 134 .

3)- المصدر نفسه ص 170 ،171 .

4)- المصدر نفسه ص 177 .

وزهادها ، ترك التجارة لشيء اطلع عليه من شريك كان له فتبرأ له من جميع ما في يديه وخرج فقيرا إلى الأندلس"[1] ، و غيرها من المظاهر الكثيرة في الأنموذج .

- **الجغرافيا :** يعتبر ابن رشيق كذلك من خلال كتاب الأنموذج مصدرا مهما في الجغرافيا وعلم البلدان و الأقطار ، و يتجلى هذا بشكل واضح عند ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان إذ حرص كل الحرص على ضبط أسامي البلدان المغاربية من كتاب الأنموذج باعتبار مؤلّفه مغاربي ، يضاف إليه أن النسخة التي نقل منها ياقوت كانت نسخة مكتوبة بخط ابن رشيق نفسه إذ يصرح بذلك في كذا موضع من كتابه مثل قوله : "رصفة بضم الراء كورة على ساحل البحر بإفريقية كذا ضَبْطُهُ من خطّ حسن بن رشيق في الأنموذج"[2] ، و مثل هذا كثير في كتاب ياقوت ، و الشأن نفسه بالنسبة للشعراء في كتابه معجم الأدباء .

- **الأدب :** بما أن كتاب الأنموذج في تراجم الشعراء فلقد جاء غنيا بنصوص أدبية و شعرية خاصة كثيرة يعز وجودها في غير الأنموذج إذ يعتبر ابن رشيق أول من ساقها لأنه كان يحفظها أو ينسخها عنده ، في شتى الأغراض الأدبية مثل المدح و الهجاء و الغزل و التشبيب والوصف بأنواعه ، و شعر الاغتراب و التشوق إلى الأوطان ، و شعر الحكمة و الزهد ، ورثاء المدن وغير ذلك من الأغراض ، مثال ذلك ما نقله في ترجمة ابن شرف فقال: " و كان بيننا قبل أن يجذبنا سيدنا المعزّ إلى محلّ حرمه و يشركنا في سابغ نعمه مكاتبات و مجاوبات ، من ذلك قصيدة بعثها إلي متشوّقا و أنا بالمهدية أولها :

عدِمناك من بُعْدٍ و إن زِدّتَنَا قُربًا على أنّ فيما بيننا سَبْسَبًا سَهْبًا

فأجبته بقصيدة :

عتابًا على أنّ الزمان لــه عُتبى و شكوى فكم شكوى ألانت لنا قَلبًا

إذا لم يكن إلا إلى الدمع راحةٌ فلا زال دمعُ العين منهملا سكبـــًا [3]

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 141 ، 144 .

2)- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، معجم البلدان ، دار الفكر – بيروت ، 50/3 .

3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 340 ، 343 .

و غيرها من النصوص الكثيرة لغيرهما مما سيرد لاحقا في البحث .

- **النقد :** أهمية كتاب الأنموذج ككتاب نقد لا تقل عن أهميته كونه كتاب تراجم و سير ، وهذا للكم الهائل من المصطلحات و القضايا النقدية التي ناقشها بشكل مباشر و غير مباشر خاصة ، إذ الفكر النقدي في الأنموذج يرد ممارسة و تطبيقا لا مباشرة و تنظيرا كما في العمدة أو القراضة ، إذ نجد في الأنموذج أغلب قضايا النقد الأدبي القديم مثل الطبع و الصنعة واللفظ و المعنى و السرقة و الذوق الأدبي و قضايا الشعرية و غيرها بما يتوافق فكرا مع كتاب العمدة، مثل مناقشته لقضية السرقة فيما يقارب عشرين موضعا و مسائل أخرى بشكل لا يتعارض مع أساس الكتاب، بل المنهج كله في الكتاب يقوم على الأساس النقدي ، أي أن التأليف قائم على أسس نقدية ، و ليس مجرد تأليف تاريخ يورد فيه التراجم سردا ، و يسوق تواريخ وأنساب و غير ذلك ، بل التركيز في الترجمة يكون على الجوانب الفنية و الأدبية ، وهذا ما سيتضح أكثر في الفصل اللاحق .

المطلب الخامس: مصادره .

إنّ المقصود بمصادره في هذا المطلب يفيد مفهومين :

المفهوم الأول: هو مصادر جمع الكتاب على اعتبار أنه مفقود و جمع شتاته من مجموعة من الكتب، حيث أن الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب عمل على جمع شتات الكتاب من مجموعة من المصادر و طبعها لكنها لم تكتمل مائة شاعر و شاعرة [1] ، ثم جاء من بعده الباحثان محمد العروسي المطوي و بشير البكّوش فأكملا ما حاوله حسن حسني عبد الوهاب ، فجمعوا لنا مائة شاعرة و شاعر بما فيهم ابن رشيق ، و هذه التراجم مجموعة من ثلاث مصادر أساسية : الأول : هو

1)- حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العمر ، مج 3/ ج 2/ 192 .

كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري ، و استخرجا منها ستة و ثمانون شاعرا ، الثاني :كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ، و استخرجا لنا منه ثلاثة عشر شاعرا ، و بقي شاعر وَجَدَا ترجمته في كتاب ترتيب المدارك و تقريب المسالك للقاضي عياض ، ليبلغوا بذلك تمام المائة شاعر ، و هو العدد الذي أجمع عليه المؤرخون ، و الحق أن الدراسة الأسلوبية لهذه النصوص المستخرجة ، لا تدع مجالا للشك في أنها نصوص من كتاب واحد هو الأنموذج ، إذ نجدها على نسق واحد من حيث البناء وترتيب المصطلحات و الأفكار و طريقة الطرح و العرض ، إضافة إلى اشتراكها في الحقل المعجمي ، هذا إضافة على الأصل التاريخي المستقاة منه ، لذلك فالكتاب الذي بين أيدينا هو فعلا كتاب الأنموذج ، لكن المؤكد أنه ليس هو بتمامه و إنما هي بعض نصوصه المهمة ، إذ الكتاب في شكله الحالي خلي من التقديم و الاختتام ، إضافة إلى غياب منهج ترتيبه و تقسيمه ، لذلك حاولت في البحث الاجتهاد في وضع تقسيم فني له اعتمادا على النصوص الموجودة .

المفهوم الثاني : و نقصد به مصادر ابن رشيق في مؤلفه الأنموذج أي مصادر ابن رشيق في الترجمة و النقد ، و من أين استقى و نقل ابن رشيق أفكاره التي أوردها في الأنموذج ؟

عادة ابن رشيق في تأليفه أنه يعتمد على قريحة نفسه كما قال في كتابه العمدة(1) ، والمقصود بذلك أنه يعتمد على ذاكرته في التأليف ، و ليس أن المواقف و الأفكار و ليدة منطقه ، لذلك نجد الكثير من آرائه خصوصا في كتاب العمدة نقلها ابن رشيق عن أعلام سابقين مثل ابن سلام أو ابن قتيبة أو الحاتمي أو غيرهم ، كما أنه يصرح بأسماء من نقل عنهم ولا يفعل أحيانا أخرى، مع ظهور رأيه و تصريحه به في الكثير من الأحيان ، و الأمر لا يختلف كثيرا في كتاب الأنموذج لكن بحكم أنّ طبيعة موضوع كتاب الأنموذج تختلف عن كتابي العمدة و القراضة ، فإنّنا نجد بعض الاختلافات ، خاصة فيما يتعلّق بالمادّة التاريخية أو النقدية :

1- فيما يتعلق بالمادة التاريخية : فبحكم أن ابن رشيق ترجم لشعراء عصره عموما ولشعراء البلاط الصنهاجي بشكل أخصّ ، و من موقعه في البلاط الصنهاجي الذي

1)- ابن رشيق ، العمدة ، 17/1 .

كان يقصده الشعراء و الأدباء ، فإن ابن رشيق تمكن من معاينة أغلب هؤلاء الشعراء، و هم الذين أثبتهم في مؤلفه ، لذلك فإن مادة الأنموذج تعتبر في أعلى درجات النقل و التوثيق و هي السماع أو المشافهة كما يقول علماء الحديث و من هنا اكتسب الأنموذج أهميته الكبيرة فهو يعتبر مصدرا أصيلا ، و التراجم التي جاءنا بها لم ترد في غيره ، لذا فهو يعتبر مصدرها الذي نقل منه بقية المؤرخين و المترجمين، لذلك فإننا نجد فيه الكثير من عبارات المعاينة أو المقابلة أو المشافهة أو المعاصرة التي تقتضي توثيق الأخبار و صحتها وغير ذلك ، مثل ما نقله مثلا في ترجمة النهشلي ، قال : " قال كنا في مجلس شراب و الكأس في يد عبد الكريم فصففنا رواقص ترقص فصفق عبد الكريم فأسقط الكأس في حجره و عليه ثياب نفيسة فأتلفها فقلنا له ما هذا ؟ فقال : ما علمت أن الكأس في يدي "[1] ، و قال في ترجمة ابن شرف : "ولقد **شهدته** مرات يكتب القصيدة في غير مسودة كأنه يحفظها"[2]، و قال في ترجمة ابن سوس : " شهدته يوما و قد صنعت أبيات أربعة في شكر سيدنا أول تقريبه إيّاي "[3] وفي ترجمة إسحاق بن إبراهيم الرافضي قال : "كان رافضيا سبابا ، عليه لعنة الله ، و قتله سيدنا -أطال الله بقاءه- سنة عشرين و أربعمائة احتسابا ، وكان اعتماده في الشعر على أبي القاسم بن هانئ ، و له كان يتعصب ، و إن جانب طريقته فلم يسلكها، **جمعني و إياه مجلس طيب**"[4] ، و غيرها من النصوص الكثيرة التي تدل على الأخذ المباشر .

2- فيما يتعلق بالمادة النقدية : في واقع الأمر أن المادة النقدية في كتاب الأنموذج لا تنفك عن التاريخ ، لأن ابن رشيق عمل على تقديم ما هو تاريخي بفكر نقدي يخدم الجوانب الأدبية ، لذا فإن كان كتاب العمدة لا تظهر فيه شخصية ابن رشيق النقدية

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 170 ، 171 .
2)- المصدر نفسه ، ص 340 ، 343 .
3)- المصدر نفسه ، ص 66 .
4)- المصدر نفسه ، ص 78 .

كما يدعي البعض ، نظرا لكثرة نقوله عن الآخرين ، فإن كتاب الأنموذج ينطلق في بنائه من شخصية ابن رشيق النقدية ، التي تبدأ في تأسيسها من كتاب العمدة لتنتهي عند كتاب الأنموذج على الأقل فيما وصلنا ، فنصوص كتاب الأنموذج تفهم في ضوء ما قرّره ابن رشيق في كتاب العمدة ، و من خفيت عليه مواقف ابن رشيق النقدية في العمدة يستطيع الاهتداء إليها من خلال تطبيقات ابن رشيق في الأنموذج .

المطلب السادس : منهج التأليف النقدي في الكتاب .

نجد في كتاب الأنموذج الكثير من المؤشرات التي تدل على أن ابن رشيق ألف أنموذجه وفق نهج نقدي لا تاريخي خالص ، يهدف من خلاله وضع قاموس نموذجي للتأليف يضعه بين يدي المشتغلين في النقد خاصة و الأدب عموما .

ابن رشيق كان يحمل فكرة نابعة من إيمانه بالمغرب العربي و التأخّر الذي تعرفه مكتبته معرفيا خصوصا في تلك الفترة لأسباب موضوعية و تاريخية في مقابل المشرق الذي كان متقدّما جدا في التأليف و المنهج ، لذلك كان حريصا على الكتابة بما يحاول به استدراك بعض ذلك التأخّر مثل التصنيف في كتب طبقات شعراء المغرب ، خاصة و أنّ هذا النوع من الكتب كان متوفّرا و مشتهرا في المشرق سواء للشعراء القدامى أو المحدثين في تلك الفترة ، و لا ينكر أنّ المغاربة كانوا يحتذون المشارقة في كثير من الميادين مطّلعين على أغلب ما ينتجون جاعلين منهم محل الاقتداء و الاهتداء -و هذا ليس بضائرهم في شيء مادامت الثقافة العربية تستضيء من مشكاة واحدة -، خاصة ابن رشيق الذي عرف بإعادة قراءته لأغلب التراث المشرقي خاصة في مجال النقد الأدبي[1].

و دليل ما سبق ذلك الحوار الذي دار بين ابن رشيق و الحصري في ترجمته، لما عزم الحصري على تصنيف كتاب في التراجم حسب الزمن فقال له ابن رشيق :

رفقًا أبا إسحـــاقَ بالعالـــمِ   حصلت في أضيق من خاتمِ
لو كان فضل السبق مندوحةً   فُضّـــــل إبليسُ علــى آدمِ

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ، مقدمة المحقق ص 24 .

فلمّا بلغ البيتان للحصري أمسك عنه ، و اعتذر منه و مات و قد سدّ عليه باب الفكرة فيه، و لم يصنع شيئا [1] ، و نستنتج من هذه القصة أمرين :

الأول : أن ابن رشيق يكون خشي أن يتأخّر في ترتيب الكتاب أو لا يذكر أصلا في صلبه وهذا دافع ذاتي قد يوضح لنا جانبا من عقلية ابن رشيق المحبة للبروز و التقدّم ، لذلك عمد إلى التعليق سلبا على عزم الحصري التأليفَ حسب السنوات و لوثوقه كذلك من مقدرته الشعرية بين شعراء زمانه و أنه كان مقدّما بينهم رغم حداثة سنه ، كما يوحي هذا الموقف كذلك أمرا آخر و هو أن ابن رشيق كان يريد الانفراد في التأليف في هذا الفن و هذا معقول جدا ، لأن ابن رشيق جاءت ترجمته متأخرة في الأنموذج ، و تعليق ابن رشيق الأخير كذلك يدل على أنّه شعر أنه كان سببا في غلق باب التأليف في هذا الفن أمام الحصري ، فأراد التكفير عن ذلك بتأليف كتابه الأنموذج ، و عزوف الحصري كذلك عن التأليف بسبب اعتراض ابن رشيق يدل على حجم مكانة ابن رشيق في تلك الفترة و أنه كان علما بارزا .

الثاني : أن موقف ابن رشيق في اعتراضه على اعتزام تأليف الحصري كتابا في الطبقات حسب الأعمار يدلّ على نضجه النقدي في تلك الفترة ، و ذلك من خلال تبيينه أن لا مندوحة حسب رأيه في التقدّم و لا منقصة في التأخر و إنما الاعتبار للمجيد البارع ، و ابن رشيق نفسه التزم هذا المبدأ في أنموذجه الذي و إن كنا لا نتيقن ترتيبه لأنه من وضع المحققين ، إلا أن هذا الاحتمال يبقى قائما و غالبا لأن ابن رشيق في صلب تراجمه لا يهتم كثيرا بالجانب التاريخي و تحديد تواريخ الميلاد و الوفاة ، بقدر اهتمامه بالجانب الأدبي في ترجمة الشاعر ومكانته بين الشعراء خاصة و أن المؤلفين في تلك الأزمان كانوا موسوعيين لدرجة أن المؤلف يؤلف في فنون مختلفة و لا يمكننا وضع فكر غالب عليه عادة ، و يرجح هذا الموقف كذلك أن ابن رشيق أخّر ترجمته إلى نهاية تصنيفه على عادة المؤلفين في كتب التراجم ، و تأليف ابن رشيق بأسلوب خارج عن النسق العالم للتأليف في التراجم لدى الكثير من المصنفين بترتيب الطبقات حسب الزمن ، أفاده من ثقافته الدينية حيث أن الفئة المشتهرة في تلك الفترة من

1)- ابن رشيق، الأنموذج ص 48 ، 49 .

العلماء الذين كانوا يرتبون الأعلام ترتيبا موضوعيا هي فئة علماء المصطلح و الحديث النبوي، حيث أنهم كانوا يرتّبون رواة الحديث في بعض كتبهم ترتيبا حسب درجتهم في الحفظ والصدق ، حيث نجد الثقة الثبت ، و الثقة و الصدوق ، و المجيد وصولا إلى من قيل فيه "لابأس به" و اللين و الضعيف و الكذّاب ، و غيرهم .

يضاف إليه أنّ ابن رشيق لم يذكر كل شعراء زمانه في الأنموذج و هذا معقول ، لكن أن يهمل بعض من يعرفهم فهذا يؤكد تعمده لذلك و أنه صنف مؤلفه وفق منهج معين [1].

يقدّم ابن رشيق من خلال كتاب الأنموذج تأليفا متفردا في منهجه و مادته حيث أنه راعى في تأليفه الاختصاص ، ذلك لأنه لم يوغل مثل بقية كتب التراجم و السير في سرد الأطوار التاريخية والبحث في الأنساب و الأفخاذ و البطون ، و الإسراف في تحقيق تواريخ المولد و الوفاة و ما شابه ذلك بل ركّز على الجوانب التي تخدم الغرض من ترجمة الشاعر ، و هي إبراز قيمته في فنه و بين أقرانه، مخالفا بذلك الكثير من المؤلفات التراجمية و كتب الطبقات .

و يعزز هذا الرأي ما ذكره محققا الأنموذج من أن الكتاب أُلّف بعد كتاب العمدة اعتمادا على بعض الإشارات التي وردت فيه[2] ، حتى خلص بعض الدارسين إلى أن ابن رشيق كأنه في أنموذجه إنما كان يقرّر خلاصة تجاربه في النقد –كما مرّ سابقا- ، إذ حاول في دراسته لشعراء القيروان في كتاب الأنموذج أن يطبّق بعض القواعد النقدية التي حشدها في كتاب العمدة [3].

كانت طريقة ابن رشيق في جمع مواد الكتاب تعتمد على المحفوظ لديه و على المخالطة و المراسلة و كذلك الشأن في كتاب العمدة أين صرح بذلك ، و أنّ إثباته للنصوص لم يكن على جهة الاختيار و إنما على نسبة ما توفّر لديه منها و يقول في ذلك عند ترجمة القزاز : "... و شعر أبي عبد الله أحسن مما ذكرت لكني لم أتمكن من روايته و قد شرطت في هذا الكتاب أن كلّ ما جئت به من

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 26 ، 27 .

2)- أي كتاب العمدة .

3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 23 ، إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص 444 .

الأشعار على غير جهة الاختيار"[1]، لكن ابن رشيق بحكم ذوقه الأدبي و النقدي نلمس انتقاءه وانتخابه للنصوص من خلال الكثير من الملابسات اللفظية و المعنوية الكثيرة المبثوثة في ثنايا الأنموذج، من ذلك قوله عقب قصيدة للرقيق القيرواني: و مثل هذه القصيدة في الجودة ، قصيدة طويلة يتشوق فيها بإخوانه بمصر ثم ساق أبياتا من القصيدة [2]، و نلاحظ كذلك أنه يكثر في سوق المقطوعات الشعرية المتعلقة بمدح الأمراء الصنهاجيين مثل ما نجده مثلا في ترجمة الرقيق ، و هذا أمر ليس بمستغرب ما دام ابن رشيق كان من رجالات البلاط الصنهاجي .

كذلك من الملامح المنهجية في تأليف ابن رشيق توافق الأمثلة مع الأحكام النقدية ، إذ كثير ما يعقب ابن رشيق أحكام نقدية يذكرها في ترجمة الشاعر ثم يعقبها بأمثلة و شواهد تنطبق على تلك الأحكام السابقة ، و يدلل على ذلك مانجده مثلا في ترجمة "الدركادو" [3] ، حيث قال ابن رشيق : " عبد الملك بن محمد التميمي المعروف بالدركادو ، شاعر غزِل الشعر مطبوع موجَز الكلام سافر أوجه المعاني، تفهم نجواه من فحواه ، لا يكاد يحسب شعره موزونا و لا القوافي مشهورة لسهولة مخرجه ، وقلة تكلفه ، و ركوبه الأعاريض القصار ، و ربما قبض من عنانه فاشتدت شكيمته و لا أعلم في عصرنا أحلى من طريقته ، أنشدته لي في أبخر :

و أخْشمُ إن مثّلتَ فاهُ و أنفهُ فإنّهما ضدان للمسك و النّدِ

له نكهةً بخراءَ بعد انتشاقهَــا تصرع مجتاز الذباب على بعدِ

فأنشدني لنفسه :

و منتِنٍ ذي بَخَرٍ خانــقٍ تطْرُقُ من حَدْثِهِ جائحهْ

ليست تراه العينُ من قلةٍ و إنّما يعرف بالرائحهْ [4]

حيث يظهر في بيتيه هذين قصر أعاريضه ، و سفور المعاني ، و قلة التكلف و غير ذلك .

1)- ابن رشيق، الأنموذج ص 81 ، وانظر مقدمة المحقق ص 33 .

2)- المصدر نفسه ص 61 .

3)- المصدر نفسه ص 221 .

4)- المصدر نفسه ص 225 .

و مثاله كذلك ما نجده في ترجمة إسحاق بن إبراهيم الرافضي حيث قال : "كان رافضيا سبابا ، عليه لعنة الله ... و كان اعتماده في الشعر على أبي القاسم بن هانئ ، و له كان يتعصّب ، و إن جانب طريقته فلم يسلكها ، جمعني و إيّاه مجلس طيّب و كان ممقوتا"[1] ، تدل هذه العبارات من ابن رشيق في حق إسحاق الرافضي أنه كان خبيث النفس ، خشن الطبع ، غليظا ، و هذا ما نستنتجه كذلك مما ساقه من أشعار في سياق ترجمته من ذلك قوله :

ثناؤُك كالـروْضِ في نشــــرِهِ   و جُودُكَ كالغيثِ في قطـــرِهِ
و ما أنا مــــن يبتغي نائلاً   بمدحكَ إذْ جاء في شعــــرِهِ
و لكن لساني إذا ما أردتُ   مديحًا خطرتَ على ذكــــرِهِ
فخـــانت عـــدوَّك أيامُـهُ   و لاقى الحوادثَ من دَهْـرِهِ
و لا عاشَ يومًا بـــه آمِنـًا   و لا بلَغَ السؤْلَ في أمرِهِ [2]

فإسحاق الرافضي في هذه الأبيات يعترف بمهارته في تطويع الشعر مدحا وهجاء .

يتضح كذلك في الأنموذج تأثر ابن رشيق كثيرا بمنهج المحدثين من خلال ظواهر عديدة منها استعماله لألفاظ التحديث مثل "حدثني" ، حيث يقول في ترجمة النهشلي : "**حدثني من أثق به** قال كنا في مجلس شراب و الكأس في يد عبد الكريم فصففنا رواقص ترقص فصفق عبد الكريم فأسقط الكأس في حجره و عليه ثياب نفيسة فأتلفها فقلنا له ما هذا ؟ فقال : ما علمت أن الكأس في يدي، و قال له بعض إخوانه : الناس يزعمون أنك أبله، فقال : هم البله هل أنا أبله في صناعتي ؟ قال : لا ، قال : فما على الصائغ ألا يكون نساجا ؟ قال ابن رشيق : و لعمري ما هذا بله ، ولقد أصاب ثغرة الصواب"[3] ، إضافة إلى عدم اعتداده بالزمن في الترتيب و التصنيف ، و هذا فكر عرف به علماء الحديث فهم لا يعتبرون في الراوي شهرته أو سنه أو تقدمه ، بل صدقه و عدالته فحسب ، و ابن رشيق يعتبر في الشاعر إجادته و براعته لا قدمه أو حداثته .

1)- ابن رشيق، الأنموذج ص 78 .
2)- المصدر نفسه ص 78 .
3)- المصدر نفسه ص 170، 171 .

صرّح ابن رشيق بأنّ كتابه مصنف وفق طبقات و بأنه يسوق أحيانا الأمثلة بما يتناسب مع المقام وذلك في ترجمة ابن غالب التالية: "علي بن عبد الكريم : من أبناء المهدية و بها تأدب ، شاعر مذكور كثير الافتنان ، ريان الفنن ، واسع العطن في أنواع علوم الدين و الدنيا ، قديرعلى التطويل وركوب القوافي الصعبة العويصة ، سريع الصنعة ، يذهب في الشعر كل مذهب، و ينحو في الرجز نحوا عجيبا ، و يتعرب كثيرا ، **و أنا أقتصر في كلامه على ما جانس الوقت و ناسب الطبقة**"[1] .

و صرح ابن رشيق في مواضع أخرى بمصطلح الطبقة سآتي على ذكرها لاحقا .

و يؤكده ما سبق نقله من أبيات لـ عبد الرزاق النحوي التي كتبها لما صنع ابن رشيق كتاب الأنموذج يقول فيها :

يـــا مبرزا إبـــريز خيـــر سبيكـــة	و مكلّلا إكليـــل خيـــر متـــوجِ
و مميّزا جنســي مقدّمـــة النّهـــى	إن أشكلا من عاقـــر أو منتـــجِ
و مطرِّزًا حلل البلاغـــة معجـــزا	كل الورى ببلاغـة **الأنمـــوذجِ**
فكأنّه للسمـــع لفـــظُ أحبّـــة	و كــــأنّــه للعين روض بنفسجِ
و كأنّه للقلب سحـــر علاقـــــة	في مهجة تخشى الصدود و ترتجي
خصّصْت أهل الغرب منه بمشـرق	بأقرّ من شمـــس النّهـــار و أبهج
رجّحت بين ذوي الفصاحة منهـمُ	و فصـــلت بين مرتّب و مثبـــج
و كشفتُ عن شعري لتلحقَه بـــه	فاستُر علـــى خلّ لسترِك محُوجِ[2]

من أهم الملاحظات كذلك التي نقف عليها في كتاب الأنموذج أن ابن رشيق يقدم فيه أحكاما معلّلة بعلل واضحة أحيانا و حينما يغفل ابن رشيق التعليل فهذا يعني أنه لا يعارض الفكرة أو أنها واضحة في الأصل من خلال مجمل الكتاب .

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 289 ، 290 .

2)- المصدر نفسه ص 155 .

مثاله ما قاله في ترجمة الكموني : " شاعر فصيح الألفاظ حسن التقسيم ، جيد الترسيم جزل الشعر ظاهر البلاغة ، عالم بأسرار الكلام إذا ركب معنى أجاده ، و له في المعاتبات مذهب مليح ، قال يهجو غلاما اشتغل بالفقه :

عجبتُ لصبر أبيك الحليمِ　　على كسْبه أدوات النطـاحِ
و تسبيلِهِ لَكَ تلْقَى علومًـا　　قُصاراك منها لقاءُ الرّمـاحِ
فطوْرًا تطاوِعُ أهلَ الفُسُـوقِ　　و طوْرا تُواثِبُ أهلَ الصّلاحِ

- قال ابن رشيق: وشعر محمد كثير جدا ، و إنما أكثرت منه إدلالا بجودته ، و ثقة بأن الملل ساقط عنه لا سيّما أني لم أذكر له و لا لغيره معنى أعدته ، ولا غلطت من فنون الشعر فنا وجدته ، فإكثاري توسط كما شرطت و إن أفرطت و كذلك اختصاري إذا اجتهدت و ما فرطت [(1)]، إذ كانت الحال كقول الله تعالى:" **عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**"[(2)] وقوله: " **لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** " [(3)] ، و قال في ترجمة القزّاز : " كان الغالب عليه علم النحو و اللغة و الافتنان في التأليف الذي فضح المتقدمين و قطع ألسنة المتأخرين ، و كان مهيبا عند الملوك و العلماء ، و خاصة الناس ، محببا عند العامة قليل الخوض إلا في علم دين أو دنيا يملك لسانه ملكا شديدا و كان له شعر جيد مطبوع مصنوع ربما جاء به مفاكهة و ممالحة من غير تحفز له و لا تحفل ، يبلغ بالرفق والدعة على الرحب و السعة أقصى ما يحاوله أهل القدرة على الشعر من توليد المعاني وتوكيد المباني علما بمفاصل الكلام و فواصل النظام ، و شعر أبي عبد الله أحسن مما ذكرت لكني لم أتمكن من روايته **و قد شرطت في هذا الكتاب أن كلّ ما جئت به من الأشعار على غير جهة الاختيار**" [(4)] ، فكل ما سبق أحكام يشرح بعضها بعضا .

كذلك نجد عند ابن رشيق استغلالا لمصطلحات الفقهاء :

مثل مصطلح **التطفل** : بما أن كتاب الأنموذج في أصله ليس كتاب تنظير للنقد فإننا لا نجد تعاريف أو شرحا للمفاهيم أو المصطلحات التي يوردها ابن رشيق فيه كما هو الشأن مع مصطلح التطفل ،

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 331 ، 335 .
2)- سورة البقرة ، الآية 236 .
3)- سورة البقرة ، الآية 286 .
4)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 365 ، 369 .

لكننا نستطيع الاستنتاج أنه مفهوم يقرب من مصطلح الاهتدام الذي هو الأخذ فيما دون البيت من الشعر ، و شاهد ابن رشيق يوضح ذلك ، حيث قال في ترجمة ابن زنجي : صنع في قتلة الرافضة قصيدة ....اختيرت بأجمعها ، منها :

شفى الغيظُ في طي الضمير المكتم   دماء كلاب حُلّلت في المحــــرّمِ

لقد رفضتكم كلّ أرض و بقعـــــة   و قد صرخت منكم بقاع جهنّم

فذوقوا كما ذقنـــاه أيّام كفركـــــم   من الغيظ في أكبادنـــا و التألمّ

قال ابن رشيق : تطفل في هذا البيت على طفيل الغنوي و افتقر إليه لأنه قال :

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر   من الغيظ في أكبادنا و التحوب (1)

هذا المثال يبين أن ابن زنجي اهتدم بيت طفيل الغنوي و أخذ أربعة أخماسه و لم يأخذه كله أي لم يصرفه لنفسه كاملا بل غيّر فيه ، لذلك يمكننا إدراج هذا المصطلح مع الاهتدام ، و ابن رشيق كان قد صرح كما نقل سابقا أن هذه المصطلحات كثيرة التداخل فيما بينها ، لكن استخدام ابن رشيق لمصطلح التطفل يوحي باستثقاله لهذا النوع من الأخذ لاعتبارات قد تعود إلى حجم الآخذ و المأخوذ منه أو لشكل الأخذ إذ أنه لا يوحي بمقدرة الآخذ الإبداعية إذ لا يعدو أن يكون تغييرا لبعض الألفاظ للهروب من تهمة السرقة أو الانتحال ، كالطفيلي(2) الذي يلتمس سببا يتهرب به من صاحب البيت ، إذ هو ذلك الذي يقتحم الولائم و هو غير مدعو ، في استغلال لابن رشيق لثقافته الفقهية .

يظهر ابن رشيق في كتابه ممارسة منهجية فريدة و غريبة حيث نجده في مؤلفه بعيد عن التوصيف المرتبط بذاتيته رغم أنه قد يترجم لشعراء هم أساتذة له مثل النهشلي ، الحصري ، ابن البقال ، القزاز ، و غيرهم ، أو يترجم لأعلام خصومه أو منافسين له بشهادة التاريخ مثل ابن شرف القيرواني ، و الشأن نفسه لأولئك الشعراء الشيعة مثلا الذين تتوفر فيهم كل أسباب الإسقاط من كتابه و التجريح في أشخاصهم ، لكن المطّلع على كتاب الأنموذج لا يكاد يشعر بهذه القضايا الشخصية المرتبطة بابن رشيق أو المرتبطة بقضايا غير أدبية ، بل كل التراجم على نفس النهج والاختلاف الحاصل هو في الجوانب المعرفية و النقدية لدى كل مترجَم .

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج 107، 110 .

2)- الطفيلي : هو الذي يحضر المناسبة التي لم يدع إليها عند الفقهاء ، انظر سليمان الجمل ، حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان 528/8 .

المطلب الثامن : بين كتابي العمدة و الأنموذج .

من خلال ما سبق و في ضوء ما سيأتي يمكننا القول بأن فكر ابن رشيق النقدي لا يمكن تأسيسه إلا من خلال كتبه مجتمعة خصوصا العمدة و الأنموذج ، مع عدم إهمال القراضة ، و ذلك للاعتبارت السابقة المذكورة خصوصا القول بأن العمدة للتنظير و الأنموذج للتطبيق ، و هذا راجع لطبيعة موضوع كل كتاب في الأصل ، فالعمدة كتاب أدب و نقد و الأنموذج للتراجم .

و مما يستغرب كثرة المؤاخذات على كتاب العمدة في العصر الحديث التي بدأت مع إحسان عباس لما رأى أن :"حظ ابن رشيق من الأصالة ضئيل ، و أن صهره لأراء من سبقه قد أخفى أخذه عنهم"[(1)] ، و إحسان عباس بحكم اختصاصه في الأدب و النقد الأندلسي يخول له قول ذلك لكن قوله بأن "صهره لأراء من سبقه قد أخفى أخذه عنهم" هو إلزام منه لابن رشيق لا يمكن إلزامه به ، خاصة إذا اعتبرنا أن من أسرار تميز ابن رشيق هو حسن ترتيبه و سوقه لأراء غيره بطريقة تغني عن العودة لكتب النقد الأخرى السابقة خاصة كما قال ابن خلدون ، و لإن كان حظ ابن رشيق من الأصالة ضئيل إلا أن هذا لا يعني عدم حضور شخصيته و مواقفه ، لذلك عاد إحسان عباس ليجعل من ابن رشيق ناقدا متميزا حين عدّد مزايا العمدة فلخصها في : [(2)]

- **طرافة التجربة:** إذ يصفه بأنه سابق لغيره في منهج تناول بعض القضايا ، كأن يصف كيفية نظم الشعر ممثلا بتجربته الشخصية في كثير من ذلك مما يشد القارئ .

و هذا كثيرا ما نجده في كتاب الأنموذج ، إذ أن طريقة تأليف الأنموذج -كما سبق – فريدة وجديدة و قلما نجده عند غير ابن رشيق ، فتأليفه يجمع بين التاريخ و النقد بشكل مقصود و ليس تابع كما نجده في كتب مثل نفح الطيب مثلا أو غيره -مع مراعاة صعوبة و فارق المقارنة- ، يضاف إليه أن ابن رشيق كثيرا ما يورد شعره في سياق المناقشة و التمثيل مثل ما أورده في ترجمة أبي حبيب قال من شعره :

---

1)- إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي ص 445 .

2)- المرجع نفسه ص 445 ، و ينظر : بوديسة بولنوار ، الخطاب الشعري المغربي من خلال كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، مذكرة ماجستير ، جامعة باتنة ، الجزائر ، موسم 2008/2009م ، ص 33.

خَطَّتْ يدُ الحُسنِ على خـــدِّهِ لامًا منَ المسكِ شديد الســـوادِ
حتى إذا جـــاء إلى نصفـــهِ وهمَّ أن يزداد جـــفّ المـــداد
فحق لي فيه لباس الضــــنى و قلّ لي فيه لباسُ الحـــدادِ

قال ابن رشيق : هذه إشارة طريفة خفية خفيفة ، و لماّ قال جفّ المداد، دلّ على انقطاع الخط و خفاء منتهاه ، فاستحق عند نفسه لذلك لبس الضنى مشاكلة، و قال : "لباس الحداد" لما بينهما من المزية ، و قريب من هذه الإشارة قولي :

كأنمّا عارضـــه عندمَـــا مثّل فيه الشعرُ مـــا مثّـــلاَ
صحيفةُ الكاتب لم يستطعْ يكتب فيها غير أن بسْملاَ [1].

و أمثلة هذه المناقشات و المشاركات من ابن رشيق كثيرة لن أسود الصفحات بإيرادها فهي موجودة في الأنموذج و سترد أمثلة أخرى لها في البحث في مواضع مختلفة ، و أكتفي في هذا الموضع بهذا المثال .

- **الجرأة:** و قد وصفه إحسان عباس بها لأنه خالف أعلام النقد في عصره و ناقض أراءهم[2]، و الحق أن جرأة ابن رشيق و حضور شخصيته حاضرة بقوة سواء في العمدة كما يقول عباس أو الأنموذج ، و يظهر ذلك من خلال التفاعل الذي يشعرنا به ابن رشيق لما يعبر مثلا عن ولائه للصنهاجيين و عدائه للشيعة الفاطمين أو استحسانه لشعر و أسلوب معين ، و رفضه لآخر و انعكاس ذلك كله على طبيعة تأليف الأنموذج ، ما يجعلك تستحضر شخص ابن رشيق خلف كل سطر يكتبه رغم أن الترجمة أحيانا تتعلق بقضايا ذاتية أو شخصية متعلقة بالشاعر المترجَم .
- **طرافة الرأي :** حيث أن ابن رشيق ساق أراء لغيره لكن بطريقة و طرح يختلف مع إضفاء موقفه و معالجة القضية في ضوئها [3]، و الشأن نفسه في كتاب الأنموذج حيث أن ابن رشيق تناول موضوعا ليس بالجديد في حقل التأليف في الثقافة العربية ، لكن الأكيد أن تأليفه

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 141 ، 144 .
2)- إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي ص 445 .
3)- المرجع نفسه ص 445 .

يختلف تماما عن سابقيه ، حيث أن كتابه مقتضب جدا في مادته لكن اقتضابه مقصود لأنه يركز على الجوانب الفنية كما أسلفت ، كما أن اقتضابها أضفى على الكتاب طرافة و سلاسة لقارئه و ناقده ، إضافة إلى ثرائه إذا علمنا أنه ترجم لمائة شاعر و قارناه مع ابن سلام الذي ترجم لمائة شاعر كذلك .

- **ثورته على بعض التقاليد الشعرية ، و على المتطفّلين في الميدان الأدبي** [1]**:** صراحة لا يُفهَمُ مقصودُ إحسان عباس بثورة ابن رشيق على التقاليد الشعرية و على المتطفلين ، لأن ابن رشيق لم يكرّس تقليدا أدبيا جديدا و لم يعنّف علما معينا بدعوى عدم الاختصاص التي لم تكن مطروحة بقوة في تلك الفترة المتقدّمة من الزمن ، لكن الثورة على التقاليد حاضرة بقوة في الأنموذج من خلال أسلوب و منهج التصنيف في التراجم بتلك الروح النقدية ، إذ نستشعر أن ابن رشيق حاول تقديم نموذج معيّن في التأليف النقدي في موضوع الشعراء لا الأشعار و يؤكده موقفه من عزم الحصري للتأليف كما سبق .
- **اتساع نطاق الفهم النفسي عنده لوظيفة الشعر** [2]**:** هذا ما قاله إحسان عباس عن العمدة و ما نجده في الأنموذج هو اتساع نطاق الفهم للأدب ، و اتساع رؤية ابن رشيق للشاعر من خلال ترجمته ، إذ يبدو ابن رشيق ملمّا بكل تفاصيل الحياة الأدبية العربية و المغاربية خصوصا إضافة إلى تفاصيل شعراء الأنموذج ، مع إدراكه الكامل لمفهوم الأدب و أهدافه ، و هذا الفهم سخر ابن رشيق كل المعطيات الموجودة في العلم المترجم لتكريسها .

1)- إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي ص 445 .

2)- المرجع نفسه ص 445 .

في نهاية هذا الفصل نستطيع القول أنّ عصر الزيريين في المغرب الإسلامي فترة ذهبية ، دونّت سطورا براقة في جبين الفكر الإنساني عموما و الفكر العربي الإسلامي خصوصا و الأدبي النقدي بشكل أخص ، قدمت هذه الفترة أعلاما بارزين في شتى الفنون و العلوم ، يتقدّمهم ابن رشيق المسيلي القيرواني ، الذي لا تزال كتاباته محلّا للدّرس و البحث ، نستشفّ منها فكرا أدبيا و نقديا أولا ثم سياسي و اجتماعي و ثقافي و غير ذلك ، و ابن رشيق الذي كان أهمّ علم ناقد في هذه الفترة قدّمت لنا كتاباته إضافة نوعية في الفكر النقدي خصوصا كتابه الأنموذج الذي لم يحظ بالدراسة الكافية ، نظرا لأنه فُقِد في شكله الذي وضعه فيه مؤلفه منذ القرن الثامن كما يقدّر الباحثون ، لكن هذا لا يمنع من دراسته من خلال النصوص المجموعة من بطون كتب التاريخ و التراجم و السير وغيرها ، كما حصل مع نصوص الأصمعي و أبي عمرو بن العلاء و ابن الأعرابي و غيرهم ، خصوصا و أنّ نصوص الأنموذج المتوفرة غزيرة و غنية بالفكر النقدي ، و الدراسةُ الشكليةُ والأسلوبية لا تدع مجالا للشكّ في نسبتها إلى كتاب الأنموذج ، لذلك سوف أعالج في الفصل التالي بعض نصوص الأنموذج التي تشترك في قضايا نقدية واحدة ، محاولا تقديم كتاب الأنموذج من خلال ذلك ككتاب في النقد الأدبي .

الفصل الثاني: قضايا النقد الأدبي في كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان.

المبحث الأول: قضايا الإبداع الأدبي

المطلب الأول: السرقات الشعرية

المطلب الثاني: الطبع و الصنعة

المطلب الثالث : القديم و الجديد

المطلب الرابع : اللفظ و المعنى

المبحث الثاني: قضايا النقد اللغوي و الفكري

المطلب الأول: النقد اللغوي و الفني

المطلب الثاني: النقد الديني

المبحث الثالث : ظواهر نقدية في كتب التراجم و الطبقات

المطلب الأول: مقاييس نقد الشعراء و تصنيفهم

المطلب الثاني: طبقات الشعراء

المطلب الثالث : تقاليد أدبية و نقدية

يعتبر هذا الفصل محاولة لإعادة ترتيب كتاب الأنموذج بشكل تتّضح فيه الرؤية النقدية التي كتبه بها ، و بثها فيه مؤلفه ، لأنّه لا يمكن لابن رشيق أن يتخلّص من أسلوبه النقدي لو أراد ذلك، فماذا لو أنه قصد الكتابة النقدية أصلا في مجال التراجم و السير ؟؟ خاصة و أنّ الحكم على الشعراء و الأدباء عموما لا يتأتّى لمؤرخ أو نسّابة أو غيرهما ، بل هو من مهام الناقد الأدبي ، الذي يتذوق الأدب و يمتلك ناصية التاريخ كما تحصّل لدى ابن رشيق ، لذلك فأسلوب كتابة الترجمة عند ابن رشيق يختلف من ناحية الشكل و المحتوى عما نجده عند بقية المؤرخين و حتّى الأدباء و النقاد ، ما يجعل الباحث حائرا في تصنيف كتاب الأنموذج هل هو كتاب تراجم و سير أو كتاب أدب ؟؟ لوفرة النصوص الشعرية و الأدبية التي يحتويها ، أو هو كتاب نقد للأحكام النقدية التي فيه كذلك ؟؟ مع ما يحتويه من ملامح اجتماعية و سياسية ، لكن المخرج من هذا ، هو أنّ الكتابة القديمة هذا دأبها، لموسوعية مؤلفيها و لاتساع أفقهم في التأليف و الفكر ، فالكتابة السابقة ليست حكرا على فنّ معين رغم اختصاصها ، لكن قوة حضور كل علم في نصوصها تختلف ، و هذا ما يتعين على الباحث استخراجه ، كما هو الحال مع كتاب الأنموذج .

المبحث الأول: قضايا الإبداعي الأدبي

في هذا المبحث حاولت جمع القضايا التي تتعلق بمدى قدرة الشاعر على الإبداع الأدبي والفني، و التي كانت و لا تزال تعتبرا معيار أساسيا ينتقد الشاعر في ضوئه ، و هذا ما فعله ابن رشيق بشكل تطبيقي عند ترجمته لشعراء الأنموذج ، حيث أعمل هذه المعايير بشكل مباشر ، و لم يعد لتقريرها نظريا و متابعة أطوارها التاريخية و مذاهب النقاد فيها ، بل استخدمها بما يتماشى مع رأيه وموقفه ، و هذه القضايا هي : السرقات الأدبية ، الطبع و الصنعة ، القديم و الجديد ، و اللفظ والمعنى ، التي ستكون المطالب التالية .

المطلب الأول : قضية السرقات :

تعتبر قضية السرقات الأدبية من أهم القضايا التي شغلت الفكر الأدبي و النقدي القديم من لدن العصر الجاهلي إلى يوم الناس هذا ، لأنها تمثل معيارا لمقدرة الشاعر و إبداعه في المجال الأدبي ، و مرتبته بين الأدباء من خلال تتبع أصالة ما يقول أو تقليده لغيره أو أخذه منه ، لذلك فغير مستغرب أن نجد أهم المنظّرين الأوائل للنقد الأدبي العربي من أمثال ابن قتيبة ، و ابن المعتز ، والآمدي ، و الحاتمي ، و ابن وكيع التنيسي ، و الجرجاني ، و ابن الأثير (ضياء الدين) ، و ابنعبدربه و ابن شهيد ، و ابن بسام الأندلسيين ، و أبو البقاء الرندي و النهشلي و ابن شرف المغربييْن وغيرهم يولون هذه القضية أهمية كبيرة في مصنفاتهم لأهميتها الأدبية و النقدية و العلمية .

و الحق أن هذه المسألة تحديدا عرفت جدلا واسعا عند النقاد بين من يُفْرط في التهمة بالسرقة و من يتساهل و من هو معتدل في حكمه ، و بين من يعتبر السرقة في اللفظ و من يعتبرها في المعنى و غير ذلك ، و لا يخف ما للجوانب الذاتية المبالغ فيها و العصبية المفرطة والسياسة أحيانا و غيرها من الأسباب غير الأدبية و العلمية ، من أثر كبير في استغلال هذه القضية رفعا ووضعا للشعراء خدمة لأغراض غير أدبية [1].

---

1)- بدوي طبانه ، السرقات الأدبية ، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، دار الثقافة ، بيروت . 1986م ، ص 86 .

لكن مع ذلك بقيت قضية السرقات في سياقها العلمي و الأدبي ، و حافظت على أهميتها النقدية قديما و حديثا ، إذ يعدّ أغلب النقاد أن السرقة من حيث المبدأ عيبا شنيعا يسقط صاحبها من مراتب المبدعين ، حيث يقول الجرجاني مثلا : "السرق داء قديم ، و عيب عتيق ، و ما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ، و يستمد من قريحته و يعتمد على معناه و لفظه"[1] ، هذا الكلام قاله الجرجاني في معرض محاكمته للمتنبي مع خصومه ، و كم شهد الدارسون لعدالة الجرجاني في محكمته هذه [2]، خاصة إذا ما قورن بابن وكيع الذي أفرط في النيل من المتنبي في كتابه المنصف ، حتى قيل عنه أنه كان مجحفا و لم يكن منصفا في ذلك[3] ، و العدل في هذه القضية أن يفصّل المؤلف فيها كما فعل الكثير من المؤلفين القدامى مثل بعض المذكورين سابقا .

من خلال كتاب الأنموذج الذي هو محل الدراسة يبدو ابن رشيق مهتما جدا بهذه القضية ، و هذا أمر معقول لأهمية هذه القضية في تصنيف الشعراء ، حيث يتأكد لدى المطّلع على الكتاب أن ابن رشيق لا يفوّت الفرصة التي يجد فيها إشارة قريبة أو بعيدة منها ، و الحقّ أن ابن رشيق يعدّ من أولئك النقّاد القلائل الذين يمثلون الناقد العالم بما في هذه الكلمة من معنى حديث لعلم النقد ، و مذهبه النقدي مذهب تخطّى الآراء العربية الكلاسيكية كما عرفت لدى نقاد سابقين [4]، وتصوره لهذه المسألة في كتابيه قراضة الذّهب و العمدة يؤكد هذا الحكم ، الذي نجده يتطابق تماما مع كتاب الأنموذج في الإشارات و الأحكام النقدية المباشرة و غير المباشرة التي تتعلق بهذه المسألة .

من خلال كتابي العمدة و القراضة يتضح لنا جليا أن ابن رشيق استوعب في دراسته للقضية أغلب آراء سابقيه و أثبت في كم من مرة أنه بارع في هذا المجال ، و استيعابه لهذه المسألة في ظل مناقشة متأنية هداه إلى ابتكار أفكار جديدة صرح بها لما اعترف في كتابه العمدة أنه استند في هذه

1)- أبو الحسن الجرجاني (المتوفى: 392هـ) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ص 214 .

2)- محمد مرتاض ، النقد الأدبي في المغرب العربي ، ص 15 .

3)- العمدة لابن رشيق ، 2 /281 .

4)- ابن رشيق ، قراضة الذهب ص 7 .

القضية على رأي و مصطلحات الحاتمي في كتابه حلية المحاضرة ، و لم يخف إعجابه كذلك بموقف الجرجاني السابق منها كذلك [1].

يرى ابن رشيق أن موضوع السرقات واسع جدا و ادعاء السلامة منه أمر بعيد ، لأن السرقة تحتوي على أشياء غامضة يصعب كشفها إلا على البصير الحاذق بصناعة الشعر و نقده [2]، لذلك فهو لا يقدم تعريفا جامعا في المسألة ، و هذا بعد التقديم الذي قدمه و هذا يبدو أمرا متعمَّدًا لأن الحدّ يضيِّق توسّعها الواقعي ، بل يقسّم ابن رشيق السرقة مباشرة إلى ثلاثة أقسام[3] :

أ- سرقة اللفظ مع المعنى (النسخ) .

ب- سرقة المعنى مع تغيير اللفظ (السلخ).

ت- سرقة تعتمد على تغيير بعض المعنى أو قلبه (المسخ) [4].

و تتولّد عن هذه الأنواع سلسلة من الاصطلاحات لأوجه السرقات يوردها ابن رشيق مؤيدة بالشواهد و الشرح ، و أومأ إليها في كتابه الأنمودج بشكل مباشر و غير مباشر ، و فيما يأتي نلخص هذه المصطلحات ملحقة بشواهدها التي ذكرها ابن رشيق في الأنموذج مع العلم أن ابن رشيق صرح أنها مصطلحات متداخلة فيما بينها و قد يستخدم أحيانا بعضها محل بعض[5]:

1 - الاصطراف: و هو أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، و يقسّم ابن رشيق الاصطراف إلى قسمين[6] :

أ- الاختلاب أو الاستلحاق: و هو اصطراف بيت على جهة المثل[7] .

---

1)- ابن رشيق ، العمدة 280/2 .

2)- المصدر نفسه 280/2.

3)- المصدر نفسه 281/2 .

4)- مصطلح المسخ لم يذكره ابن رشيق بل ذكره ضياء الدين ابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ، 1420هـ 345/2.

5)- ابن رشيق، العمدة 2 / 242 .

6)- المصدر نفسه 282/2 .

7)- المصدر نفسه 282/2 .

ب- الانتحال: و هو ادعاء الشاعر لنفسه شعر غيره[1].

ذكر ابن رشيق في الأنموذج مصطلح الاصطراف و أورد شواهد عليه حيث قال في ترجمة علي بن يوسف التونسي: كان علي يستضعف شعراء عصره و يهتدم أبياتهم و ربما اصطرفها جملة واحدة ، ولا يرى ذلك عيبا بل يقول : أنا فرزدق [2] هذه الطبقة فهو يلتهم كلام الناس .... و اصطرف أبياتا للجراوي الكاتب فنازعه إياها و هجاه بقصيدة [3].

و ذكر الاختلاب في ترجمة ابن الغطاس لما أورد له :

و كم ليلةٍ قد جاذبتْ راحــتِي بها   نُهُود العذارى في قميص الدجى الوحْفِ

و من يأْمنِ الدنيا يكن مثلَ قابضٍ   على الماءِ خانتْهُ الفـــروج من الكــفّ

قال ابن رشيق: "البيت الأخير مختلب من قول الأول" :

و من يأمن الدنيا يكن مثل قابض   على الماء خانته فروجُ الأصابعِ

"غير أنه غيّر آخره ، و قد تقدمه سواه إلى اختلاب هذا البيت فقال":

و من يأمن الدنيا يكن مثل قابض   على الماء لم ترجع بشيء أنامله[4]

2- الإغارة: و هي أن يأتي الشاعر بمعنى مليح فيأخذه من هو أعظم ذكرا أو أكثر شهرة ، فيروى له دون قائله الحقيقي[5] .

3- الغصب: و هو أن يأخذ الشاعر بيتا من شاعر آخر عن طريق التهديد [6].

4- المرافدة أو الاسترفاد: و هي أن يأخذ الشاعر بيتا من أخر عن طريق الهبة أو الهدية [7].

---

1)- ابن رشيق العمدة 282/2 .

2)- كان الفرزدق يفعل ذلك مع الشعراء الأقل شأنا منه ، انظر: عبد الفتاح كيليطو ، الكتابة و التناسخ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء -المغرب- ط1 ، 1985م ، تر: عبد السلام بنعبد العالي ، ص 27 .

3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 299 .

4)- المصدر نفسه ص 231 ، 233 .

5)- ابن رشيق ، العمدة 284/2 .

6)- المصدر نفسه 285/2 .

7)- المصدر نفسه 286/2 .

5- الاهتدام أو النسخ : و هو السرقة فيما دون البيت [1].

ذكر ابن رشيق مثالا على الاهتدام عند علي بن يوسف التونسي المذكور في الاصطراف قال عنه: "كان قادرا قوي الكلام جيد الرصف بعيد المرمى ، و كان علي يستضعف شعراء عصره ويهتدم أبياتهم و ربما اصطرفها جملة واحدة ، و لا يرى ذلك عيبا بل يقول : أنا فرزدق هذه الطبقة فهو يلتهم كلام الناس ، فعل ذلك بمحمد بن إبراهيم الكموني في بيت اهتدمه من قصيدة له و هو" :

يُلقِي شذاهُ بقلبٍ غير منقلبِ　　　و صفْحَتيْه بعطفٍ غير منعطِفِ [2]

6- النظر و الملاحظة : و هو تساوي المعنييان في اللفظ مع خفاء الأخذ ، و كذلك إذا تضاد المعنيان و دل أحدهما على الآخر [3].

7- الإلمام : و هو نوع من النظر ، أو هو تضاد المعنيين [4].

8- الاختلاس أو النقل: هو نقل المعنى من غرض إلى غرض آخر ، كنقل المعنى مثلا من الغزل إلى المديح [5].

9- الموازنة: هي أخذ بنية الكلام فقط [6].

10- العكس : هو جعل مكان كل لفظة ضدها [7].

و ذكره ابن رشيق في الأنموذج تحت مصطلح القلب[8] عند ذكره لشعر ابن الأبزاري :

و لما التقينا بعد أن ظنّ حاسدٌ　　　على الحبّ ألا نلتقي آخـــرَ الدهــــرِ

بثثنا شكايا أنْفُس لم يكن لهَــا　　　على طول أيام التفرّق مـــن صبـــــرِ

و كادت لذاذات **التداني** لقُربنا　　　من **الوصل** أن تقضي علينا و لا **ندري**

---

1)- ابن رشيق ، العمدة 287/2 .

2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 299 .

3)- ابن رشيق ، العمدة 287/2.

4)- المصدر نفسه 287/2 .

5)- المصدر نفسه 287/2 .

6)- المصدر نفسه 287/2 .

7)- المصدر نفسه 287/2 .

8)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 130 ،131 و ينظر الشيخ بوقربة ، المنهج النقدي عند ابن رشيق القيرواني ، ص 242 .

قال ابن رشيق : "ما أحسن ما أخذ قول أبي تمام" :

أضلّهُ **البيْنُ** حتّى أنّه رَجُل   لو مات مِن شغلِهِ **بالبيْن** ما **علِمَا**

"فقلبه و صرفه إلى حيث أراد"[1] ، حيث نجد أنّ الأبزاري عكس ثلاث كلمات أساسية في بيت أبي تمام في صناعة بيته فأبدل التداني بالبين ، و والوصل بالبين كذلك ، و عدم الدراية بالعلم .

11- المواردة : تكون المواردة إذا لم يسمع الشاعر بقول الآخر و كانا في عصر واحد [2]، ويكون هذا التوارد في المعاني أوفي الألفاظ و المعاني أحيانا ، و نقل ابن رشيق في ترجمة أبي حبيب إشارة إلى المواردة لما نقل شعره الذي يقول فيه :

خطّتْ يدُ الحســنِ على خدّهِ   لامًا من المسكِ شديدُ السوادِ

حتّى إذا جـــاءِ إلى نِصفـــهِ   وهمَّ أن يزداد جفّ المـــداد

فحقّ لي فيه لبـــاسُ الضّنى   و قلّ لي فيه لباسُ الحـــدادِ

قال ابن رشيق : "هذه إشارة طريفة خفية خفيفة ، و لما قال جف المداد ، دل على انقطاع الخط و خفاء منتهاه ، فاستحق عند نفسه لذلك لبس الضنى مشاكلة ، و قال : "لباس الحداد" لما بينهما من المزية ، و قريب من هذه الإشارة قولي" :

كأنّما عارِضـــهُ عندمـــا   مثُل فيه الشعرُ ما مثـــلا

صحيفةُ الكاتبِ لم يستطعْ   يكتبَ فيها غيرَ أنْ بسملا [3]

و ذكر مثالا آخر لها كذلك في ترجمته للدركادو[4] .

12- الالتقاط و التلفيق أو الاجتذاب و التركيب: و هو تأليف البيت من أبيات مختلفة [5].

13- كشف المعنى : و هو توضيح المعنى المأخوذ و إظهاره [6].

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 130 ، 131 .
2)- ابن رشيق ، العمدة 282/2 .
3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 141 ، 144 .
4)- المصدر نفسه ص 225 .
5)- ابن رشيق ، العمدة 289/2 .
6)- المصدر نفسه 290/2 .

هذه هي المصطلحات التي أوردها ابن رشيق في العمدة ، التي نجد الكثير من الأمثلة عليها في كتاب الأنموذج ، لكن الملفت أن فيه بعض المصطلحات الإضافية لا أثر لها في العمدة نذكرها وهي :

1- **التطفّل :** بما أن كتاب الأنموذج في أصله ليس كتاب تنظير للنقد فإننا لا نجد تعاريف أوشروحا للمفاهيم أو المصطلحات التي يوردها ابن رشيق فيه كما هو الشأن مع مصطلح التطفّل ، لكننا نستطيع الاستنتاج أن مفهومه يقرب من مصطلح الاهتدام الذي هو الأخذ فيما دون البيت من الشعر ، و شاهد ابن رشيق يوضح ذلك، حيث قال في ترجمة ابن زنجي :"صنع في قتلة الرافضة قصيدة ....اختيرت بأجمعها ، منها" :

شفى الغيظُ في طيِّ الضميرِ المكْتَمِ دماءَ كلابٍ حُلِّلَتْ في المحــــرّمِ

لقدْ رفضتْكُم كلُّ أرضٍ و بقعـــةٍ و قدْ صرخت منكم بقاعُ جهنّم

فذوقوا كما ذقنـــاه أيام كفركـــــمْ من الغيظ في أكبادنا و التـــألّمِ

قال ابن رشيق :"تطفّل في هذا البيت على طفيل الغنوي و افتقر إليه لأنه قال" :

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في أكبادنا و التحوب [1]

هذا المثال يبين أن ابن زنجي اهتدم بيت طفيل الغنوي و أخذ أربعة أخماسه و لم يأخذه كله أي لم يصرفه لنفسه كاملا بل غيّر فيه ، لذلك يمكننا إدراج هذا المصطلح مع الاهتدام ، و ابن رشيق كان قد صرّح كما نُقِل سابقا أن هذه المصطلحات كثيرة التداخل فيما بينها ، لكن استخدام ابن رشيق لمصطلح التطفّل يوحي باستثقاله لهذا النوع من الأخذ لاعتبارات قد تعود إلى حجم الآخذ والمأخوذ منه في الوزن الشعري أو لشكل الأخذ إذ أنّه لا يوحي بمقدرة الآخذ الإبداعية إذ لا يعدو أن يكون تغيير بعض الألفاظ للهروب من تهمة السرقة أو الانتحال ، كالطفيلي[2] الذي يلتمس سببا يتهرّب به من مساءلة صاحب البيت في استغلال لابن رشيق لثقافته الفقهية .

2- **الاحتذاء:** و هو قريب كذلك من مفهوم الاهتدام ، إلا أننا نستشف من استعمال ابن رشيق له أن أخذ المعنى يغلب في مفهوم الاحتذاء على أخذ اللفظ مثاله، في ترجمة

1)- ابن رشيق ، الأنموذج 107 ، 110 .

2)- الطفيلي : سبق شرح مصطلح الطفيلي سابقا ص 53 ، و انظر كتاب : الخطيب البغدادي، التطفيل و حكايات الطفيليين و أخبارهم و نوادر كلامهم وأشعارهم ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ص5.

المثقال الأزدي ، قال فيه ابن رشيق :"كان يألف غلاما نصرانيا خمارا فعلقه فاشتهر به ، أنشدته لي" :

رأيتُ بهرامَ و الثُريـّــا و المشتري في القران كرّهْ
كراحةٍ خُيِّرتْ فحارتْ ما بيْنَ ياقوتـــةٍ و دُرّهْ

فاحتذى ذلك و قال :

يا ساقيَ الكاسِ اسق صحْبِي وواسِيني إنّنـــي أُواسي
و انظـــرْ إلى حيرةِ الثُريـّــا و الليل قد سُدّ باندمـــاسِ
ما بين بَهرامهـــا الملاحـــي و بين برجيسها المؤاسِـي [1]

ونقل كذلك في ترجمة الخولاني شعرا له يقول فيه :

فالليلُ ألبسنا الحدادَ و سرّنا و الصبحُ ألبسنا البياضَ و ساءَ

قال ابن رشيق: و قد احتذيت مثال هذا المعنى فقلت و زدت تشبيها في البيت الثاني:

سُرِرتَ بليلٍ كالحدادِ لبستَـــه و ساءكَ صُبْحٌ كالرداءِ المصْبَغِ
و ما ذاك إلا للشبابِ و حُبِّهِ و كُرهُ مشيبٍ ناصِلٍ و مُثمَّغِ [2]

و ابن رشيق صرّح في هذا المثال الثاني أنه احتذى المعنى ، و البيت يوضح أنه أخذ ألفاظا كذلك مثل : "الليل" "الحداد" "لبسته" "صباح" ، ما يشير إلى أن مصطلح الاحتذاء يقارب و يوافق الاهتدام ، لكن مصطلح الاحتذاء ألطف دلالة من الاهتدام المشتق من الهدم و لا يخف ما في هذه الكلمة من السلبية ، لكن ابن رشيق لم يشر في أغلب المصطلحات التي أوردها قسيمة للسرقة إلى ما هو مستحسن منها و ما هو مستقبح ، لاعتداله في استعمال هذه الوسيلة في النقد ، لكنه في الأنموذج و في موضع واحد من مجموع سبعة و عشرين موضعا أورد فيها مسألة السرقة ،ذكر أن أحد الشعراء و هو ابن مشرق السلمي اهتدم له بيتا و ظلمه فيه لمّا أورد شعره الذي يقول فيه :

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 235 ، 238 .
2)- المصدر نفسه ص 421 ، 423 .

قلتُ لماَّ أنْ رمى كبِدِي   بِسهامِ الغُنْجِ و الحَـوَرِ

أنت في حلٍّ و في سَعَةٍ   مِن دمِي يا طلعةَ القَمَرِ

ليْتنِي إذ رحتَ تظلمُنــي   أتملَّى منــــكَ بالنَظَــرِ

قال ابن رشيق : "أما البيت الأوسط فقد ظلمني فيه ظلما ظاهرا لأني أنشدته لنفسي غير مرة" :

أنت في حلّ و في سعَةٍ   من دمي يامن تَقَّلَدَهُ [1]

و لا يُعلَمُ لماذا استعمل ابن رشيق مصطلح الظلم و لم يستعمل مصطلحا آخر كالسرقة الصريحة مثلا أو غيرها لكن المؤكد أنه يشعر بالظلم جرّاء اهتدام هذا الشاعر لبيته رغم أنه أورد أمثلة كثيرة للاهتدام و لم يورد فيها مصطلح الظلم ، بل لم يشر إلى ملاحظة سلبية في ذلك ، و قد يكون دافع موقف ابن رشيق من هذا المثال أن الشاعر أفسد معناه لماّ اهتدمه أو أخذه على وجه السرقة المستقبحة خاصة و أن الشاعر من معاصري ابن رشيق و لا يخف ما يكون بين المتعاصرين من التنافس .

قبل الانتهاء من هذه المسألة تجدر الإشارة إلى أن ابن رشيق في كتابه قراضة الذهب الذي ألفه خصيصا لمناقشة مسألة السرقات ، عالج هذه المسألة بنفس الفلسفة لكن بمنهج مختلف ، حيث أنه من خلال طرحه فيه يؤكد على أن قضية السرقات واسعة والسلامة منها بعيدة و فيها مسائل غامضة إلا عن الحاذقين في الأدب و النقد ، و على أن الأخذ في أصله ليس عيبا ، فرغم أنّ اتكّال الشاعر على السرقة بلادة و عجز كما قال ، إلا أن تركه للمعاني التي سُبِق إليها جهل ، بل يقرّر ابن رشيق أن الباثّ إذا تناول معنىً فأجاد اختصاره أو بسطه، أو لطّف عبارته أو أحسن وزنه وموسيقاه، كان أولى به من مبدعه ، أما إذا تساوى مع مبدعه فيه فلا فضل له إلا حسن الاقتداء أما إذا قصّر في احتذائه ، فذاك دليل على ضعف مقدرته[2] ، و لكي يؤكد ما يراه في هذه القضية أشار إلى أن الفرزدق كان مثالا لذلك ، لأنه كان راوية للشعر مكثرا منه ، قاهرا لشعراء عصره مهيبا فيهم و لم يكن أحدهم يرميه بالعجز و التقصير فيتهمه بالسرقة [3] ، بل قرر بعض المبرارت الموضوعية للذين

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 378 ، 380 .

2)- ابن رشيق ، العمدة 281/2 .

3)- ابن رشيق ، قراضة الذهب ص 56 .

يقعون أو يفعلون ذلك ، و هي عبارة عن ظواهر يمكن أن تنعكس على شعر الشاعر فيتهم بالسرقة و هي[1] :

أولا: اعتماد الشاعر على ذاكرته: حيث أن اعتماد الشاعر على ذاكرته كما هو الحال عند الكثير من الشعراء قد يرشح عنه ورود معانيهم و أساليبهم في شعره .

ثانيا: أكدّ ابن رشيق كثيرا على أن الشاعر الذي يروي الشعر ، يصبح شعره مثأثرا أو على نسق الشعراء الذين يروي لهم كثيرا .

ثالثا: توارد الخواطر: ألمح ابن رشيق إلى نقطة مهمة جدا تدلّ على توسع أفقه الفكري والأدبي ، مفادها أن الظروف النفسية التي يمرّ بها الشعراء باختلاف المؤثرات الطارئة عليها ، إن تشابهت فإنها قد تكون باعثا على تشابه الإنتاج الفني للشعراء ، و هذه الجزئية هي الوجه الآخر للمواردة المذكورة سابقا في أنواع السرقات و هي تمثل العرض ، و ما نذكره هنا يمثل جوهر هذه المواردة ، و قد ذكر ابن رشيق في الأنموذج أمثلة كثيرة في خصوص هذه الجزئية، من ذلك ما قاله عقب إيراده لشعر ابن سفيان الصيرفي الذي يقول فيه :

و جُرْدٌ غَرابيبُ و مُرْدٌ غَطَارِفُ   و سُمْرٌ سَلَاهِيبُ و شِيبٌ أَكَارِمُ

تخب بهم يوم اللّقـاءِ كأنَّهـــا   زعازِعِ ريحٍ زمّهـــنَ الشّكائـــمُ

قال ابن رشيق : "فهذا كلام منتقى ليس فوقه مرتقى ، اتبع فيه أو **وارد** ، و مازال الناس على هذا غير أن الحاذق من باعد" [2]، لكنه لم يذكر من وارد الصيرفي في شعره .

هذه المبررات الثلاثة السابقة ترشدنا إلى بعض المفاهيم الفنية التي أومأ إليها ابن رشيق في قراضة الذهب خاصة ، و أكدها بالفعل في الأنموذج و هي :

1- فتح باب القول:

تماشيا مع منهج ابن رشيق العام الذي قرّره في هذه المسألة من كون أن الشعراء في عملهم الابداعي لا يمكنهم الاستغناء أو إقصاء الموروث الأدبي الذي سبقهم ، بل هم مضطرون إلى الاعتماد عليه

1)- هذه الأفكار منثورة عند ابن رشيق في قراضة الذهب ينظر ص 20 و ما بعدها ، و ينظر الشيخ بوقربة ، النقد المنهجي عند ابن رشيق ص 245 .

2)- ابن رشيق، الأنموذج ص 99 ، 100 .

للإبداع ، لذلك فأن يستلهم الشاعر معنى لطيفا يؤسس به مفهوما جماليا جديدا في شعره فهذا من صميم العملية الشعرية ، و هو ما يعبّر عنه ابن رشيق بـ فتح باب القول[1] و مثاله في الأنموذج :

قال في ترجمة عمران بن سليمان المسيلي: **"**ليس قِبَلَه كبير معرفة **فكنت أناوله المعاني و أفتح له أبواب الكلام** إلى أن دخل الجملة و أنشد في المحافل ومدح الأشراف**"** [2]**.**

و في إشارة قريبة منه كذلك قال **:"** و تذاكرت يوما مرة أنا و أبو العباس ابن حديدة ما قيل في دنو السحاب فعرض لنا قول محمود بن الحسين كشاجم في سحابة وصفها :

دَنَتْ من الأرضِ على كلالِها   كأنّمَا تسألهُا عن حالِها

فقلت لو أشار إلى العناق لكان أوصف فأنشدني في الغد من قصيدة :

يا رُبَّ مُثقلةٍ تنوءُ بِثِقلِهَا   تَسقِي البِلادَ بوابِلٍ غيْدَاقِ [3]

2 - **توليد المعاني و ابتكارها**[4]**:** هذا المفهوم يذكره ابن رشيق كذلك ليؤكد على أن كل ما يقوله من تلاقح للخواطر و المعاني بين الشعراء لا ينفي أن من الشعراء الكثير ممن يقدر على توليد معاني جديدة و ابتكارها ، للدلالة على أن نبع الابداع لا يجف، ومن أمثلته في الأنموذج **:**

ماقاله في ابن حربون **"** و قد تصفحت جميع ما **رأيت له من الشعر فلم أجده ولّد معنى انفرد به و لا زاده .... "** [5]**.**

وقال كذلك في محمد بن أبي علي معلقا على بيتيه التاليين :

و أيّامُنَا في مُنَى الصالحَاتِ   مَضَيْنَ و نحنُ لها عشّقُ

كأنَّ محباً توقَّى الفِّــــــراقَ   دعا فأمْشَى له الأَينُقُ

1)- ابن رشيق ، قراضة الذهب ص 41 ، 44 .

2)- ابن رشيق، الأنموذج ص 311 .

3)- المصدر نفسه ص 73 .

4)- عبد الفتاح كيليطو ، الكتابة و التناسخ ، ص 27 .

5)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 104 ، 106 .

"و هذا شعر سلس **و معنى بكر طريف جدا ، وما أظنه تعوطي و لا ابتذل"** [1].

و هذا المذهب لم يكن رأي ابن رشيق وحده كما يبدو بل كان موقفا جمْعيا متعارفا عليه في ذلك الزمن حيث ينقل في الأنموذج قول الأربسي في حق النهشلي :"هو **مؤلف كلام غير مخترع** فأغلظت له في الجواب"[2] ، حيث يؤكد ابن رشيق من خلال دفاعه عن شيخه أنه كان مؤمنا تماما بالإبداع و الابتكار في الشعر رغم ما أفاض به في قضايا الأخذ الأدبي و توارد الأفكار و الخواطر.

3 - **الأخذ الأدبي:** مصطلح الأخذ الذي يتكرّر كثيرا عند ابن رشيق كبديل لمصطلح السرقة في مختلف كتبه ، يلخص لنا تصوره لهذه المسألة بكل التأصيل النظري والتطبيق العملي الذي سبق ، حيث أن ابن رشيق في كتابه الأنموذج في كل المواضع السبعة والعشرين التي تعرّض فيها لمسألة السرقات لم يذكر هذا المصطلح -السرقة- بل عبّر عنها بمصطلح الأخذ[3] أومصطلحات أخرى إلا في موضع وحيد و ذكر حينها أنه تعمّد التحامل على أحد الشيوخ وهو الأربسي لما غضّ من شيخه عبد الكريم وقال هو**"مؤلف كلام غير مخترع** فأغلظت له في الجواب ، فالتفت إلى منكرا علي ، و قال:و أنت و ما دخولك بين الشيوخ يا بني ؟ فقلت و من يكون الشيخ أبقاه الله ؟

فعرفني بنفسه ثم أخرج رقعة بخطه فيها من شعره :

إياةُ الشَّمسِ حواهُ جسمُ لؤلؤةٍ   تغيبُ من لطفٍ فيهـا و لم تغِبِ
صفراءُ مثل النضار السُكب لابسةً   درعا مكلّلـة دُرًا مـن الحُبَبِ
لم يترِكِ الدهرُ منها غير رائحةٍ   تضوّعتْ وَسَنًا ينسـاحُ كالّلهَبِ
إذا النديمُ تَلَقَّاهَـا ليشربَهَـا   صاغتْ لهُ الرّاحَ أطرافا من الذّهبِ

فقال كيف رأيت :

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 347 ، 349 .

2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 425 ، 429 .

3)- استخدم هذا المصطلح كذلك الدكتور محمد مرتاض عند مناقشته لمسألة السرقة عند نقاد المغرب العربي ، انظر:محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، ص 73 .

فقلت: -وأردت الاشتطاط عليه- : أما البيت الأول فناقص الصنعة مسروق المعنى"[1].

كل هذا يعتبر مؤشرا من ابن رشيق لتحفّظه أوتعقلّه في استخدام هذه الوسيلة بهذا المصطلح الموحي بالتهمة، بالنظر للسياق الزمني المتأخر ، أين حُفِظ الشعر و دُوِّن ، و انتشرت مجالس الإنشاد و اشتهرت منتدياته ، بقدر يضيِّق مجال السرقة و الانتحال ، و إن استخدم ابن رشيق هذا المصطلح في العمدة فالأمر حسب رأيي لا يعدو رغبة منه في عدم الخروج عن العرف العلمي الذي اشتهر في تلك المرحلة عند مختلف النقاد و المصنّفين ، و الحقّ أن هذا المصطلح هو الأنسب في الاستعمال في حق الشعراء لما يحمله مصطلح السرقة من الاتهام ، خاصة أن استعمال مصطلح السرقة لا يعدو أن يكون عرفا علميا كما سبق، و إن كان بعض الباحثين المعاصرين يميلون إلى استخدام مصطلح "الخلق الأدبي" ، لكن يبق مصطلح "الأخذ" هو الأنسب لما يحمله الأول من تحفظ ديني يُستَحسن عدم إغفاله .

و كمثال لاستخدام ابن رشيق لهذا المصطلح في الأنموذج ما ذكره في ترجمة الحروري النحوي : من شعره:

بِهِ السُّحْبُ تُرْجَى و الصواعق تُتَّقَى	ومـاءُ الحَيَا ينهلُّ و النّارُ تحرقُ
هنالِكُمُ يُلقِـــي العصيَّ معاشِـــرٌ	سوى ما شدا طيرُ الفلاة المحلَّقُ
و يرتفعُ الحزنُ الصليبُ عجاجـــةً	علـــى أنَّهُ من وابلِ الدّم مغدقُ

قال ابن رشيق : أخذ هذا المعني من قولي :

ملكٌ بل بالدماءِ تَرَى الأر	ضَ فَمَا للجيوشِ فِيها غُبَارُ [2]

و ذكره كذلك في ترجمة الشريف الزيدي : من شعره و قد عمد إلى إجانتين من الشراب فوجد إحداهما قد صارت خلا :

رُبَّ أختيْن أمستا طوعَ ملكي	نجل أم تصبو إليها الرجـــــــالُ
هذه حسنُها مقيمٌ و هـــــذي	غيَّرتْ حسنَ حَالهَا الأحـــــوالُ
فافتضاض الحسناءِ سهلٌ حرامٌ	و افتضاض السوآءِ صعبٌ حلالُ

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 425 ، 429 .
2)- المصدر نفسه ص 162 ، 166 .

قال ابن رشيق أخذ البيت الأخير من قول ابن هرمة ، و قد توعدّه الحسن بن زيد في شرب الخمر :

أرى طيبَ الحلالِ علي خُبْثاً   و طيبُ النفْسِ في خُبْثِ الحرامِ (1)

و قال في ترجمة قرهب بن جابر الخزاعي: من شعره :

هُدِّدتُ بالسلطانِ فيكَ و إنّما   أخشى صدودَكَ لا منَ السلطانِ

أهوى الملامةَ فيكَ حتى لو دَرَى   أخْذَ الرشا مني الذي يلحـــــانِي

حسبي لقولِ النّاسِ بعد منيّتِــي   هـــــذا قتيـلٌ في وِدادِ فـــــلانِ

قال ابن رشيق : أخذه من قول أبي الشيص ، وزاد فيه :

أجدُ الملامةَ في هواكَ لذيذةً   حُباً لذِكرِكَ فليَلُمني اللُوَّمُ (2)

و غيرها من المواضع الأخرى الكثيرة التي يعبر فيها بمصطلح الأخذ أو بمصطلح مقارب له، بمجموع سبعة و عشرين موضعا أي سبع و عشرين ترجمة من مجموع مائة أي أنه عدد معتبر يصل إلى حدود الثلث ، ما يدلنا على اهتمام ابن رشيق بقضية السرقة التي اهتم فيها كثيرا بالجوانب الشكلية والدلالية للنصوص و أهمل على ما يبدو فعل الشعراء ليتجنّب مغبة السقوط في التهم و الصراع المخرج من العملية الأدبية ، ثم إنه بفعله هذا يطبق ما قرّره من صعوبة الفصل في هذه المسألة إلا عن الحذاق في الأدب و النقد ، و توقفه في الحكم المباشر لا يعني عجزه أو تخلّفه عن هؤلاء الحذاق بما أنه شرح الشواهد و الأمثلة بقدر لا بأس به ، و بتركيز ابن رشيق على النصوص و تواردها و تداخلها ، وغضه الطرف قليلا عن المبدعين أو المؤلفين يحصل بذلك في تفكيره اتفاق مع بعض النظريات الحديثة في علم الأدب و هي نظرية التناص كما هي معروفة عند جوليا كريستيفا و جيرار جينت وغيرهم ، كما يقول بعض الباحثين المعاصرين ، لأن هذه النظرية جاءت معتمدة على مبدأ موت المؤلف ، أي أن النصوص هي التي تتفاعل و تتداخل (3)، أي أن السرقات الأدبية و نظرية التناص تلتقيان في هامش محدود ، و ذكري لهذا الالتقاء بينهم من باب الإشارة المعرفية و ليس لغرض تأكيد الأسبقية أو نفيها فهذا النهج غير مجدي و يعبر عن عقد قد تكون نفسية حسب رأيي ، هذا مع

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 273 ، 276 .

2)- المصدر نفسه ص 324 ، 330 .

3)- سعيد سليم، التناص التراثي، الرواية الجزائرية نموذجا، عالم الكتاب الحديث، اربد/الأردن ،ط1، 2010م ص48، 49، وينظر مقال: وحيد بن بوعزيز ، لعبة التناص في النصوص ما بعد الكولونيالية –نص سيمورغ لمحمد ديب - ، مجلة مقاليد ، مخبر النقد و مصطلحاته ، جامعة ورقلة ، العدد 03، ديسمبر 2012م ، ص 211 .

اقتناعي أنّ قضيّتي التناص و السرقات ، لا يمكن جمعهما في مبحث واحد على أساس أن فلسفة كل واحدة تختلف عن الأخرى و إن اتّفقتا من حيث بعض المظاهر الشكلية ، فالأولى قائمة على وفق الفكر البنوي ، بتقرير مبدأ موت المؤلف ، و الثانية جاءت في سياق تاريخي متقدّم جدا الغرض منها نقد منتوج المؤلفين و الشعراء ، لكن هذا لا ينفي إمكانية إفادة الأولى من الثانية لكنه يبقى مجرد احتمال، البحث العلمي مستقبلا كفيل بتأكيده أو نفيه .

في نهاية مناقشة هذه القضية يمكن القول أن ابن رشيق كان متزّنا في فكره و قوله في معالجة هذه القضية حيث أنه لم يدخل في مساجلات الاتهام و التعصب كما وقع لبعض النقّاد ، بل عالج المسألة بكثير من الموضوعية و التفتح و الاعتدال ، و كان متوازنا مع نفسه كذلك من خلال مؤلفاته التي يأخذ بعضها بأعناق بعض ، حيث أن ما يقرّره في العمدة و القراضة لا يتعارض مع ما يثبته في الأنموذج بل يؤكده و يعضده بالفعل و الفكر ، و هذا الفكر أفاده كثيرا في ترجماته في كتاب الأنموذج إذ جاء مؤلفا لخدمة أغراض أدبية متخصصة ، وفق منهج تأليف ناقد و هادف ، ما يجعل كتاب الأنموذج ليس مجرد كتاب تراجم كبقية المصنفات .

المطلب الثاني : الطبع و الصنعة :

احتلت قضيّة الطبع و الصنعة مكانة مهمّة في الدّراسات النقدية و البلاغية العربية ، و أغلب الكتابات التراثية لا تتجاوز هذه المسألة لأنها تبحث في أصل الإبداع الأدبي ، و هي بذلك تثير جدلا كبيرا بين النقاد و البلاغيين من نواحي عديدة ، منها المفهوم ، و تصنيف الشعراء ، و مرتبة الطبع و الصنعة و موقع كل واحدة عند الشعراء و النقاد و غير ذلك .

يرى الكثير من المنظّرين في مجال النقد أن الطبع المقصود به الموهبة الفطرية لدى الأديب، التي تكون له بمحض الطبيعة الإلهية ، و هي بذلك غير متاحة للجميع إلا لمن حُبي بهذه الموهبة، و هي مع ذلك أيضا الأصل الذي يعتمد عليه كلّ مبدع ، و إلاّ كان إنتاجه مَواتا، يقول ابن الأثير : "وكيف تتقيد المعاني المخترعة بقيد ، أو يفتح إليها طريق تسلكه ، و هي تأتي من فيض إلهي بغير تعليم ، و لهذا اختص بها بعض الناثرين و الناظمين دون بعض"[1] ، أما الصنعة فهي الملكة

1)- ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، دار الرفاعي ، الرياض، ط2،1983م ، 2 /58 .

المكتسبة عن طريق التعلم والدربة و الممارسة [1]، و لم يشتهر تفضيل النقاد احد الجانبين على الآخر مطلقا رغم إجماعهم على ثبات ركن الطبع ، إلا أنه قد نفهم من بعض النصوص ميول بعض النقاد إلى أحدهما ، مثلما ينسب إلى بشر بن المعتمر قوله بالطبع[2] ، و نسبة الأصمعي إلى الصنعة [3] ، و مهما يكن من أمر فهذا لا يعدو أن يكون تفضيلا ذوقيا أو مشروطا و ليس مطلقا ، إذ ثبت أنّ كبار الشعراء كانوا يحرصون على صناعة شعرهم و تنقيحه و مراجعته مثل زهير بن أبي سلمى [4].

لكن نجد لدى بعض النقاد خطابا جامعا و موفّقا كما هو الحال عند الجرجاني الذي يقول : "إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع و الرواية و الذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز ، و بقدر نصيبه تكون مرتبته من الإحسان" [5]، هذا النص هو الذي يثبت جوهر هذه القضية و مكانتها في الدرس النقدي ، والعلاقة بين الطبع و الصنعة ، و أنّ النقاش الذي حصل بين النقاد و البلاغيين ليس بسبب التضاد بين الطبع و الصنعة ، و إنما بسبب اختلال ميزان التعامل معهما في العمل الأدبي عند المبدع أوالناقد.

ابن رشيق في كتابه العمدة كما اعتدنا منه فإن مقولته لا تختلف كثيرا عن مذهب الجرجاني ، لكنه أحسن التقسيم و التمثيل ، و استفاد من مقولات السابقين حق الاستفادة ، إذ يرى أن الطبع و الصنعة مذهبان مضطردان في الشعر و أن الصنعة ليس المستقبح منها إلا التكلّف الذي يشين الشعر أما تحسين اللفظ و تجويد صناعته و إحكام معناه فذلك من محاسن الشعر ، كما هو واضح من عبارته التالية : "و من الشعر مطبوع و مصنوع ، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا و عليه المدار ، و المصنوع و إن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلّفا تكلّف أشعار المولدين لكن وقع فيه هذا

---

1)- ابن رشيق، العمدة 208/1 .

2)- عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى: 255هـ) ، البيان و التبيّن ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، 1423 هـ، 1/ 138 .

3)- ابن رشيق ، العمدة 1 /208 ، الشيخ بوقربة ، النقد المنهجي عند ابن رشيق ص 142 .

4)- ابن رشيق ، العمدة 1/ 208 .

5)- الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي و خصومه ص 15 .

النوع الذي سموْه صنعة من غير قصد و لا تعمّل لكن بطباع القوم عفوا فاستحسنوه و مالوا إليه"[1]، فابن رشيق يؤكد أن التصنّع غير مقصود لذاته و إلا كان سوءة ، فحسن الصناعة مطلوب والتكلّف موضوع ، فالشأن في الطبع و الصنعة كما هو في العلاقة بين اللفظ و المعنى ، يكمّلان بعضهما.

و هو التوجّه هو الذي أسّس تصنيف الشعراء لدى ابن رشيق في كتاب الأنموذج على ضوئه، إذ قد يمدح شاعرا بحسن جمعه بين الطبع و الصنعة أو إحداهما ، و قد يثلبه كذلك بهما أو بواحدة فقط ، و قد يمدحه بالواحدة و يسقط عنه الثانية ، و هذا ليس اضطرابا ، بل تتبعا لإجادة الشاعر أوضعفه، جريا على ما قرّره في العمدة ، فلقد نقد ابن رشيق الكثير من الشعراء بالطبع و الصنعة معا مثل : عمران بن سليمان المسيلي الذي قال فيه :" كان شاعرا مطبوعا ، سريع الصنعة جسورا على الكلام و المعاني الأبكار" [2]، و قال في القفصي البزاز: "شاعر قوي الطبع مهول يقرع السمع ويحزن في أكثر كلامه و لا يسهل إلا قليلا مع قوة ظاهرة كأنه نجدي ، و يهمل الصنعة بالجملة" [3] ، وفي القزاز : " كان له شعر جيد مطبوع مصنوع ربما جاء به مفاكهة و ممالحة من غير تحفّز له و لا تحفّل[4] ، و غير هذه الأمثلة كثير في كل تراجم الأنموذج تقريبا ، و كثيرا ما يفرد ابن رشيق النقد بالطبع فقط في إشارة منه أن الشاعر يكفيه أن يكون مطبوعا مع بعض الميل الذي نلمسه من ابن رشيق تجاه الطبع من ذلك ، ما قاله في خلف بن أحمد السعدي " كان شاعرا مطبوعا" [5] ، و في ابن البقال الضرير: "و كان شاعرا مطبوعا يلقي الكلام إلقاء و يسلك طريق أبي العتاهية" [6] ، وفي الدركادو: "شاعر غزل الشعر مطبوع موجز الكلام" [7] ، و في عمار بن علي بن جميل : "كان قادرا

---

1)- ابن رشيق ، العمدة 1/ 208 .

2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 311 .

3)- المصدر نفسه ص 320 .

4)- المصدر نفسه ص 365 ، 369 .

5)- المصدر نفسه ص 126 .

6)- المصدر نفسه ص 158 ، 159 .

7)- المصدر نفسه 225 .

على الشعر متوسط الطبع ، يحب حوشي الكلام و عويص اللغة يرى ذلك قوة و فصاحة"[1]، و غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي يلاحظ أن ابن رشيق كان حريصا جدا على إبراز جانب الطبع لدى الشعراء الذين ترجم لهم و هذا مؤكد لأهميته الأدبية ، يضاف إليه أنه لم يورد الطبع في أي موضع مع أي صفة نقص كما هو الحال مع الصنعة كما سيأتي ، إلا في المثال الأخير لما وصف عمار بن علي أنه متوسط الطبع ، و هي ليست صفة تقدمه أو تؤخره بقدر ما هي حكم نقدي يعكس حقيقة وواقع الشاعر و مرتبته ، و كتأكيد من ابن رشيق لمذهبه في الطبع و الصنعة يورد في كثير من الترجمات بعض الأحكام التي يمدح فيها التصنّع منها ما قاله في ابن زنجي الكاتب:**"**كان شاعرا بارعا يتعب في صنعته و يجيدها" [2] ، و ما قاله كذلك في ابن الخواص الكفيف : "منقاد الطبع لا يتكلف التصنيع" [3] يعني أنه أن كان يتصنع في غير تكلّف ، و في علي بن أبي علي الناسخ : "شاعر مجيد يطلب البديع و يحب التصنيع و يحرص عليه و يحترس من توابع الانتقاد" [4] ، يعني أنه يفرق بين ما يمدح من التصنيع و ما يستقبح ، هذه النصوص و غيرها تأكيد من ابن رشيق لمبدئه بأن التصنيع في الشعر مطلوب ما لم يصبح تكلّفا يظهر ثقله و أثره على جودة الشعر ، ويخرج به على ما تعارف عليه الناس بناء على ما قرّره من مراعاة للبيئة في قول الشعر و نقده .

و إن كان ابن رشيق قد شكر التصنّع لبعض الشعراء فطبيعي أن يستهجنه لدى البعض و من دون شك هم أولئك الذين تكلفوه و أرادوه لذاته من مثل أبو الفتوح بن محمد الذي قال فيه : "شعره سهل وطيء **لا يتكلفه فإذا تكلف ، ظهر عليه أثر ذلك"** [5] ، لأن التكلف إذا ظهر على عمل الشاعر أوحى بضعف مقدرته الإبداعية ، و مجمل القول أن ابن رشيق لا يستقبح الصنعة من الشاعر إلا إذا كانت سببا في أحد أمرين :

---

1)- المصدر نفسه ص 305 .

2)- ابن رشيق ، الأنموذج 107 ، 110 .

3)- المصدر نفسه ، ص 151 ، 153 .

4)- المصدر نفسه ص 261 ، 263 .

5)- المصدر نفسه ص 69 .

الأول: التكلّف و التعقيد

قال ابن رشيق ذلك صراحة في الأنموذج عند تعليقه على شعر لابن أبي النوق الطبيب : "فأنت ترى الطبع كيف حمل هذا المعنى كما تحمل الأرواح الأجسام ، ولو وضع بين فسطاط المحرزين و حمل على مذاهب المتعصبين لرأيته أثقل من العذل و أقتل من الجهل **لأن التصنّع تكلف والتكلّف مغصوب مكره** " (1) ، و هذا الموقف كرّره ابن رشيق في كثير من التراجم متى ما استدعى النقد منه ذلك و لقد سبقت بعض الأمثلة على ذلك .

الثاني: عدم الانسجام

عدم الانسجام يؤدي إلى نفرة الأذن من سماع النص و هو من عيوب الكلام التي قرّرها علماء البلاغة في مباحث الفصاحة و البلاغة(2) ، و الصنعة متى ما أدت إلى ذلك صارت عيبا ، وقد يوقع الشاعر في ذلك حبّه للإغراب أو التعالي و المغالبة، قال ابن رشيق معلّقا على هذه الأبيات لـ حسين بن علي الصيرفي :

قَلَقْتُ فيكَ هذه — هذه كيف تَقلـــقُ
قَرِفتُ يمُـن ميــــةٍ — هي من مي تُفْرَقُ
قتري لحن مقتفِ — فَتَقَ من حل يُرْتَقُ

قال : كل بيت من هذه الأبيات يقرأ معكوسا و هو قدرة على الكلام ليس فيه انسجام (3).

و خلاصة القول ، فإن ابن رشيق في كتاب الأنموذج يقيمنا على منهج قويم في استخدام قضية الطبع و الصنعة في نقد الشعر و الشعراء ، سمة هذا المنهج الموضوعية و الاتزان ، رغم ما نلمسه من ابن رشيق من ميل نحو الطبع ، و هو ميل ذاتي ذوقي لا يخلو منه النقد و لا ينكره ، و هذا المنهج كذلك يطلعنا على طبيعة العلاقة بين الطبع و الصنعة التي ينبغي أن تكون علاقة تكامل ، شأنها شأن قضية اللفظ و المعنى ، و حين استخدامها كمعيار للنقد لا بد من مراعاة السياقات المحيطة بالشعر و الشاعر كالتاريخ و البيئة و الحالة الاجتماعية و غير ذلك .

إضافة إلى ذلك نلاحظ كذلك أن ابن رشيق استخدم قضية الطبع و الصنعة كمعيار ثابت في نقد شعراء الأنموذج و تصنيفهم .

1)- ابن رشيق ، الأنموذج 241 ، 242 .
2)- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط 1 ، 2002 م ، ص 6 .
3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 120 ، 122 .

المطلب الثالث : القديم و الحديث :

عرفت الدولة العباسية مظاهر اجتماعية و ثقافية و حضارية جديدة لم يألفها الإنسان العربي البسيط ، هذه المظاهر جاءت مع الانفتاح الكبير الذي عرفته بلاد العرب بفضل مجيء الإسلام وتوسع بلاد العرب و احتكاكها بالحضارات الأجنبية ، فعاشت التمدّن الحقيقي بكل قيمه الحضارية الذي غيّر العربي و طوّره انطلاقا من ثوابته الأصيلة التي تميزه ، و لا غرابة أن يمسّ هذا التغيير اللسان العربي و أدبه، بفنونه النثرية و الشعرية ، لكن الحقّ أن التطور الشعري قوبل بردة فعل عنيفة لها ما يبررها ، فالعرب منذ الجاهلية تعتبر الشعر أظهر فنون القول، لكن بعد مجيء الإسلام وظهور دوله عرف الشعر بعض الارتياب عبّر عنه الجاحظ بالضعف[1] ، وأيا كان الأمر فإن الشعر ظلّ بقوّته ومكانته ، إلى أن تحقّق الخروجُ على عموده في عز الدولة العباسية أو قبلها قليلا، فانقسم أهل الأدب فئتان : فئة تبغي الأصالة و تقدّمها ، و فئة تؤيد الحداثة و تناصرها.

مثّل الفريق الأول لغويون يُشهد لهم بالفضل في حفظ اللسان العربي ، مثل الأصمعي و ابن الأعرابي[2] و أبي عمرو بن العلاء و غيرهم، و مثّل الفريق الثاني أدباء لا تنكر مساهمتهم في تطوير الذوق الأدبي و مواكبته لعصره ، مثل عبد الله ابن المعتز ، و أبو بكر الصولي [3]، و الحاتمي [4] والحسن بن بشر الآمدي[5] و غيرهم ، مع ملاحظة أن كل هذه المواقف تتسم لدى بعضهم بالغموض أحيانا وبالتعصب أحيانا أخرى ، لذلك قام فريق ثالث معتدل مثّله ابن قتيبة و الجرجاني وابن رشيق القيرواني وآخرون، و لا ينكر كذلك ما لعبته التهم غير الأدبية في تأجيج حدة هذا

---

1)- عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى: 255هـ)الحيوان ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1424هـ 128/7 .

2)- أبو عبيد الله المرزباني ، الموشح (مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر) تح: محمد علي البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة،1965م ، ص 313 ، و معجم الأدباء ، 43/6 .

3)- أخبار أبي تمام ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت/لبنان ، ط3، 1980م، مقدمة الكتاب اهـ .

4)- إبراهيم الحصري ، زهر الآداب و ثمر الألباب 3 /655 ، 665 .

5)- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى: 370 هـ) ، الموازنة بين الطائيين (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) ، دار المعارف ط4 ، مكتبة الخانجي ط1، 1994 م، 20/1 ، محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، نهضة مصر للطباعة ، ص 75 .

الصراع مثل ما اتهم به أبو نواس من الشعوبية[1] ، و أبو تمام من الكفر[2] و المتنبي بالزندقة وغير ذلك ، اللهم إلا ما اعتذر به ابن رشيق لبعضهم من مناصري القديم ببحثهم عن الشاهد[3] فذلك معقول فالحديث أو الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أما غير ذلك فهي تهم سياسية بأغطية دينية، أوتنافس عصبي لأنّ بعض الشعراء لم يكونوا عربا خلّصا .

اتخذ ابن رشيق من هذه المسألة موقفا عادلا متوازنا محايدا قوامه أن المعيار الزمني قاصر في العملية الأدبية إذ أن كلّ قديم هو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله كما نقله عن ابن قتيبة،إذ أن الله تعالى لم يخص فئة بالكلام و فنونه عن أخرى [4]، و كأن ابن رشيق يتساءل مع نفسه عن سبب معلّل يدفع دعاة القديم لتفضيله إذ لا يوجد أكثر من التقديس الديني و هو منتف عنه .

بل يَلْمَحُ الناظر لموقف ابن رشيق استغرابا منه للتفريق بين القدماء و المحدثين و هو الذي يعتبر مهامهم تكاملية ، كل فريق في سياقه و زمانه إذ يقول: "مثل القدماء و المحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء فأحكمه و أتقنه ، ثم أتى الآخر فنقشه وزيّنه فالكلفة ظاهرة على هذا و إن حسن، والقدرة ظاهرة على ذاك و إن خشن"[5] ، هذا النص يبين كما سبق أن العمل الأدبي تكامل بين الأجيال مع أنه طابع مختلف بينهم حسب أزمانهم و خصوصياتهم ، مع مراعاة مميزات كل جيل من حيث اللغة و الزمان و المكان اللذان يؤثران في المبدع و إبداعه و المتلقي و الناقد على حد سواء ، كما أن التفضيل باعتبار الزمن يهدم سنة التراكم المعرفي التي هي سنة كونية لتطور الانسان ومعارفه فهي لصيقة بتطور العمران البشري و المادي ، لذلك ينقل مؤكدا ذلك نص شيخه عبد الكريم النهشلي الذي يقول فيه : "قد تختلف المقامات و الأزمنة و البلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر و يستحسن عن أهل بلد مالا يستحسن في غيره ، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما

---

1)- الشيخ بوقربة ، النقد المنهجي ص 173 .
2)- الصولي ، أخبار أبي تمام ص 172 .
3)- ابن رشيق ، العمدة ، 137/1 .
4)- المصدر نفسه 138/1 .
5)- المصدر نفسه 139/1 .

استجيد فيه و حسن استعماله عند أهله ..."[1] ، فهذا النص إضافة إلى ما فيه من بيان لتقديم عامل الجودة لا غير ، نلاحظ فيه كذلك اهتماما من ابن رشيق بالمتلقي الذي يستحسن و يفضّل حسب ثقافته و طبيعته وذوقه ، و استجابة المتلقي و تفاعله، هو الغرض من العملية الإبداعية ، والمفاضلة ستكون قاصرة إذا لم تراع ذلك .

هذا الموقف في عرض ابن رشيق لقضية القديم و الجديد انعكس في كتابه الأنموذج لدى ترجمته لبعض الأعلام حسب ضرورة الترجمة و ملاءمة المقام ، حيث يصرّح في بعض المواقف أن بعض الشعراء رغم قدرتهم اللغوية و الشعرية بالغوا في التمسك بمنهج القدامى في الشعر قالبا و معنى و لغة، ما نستشعر منه امتعاضا من ابن رشيق لهذا النهج الذي لم يكن موافقا لروح العصر الميالة للألفاظ اللطيفة و المعاني الخفيفة كما نلمسه عند ترجمته للأبرش البلوي إذ قال : "شاعر قديم معروف بحب الغريب من اللغة ، ويورد كثيرا في أشعاره من ذلك ، و لا يبالي بلفظه كيف وقع ، و ربما سهل طريقه فجاء وفق المراد"[2] ، فقوله: "شاعر قديم" نفهم منه أنه يكتب على طريقة القدامى و هذا ندركه لمآ يقول : "معروف بحب الغريب من اللغة"، و استخدام الغريب و الحوشي و الخشن من الألفاظ من طريقة القدامى ، وتذييل ابن رشيق القول بـ"و ربما سهل طريقه فجاء وفق المراد" دليل صريح على أنه لا يستحسن طريقة القدامى من أبناء جيله في بيئته و زمانه ، لأنه إضافة إلى إهمال الوظيفة التواصلية و الجمالية للشعر بهذه الطريقة في ذلك الزمن ، فإنه في الكثير من الأحيان اعتبر ذلك ضربا من التباهي و التفاخر و التظاهر بالمقدرة الشعرية ، ما يدخل الأدب و الفن في متاهات الصناعة اللفظية و العقد النفسية –مع أنه قد يكون مقدرة حقيقية سليقية– و يؤكد هذا ما ذكره في ترجمة عبد الله بن محمد البغدادي : "...و طريق عبد الله في الشعر خارجة عن طرقات أهل العصر تعاليا و تغاليا كأنه جاهلي المرمى ملوكي المنتمى ، قفري الأسلوب ، يخاله السامع فحلا يهدر و أسدا يزأر ، وله أمثال واستعارات على حدّة من الكلام و في جهة من البلاغة ... من شعره و قد ذكر حلول المريخ ودوران النجوم المتحدرة إلى طالعه :

---

1)- ابن رشيق ، العمدة 141/1 ، و عبد الكريم النهشلي ، الممتع في صناعة الشعر، دار المعارف ، الإسكندرية .

2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 182 .

و كأنهُ سيف الزّمان مجردًا   للنائبات فلا يزالُ خضيبًا
و كأنني لِتلاعُب الأيّام بي   رجلٌ لبستُ ثيابها مقلوباً

قال ابن رشيق : و هذا بديع لم أسمع مثله" (1) ، فابن رشيق بهذا التعليق يؤكّد أنّ ضابط التفضيل بين القديم والجديد هو مدى التوافق بين جموع المتلقين و النص مع تحقيق الجودة الفنية ، ويزيد هذا المعطى بيانا من خلال التهوين من أهمية الفارق الزمني و التفضيل على أساسه ، فيقول في ترجمة لابن قاضي ميله : "يسلك طريق ابن أبي ربيعة و أصحابه في نظم الأقوال و الحكايات ... صنع قصيدة في ثقة الدولة بصقلية ... و ما أعلم لأحد في وزنها و رويها مثلها ، فأجزل صلته وقرّب منزلته و ألحقه في أحد دواوين الخاصة ، من هذه القصيدة :

وَ عاذِلةٍ في بذْل ما مكلتْ يدِي   لراجٍ رجـــــاني دون صَحْب تعنّفُ
تقولُ إذا أفنيتُ ما صنتُ مـــدّة   و أحوجت من يعطيكه قلتُ يوسفُ

قال ابن رشيق : لو أن هذا الشعر لمن تقدم ذكره كابن أبي ربيعة و من سلك مسلكه لاستجيد لهم و ذكروا به و قدم على كثير من أشعارهم و لا عيب له إلا أنه متأخّر" (2) .

هذا النص الأخير نلمس منه اغتياظا من ابن رشيق تجاه ما جناه هذا التقسيم الزمني على الشعر ، حيث أنه أخّر أقواما كان حقهم التقدّم لا لشيء إلا لتأخرهم الزمني و هي حجة لا تستقيم ، لكنه مع ذلك يحافظ دائما على مبادئه التي قرّرها في مواضع كثيرة و هي أن الأفضلية للأجود و إن بدى أحيانا متعاطفا مع المحدثين متحاملا على الأقدمين فيعود لتأكيد قانونه المعتدل بل و يلّمح أنّ للأقدم فضل السبق و الأصل ، فيقول بعد إيراده لهذا الشعر لابن الصفار السوسي :

و أنستُ بالعلياء ناراً لها سنى   لليلَى بليلٍ قد دجا و تغضَّنَـــــا
و ما أوقدتُ إلا لخابطِ ظلمةٍ   مضلٍّ و ضيفٍ جاءَ يقتادُ ضيفَنَا
فما بلغا حتّى أكلاَّ و ألصقَـــا   قُلوصيْهما بالأرض من شدَّة الوَنى

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 204 ، 206 .
2)- المصدر نفسه ص 209 ، 213 .

" هذا كلام عربي صريح قلّما يأتي مثله للمتقدمين المحسنين فضلا عن المتأخرين لا سيما في مثل هذه القافية" [1] ، و قال في حق الشاعر القفصي الكفيف :"هو شاعر متقدّم ... متبع للعرب في أبنية أشعارها لا يعدو ذلك إلا قليلا ...قليل الاختراع" [2] ، فَعَقْدُ ابن رشيق في ترجمة ابن الصفار السوسي للمقارنةِ بين القدامى و المحدثين ووصفُه للقفصي الكفيف بالتقدّم في الشعر رغم أنه لا يزيد على محاكاة الأقدمين لدليل أنه يعتبرهم منطلقا أدبيا رغم ما في عبارته الأولى من الجراءة و بعض القسوة التي تحق له .

و كما سبق و أنّ من مبادئه التي قررها كذلك و هي عدم أحقية أحد بالقول في النص الذي نقله عن ابن قتيبة ، فإنه أكده في ترجمة القزاز فقال عنه"فضح المتقدمين و قطع ألسنة المتأخرين"[3]، فرغم أنه كما قلت سابقا أن عبارته أحيانا تكون قاسية كما في هذا الموضع في قوله:"فضح المتقدمين"، و للسائل أن يسأل ما للمتقدمين حتى نفضحهم و إنما قصده أنه بلغ مبلغهم من القول حتى ثبت أنه يمكنه القول مثلهم أو أعلى منهم كما يعتقده ابن رشيق ، فكأنه بذلك فضح بطلان مقولة "ما ترك الأول للآخر شيئا" و إلا فإن ابن رشيق أثبت في مواضع كثيرة سابقة اعترافه بالقدرة للسابقين ، لكنه بحكم عبقريته استطاع التخلص من عقدة الماضي و المقدّس ، فالكون لا يخلو من المقدّس لكن ليس فيما هو لغوي و أدبي رغم وجود القيم التي يعيش بها الإنسان.

و إشارات ابن رشيق في كتاب الأنموذج التي أومأ بها إلى قضية القديم و الجديد أكدت تخلّصة من عقدة التقديس للقديم التي استُنْكِحَ بها بعض الشعراء و النقّاد و اللغويين خصوصا في تلك الأزمنة المتقدمة ، كما أنّه لم يغتر ببهرج الحديث وزخرفه الذي جاء به المتأخرون، بل حكّم الذوق الذي ينبغي ، و استخدم المنطق الذي يحفظ للأدب مهامه الأدبية و يحفظ للغة فلسفتها الشكلية والدلالية .

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 265 ، 269 .
2)- المصدر نفسه ص 336 ، 339 .
3)- المصدر نفسه ص 365 ، 369 .

و مجمل القول أنّ تعامل ابن رشيق مع أعلام أنموذجه في قضية القديم و الجديد جاء وفقا لما أقرّه عن هذه المسألة في العمدة و ما سبق من أمثلة يؤكد ذلك .

كما أن كلامه في هذه المسألة بقي حيا رغم بعد المسافة بين الزمن الذي عاش فيه والذي نحن فيه ، و مناقشته بهذه الطريقة في تلك الفترة تحمل الكثير من الإشارات عن شخصيته التي كانت تتمتع بالكثير من الحرية و التفتح و بعد الأفق بالإضافة إلى استشعار كنه الذوق الأدبي والعيش في كنف القيم الحية و الثابتة للمجتمع و البعد الجمالي للغة و الشعر .

المطلب الرابع : اللفظ و المعنى :

اهتم الفكر الإنساني من لدن اليونان بقضية اللفظ و المعنى ، إلى عصرنا الحاضر بما يعرف بالعلاقة بين الدال و المدلول في الدراسات اللسانية ، فهي إذن ليست مسألة مستحدثة ، لكنها عرفت نقاشا كبيرا و جدلا واسعا عند العرب و هذا في إطار اهتمامهم بالمعايير الجمالية التي تعد من أسس الحكم على العمل الأدبي من الناحية الفنية [1].

اشتهر في هذا الصدد الجاحظ على أنه من المنافحين عن اللفظ و عبارته في الرد على أبي عمرو الشيباني في ذلك صريحة لمّا يقول : "المعاني مطروحة في الطريق ..."[2] ، لكن و الحق يقال أن حصر الجاحظ في هذا الجانب تقزيم ظالم لقامة كبيرة في الأدب العربي ، و نصوصه الأخرى الكثيرة تؤكد أنه احتفل كثيرا بالمعنى كذلك[3]، لذلك فإن موقفه يحتاج لمناقشة و قراءة متأنية ليس هذا محلها[4].

1)- محمد غنيني هلال ، النقد الأدبي الحديث نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، 2001م ، ص 257 .

2)- الجاحظ ، الحيوان 3 /131، 132 .

3)- إذ يقول مثلا :"و كلما كانت الدلالة أوضح و أفصح ، و كانت الإشارة أبين و أنور،كان أنفع و أنجع ، و الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عزّ و جلّ يمدحه و يدعو إليه و يحث عليه ... " الجاحظ، البيان و التبيّن 1 /75 .

4)- شوقي ضيف، النقد ، دار المعارف ،القاهرة ، ط5، ص 59، و إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص98،99 .

لكن مقولة الجاحظ هذه تسببت في نقاش كبير و التفّ حولها الكثير من العلماء و أسّسوا عليها موقفهم من منطلق أنّ الجاحظ يعتبر مصدرا في الأدب و النقد ، من بين هؤلاء أبو هلال العسكري[1]و آخرون كثر حتى قال ابن رشيق أن أكثر الناس على تفضيل اللفظ[2]، مع التأكيد أن آراء الكثيرين منهم تحتاج إلى إيضاح وتفصيل .

في المقابل نجد فئة أخرى اهتمت بالمعنى ، يأتي في مقدمتهم أبو الحسن الشيباني الذي أقام الجاحظ ثورته ضدّه ، و نحا هذا المنحى كذلك بعض الشعراء منهم المتنبي و ابن الرومي و يتضح توجه هؤلاء لما نجدهم يركزون على المقصد و لا يبالون بما يقع في اللفظ من هجنة أو خشونة أو قبح مثلما عيب على هذين الشاعرين ، كما نجد كذلك في هذا الصف قدامة بن جعفر والآمدي[3].

بينما نجد فريقا ثالثا من لم يفصل بين اللفظ و المعنى فصلا يرجّح جانبا على الآخر و يأتي في طليعة هؤلاء ابن قتيبة و آراؤه مبسوطة في كتابه الشعر و الشعراء [4]، و يمكن أن ندرج معه كذلك ابن طباطبا العلوي[5] ، و الباقلاني [6] ، لكن نستطيع أن نعتبر أهم علم في هذا الفريق هو الجرجاني الذي جاء بنظرية النظم (التآزر) التي تعتبر أن الكلمة لا يعرف معناها و نظمها إلا بحسب موقعها من الجملة ، وكذلك الجملة لا يظهر حسن نظمها إلا إذا ائتلفت مع بقيت الجمل[7] ، يعني أن معيار الجمال في الكلام يتأسس على التآلف بين اللفظ و المعنى .

و بما أنّ ابن رشيق من أشد المعجبين بالجرجاني فإن موقفه لا يختلف كثيرا عنه لكن يمكن أن نعتبر أن عبارة ابن رشيق كانت أكثر وضوحا ، حيث صرّح أنّ : "اللفظ جسم روحه المعنى و ارتباطه

---

1)- أبو هلال العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، الصناعتين ، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت، 1419 هـ ص 23، 42 .

2)- ابن رشيق ، العمدة 1 /127 .

3)- الجاحظ، الحيوان 3 /131 ، ابن رشيق ، العمدة 1 /126 ، الآمدي ، الموازنة 1 /397 ، إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص 323 .

4)- أبو محمد ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، الشعر والشعراء ، دار الحديث، القاهرة ، 1423 هـ ، 85/1 .

5)- محمد بن ابن طباطبا العلوي (المتوفى: 322هـ) ، عيار الشعر ، تح : عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ص 21 ، حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، دار الأندلس، بيروت/لبنان ، ط2، 1983م ، ص 130.

6)- أبو بكر الباقلاني ، إعجاز القرآن ، دار المعارف ، القاهرة/مصر ، ص 178 ، 180 .

7)- أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1995م ، تح: د.محمد التنجي ص 47 ، 49 .

به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه و يقوى بقوّته"[1]، معنى ذلك أن ابن رشيق يعتبر أنّ العلاقة بين اللفظ و المعنى يجب أن تكون على ارتباط تام لا يمكن الفصل بينهما ، وهو بذلك يخرجنا من صخب المواقف السابقة التي يخيّل لمقتحمها أن اللفظ و المعنى على عداوة مستديمة.

و موقف ابن رشيق هذا ليس مستغربا إذا أدركنا منهجه العام المعتدل في أغلب المسائل التي ناقشها ، و قد يعتبر البعض هذا التوسط ضعفا من ابن رشيق ، لكن هذا لا يتّجه في المنطق إذا رأينا كيف ناقش آراء سابقيه بطريقة سحرت ابن خلدون و عدها من أهم حسناته [2] ، فموقف ابن رشيق هذا جاء بعد إلمامه بآراء سابقيه و مناقشتها حقّ النقاش ، إضافة إلى إعمال ذوقه الأدبي وحسّه النقدي خاصّة بعد الاطّلاع على أرائه في نقد الشعراء .

و انعكس هذا الرأي من ابن رشيق بشكل مباشر على تراجمه للشعراء في كتاب الأنموذج ، حيث أنّه اعتبر قضية اللفظ و المعنى من المقاييس النقدية الثابتة التي يحكّم بها الشعراء ، من حيث حسن سبكهم للألفاظ و بثّهم للمعاني فيها ، و مجمل نظمهم الشعري و دليل ذلك ما أورده في ترجمة إسحاق الرافضي لما أثنى عليه أحدهم بحضرة ابن رشيق حيث قال : "أثنى عليه إسحاق و قال به و بأبي القاسم ختم الشعر، فقلت ليس إليه و لا منه في شيء ، ذاك صاحب معان ، و هذا طالب لفظ على تفاوت ما بين الكوفة و الأندلس" [3] ، حيث اقتصر نقد ابن رشيق هنا للشاعرين على منزلتهما من اللفظ و المعنى فقط ، ما يشعرنا بأهميتها النقدية في فكر و منهج ابن رشيق .

و بحكم توسّط ابن رشيق في هذه المسألة فإنّه لم يكن مع أصحاب اللفظ ضد أنصار المعنى أوالعكس ، بل نقد كل شاعر على حسب إجادته في اللفظ أو المعنى أو هما معا ، لذلك فإن قضية اللفظ و المعنى نجدها في كل تراجم الأنموذج تقريبا إمّا بشكل مباشر أو بمجرد التلميح ، و قد يكتفي أحيانا بإيراد جانب من الجوانب منها فقط حسب ما يقتضيه مقام النقد .

---

1)- ابن رشيق ، العمدة 1 /124 .

2)- ينظر عبد الرحمن ابن خلدون ، التاريخ ، المقدمة ، ص 791 .

3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 78 .

حيث ذكر ابن رشيق هذه المسألة بشكل صريح قارنا بين اللفظ و المعنى بشكل مباشر لأغراض نقدية مختلفة إما لتبيين قوة الشاعر أو ضعفه أو توسّطه أو توفقّه في اللفظ أو المعنى أو فيهما معا أو العكس ، من ذلك ما ذكره في ترجمة الحروري النحوي و عبد الله العطار ، حيث قال في الأول : "..شاعر مفلق ذو ألفاظ حسنة و معان متمكّنة" [1] ، و قال في الثاني : " شاعر حاذق نقي اللفظ جدا ، لطيف الإشارات" [2] ، هذان النصان في مطلع ترجمة كل شاعر فيها ، نجد مثالا لإيراد ابن رشيق هذه المسألة في كتاب الأنموذج ، و هما يدلان على مدى الأهمية التي يوليها ابن رشيق لهذه المسألة في الحكم على الشعراء و تصنيفهم ، إذ جعلها في مطلع الترجمة ، على أنّها هي رأس المعايير النقدية و هي الأسّ للبقية ، فالشاعر إذا أحسن المعنى و أجاد المبنى سهل عليه باقي الأمر ، و أدرك المتلقي مقام هذا الشاعر بين نظرائه و تمكّن من تفكيك و فهم نصوصه الأدبية، فثنائية اللفظ و المعنى مهمّة جدا في العملية الأدبية و في التركيبة اللسانية ، و الوظيفية اللغوية والإبلاغية .

و كما هو ظاهر من المثالين السابقين فإنّ ابن رشيق استخدم هذا المعيار النقدي بشكل صريح و قد يكتفي بمجرد الإشارة، أي بأحد لوازم اللفظ أو المعنى أو أحد مقاربهما مع الإتباع ببعض الصفات أو التعاليق التي ترفع أو تضع من مقدرة الشاعر ، و إليك بعض الأمثلة :

قال في ترجمة ابن الغطاس: جمع إلى رقة المعنى رشاقة اللفظ" [3] ، و في ترجمة التميمي الكموني : "شاعر فصيح الألفاظ حسن التقسيم ... عالم بأسرار الكلام إذا ركب معنى أجاده" [4] ، و في ترجمة الوراق السوسي "شاعر وطيء الكلام كلف بعذوبة اللفظ و التسلّل إلى المعنى البعيد بلطافة"[5]، و في ترجمة ابن الفكّاه : "شاعر بارع ... حسن الطريقة حلو في جزالة"[6] و في ترجمة

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 162 ، 166 .
2)- المصدر نفسه ص 198 ، 202 .
3)- المصدر نفسه ص 279 .
4)- المصدر نفسه ص 331 ، 335 .
5)- المصدر نفسه ص 390 ، 394 .
6)- المصدر نفسه ص 136 .

الزبنّي "حسن الطريقة فخم الكلام ، و ربما ركب الحلاوة أحيانا فجوّد " [1] و غيرها كثير ، وهذا التغيير في الأساليب من الجمع إلى الإفراد أو التعبير بالجزالة أو فخامة الكلام في إشارة إلى اللفظ يضفي على كتاب الأنموذج بعض الخفة الأدبية هروبا من ثقل رتابة العلم و ترداد مصطلحاته ، خاصة أن المصطلح النقدي في هذا الشأن في تلك المرحلة لم ينضبط بعد ، كما إن إلحاق ألفاظ مثل: الرشاقة و اللطافة و الحسن و الإجادة و العذوبة و الحلاوة و الجزالة و الخشونة و الحوشية وغيرها هي صفات يضيفها ابن رشيق للإشارة إلى موقفه النقدي منها على ضوء ما سبق تقريره من رأيه في المسألة عموما .

فمثلا : قال في عبد الملك الدركادو: "موجِز الكلام سافر أوجه المعاني ، تفهم نجواه من فحواه"[2] وهنا مدح الدركادو لحسن إظهاره للمعاني ، و هذه الترجمة من التراجم القليلة التي أفرد فيها ابن رشيق الحكم على أحد قسمي قضية اللفظ و المعنى كما فعل مع عتيق بن عبد العزيز المذحجي حيث قال عنه: لا يطلب إلا الوزن مسامحا لنفسه في العربية ، إن أعوزته لفظة صنعها على ما يشاء"[3] ، و قال في ابن جميل :" يحب حوشي الكلام و عويص اللغة يرى ذلك قوة و فصاحة ... كتب إليه محمد بن مغيث يعاتبه في تقّعره و تكلّفه و تخلّفه"[4] و في ترجمة عنترة التميمي التونسي قال : "علاّمة بالغريب بعيدا من استعماله ، يرى ذلك ثقلا" [5] ، و في الخولاني قال: "صاحب قواف شرّد و لغة عويصة إذا شاء ، و له قدرة على الكلام يأخذ من رقيقه و جزله"[6] وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي لو رحنا نعددها لنسخنا الكتاب كله ، لأنها مسألة محورية وأساسية في العملية النقدية، و في الأمثلة الأخيرة نلحظ كيف يعيب ابن رشيق بشكل واضح أو بإيماء الغرابة والحوشية و العويص و التقعّرَ و الغريب ، في الألفاظ ، كما يعترف كذلك لبعض الشعراء بمقدرتهم في

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 138 ، 139 .
2)- المصدر نفسه ص 225 .
3)- المصدر نفسه ص 248 .
4)- المصدر نفسه ص 305 .
5)- المصدر نفسه ص 314 ، 315 .
6)- المصدر نفسه ص 421 ، 423 .

التحكّم في الألفاظ ، و هذا تركيزا منه على النقد بالقدر التي يُبَلّغه مقصوده في الترجمة ، و يؤكّد كذلك أن معيار النقد هو الجودة المرجوة من الشعر لا أمرا آخر .

في نهاية مناقشة هذه المسألة يمكننا القول أن ابن رشيق أحسن استغلال هذه القضية في نقد شعراء أنموذجه ، تضعيفا و تقوية و تجويدا و تقبيحا ، و هذه الممارسة التطبيقية من ابن رشيق تطلعنا على حقيقة الخلاف الحاصل في هذه المسألة من خلال العملية الإبداعية و تأثير هذه القضية فيها، وليس الصراع النظري الذي عُرِف بين النقاد منذ زمن متقدم .

هذه الأحكام النقدية في هذه المسألة تمثّل على الأقلّ وجهة نظر ابن رشيق الناقد الكبير في هؤلاء الشعراء من خلال اللفظ و المعنى ، و هو كذلك يؤكد مذهبه الثابت و الواضح الذي قرّره في كتاب العمدة في هذا الصدد .

نخلص في نهاية هذا المبحث إلى القول أن قضايا الإبداع و المقدرة الأدبية تعتبر مقياسا يكاد يكون ثابتا عند ابن رشيق في نقده للشعراء و تبيين مرتبتهم الفنية في كتاب الأنموذج ، خاصة ما يتعلق بالطبع و الصنعة و القديم و الجديد ، و هذا وفق رؤية لا تتعارض مع ما هو مقرر في كتابه الآخر وهو العمدة ، الذي تتضح معالم موقف ابن رشيق النقدية فيه أكثر من خلال قراءتنا للأنموذج في ضوء نصوص العمدة ، و الشأن نفسه فيما يتعلق بقضية السرقات أو الأخذ الأدبي ، التي طبّق ابن رشيق لكل وجوهها تقريبا في الأنموذج بعد أن قرّرها نظريا في العمدة ، لذلك فإن هذه القضايا شغلت حيزا كبيرا في الأنموذج و إن لم يكن بشكل مباشر نظرا لطبيعة مادة تأليف الكتاب ، لكن إضافة إلى ذلك نجد نقدا مباشرا قدمه لنا ابن رشيق تمثل في النقد اللغوي و الفكري كما سنرى في المبحث التالي .

المبحث الثاني : قضايا النقد اللغوي و الفكري

المطلب الأول : النقد اللغوي و الفني

من أهم الملاحظات المهمة في كتاب الأنموذج أن ابن رشيق ملأ كتابه بكم هائل من التعليقات النقدية في مختلف نواحي الشعرية العربية سواء تعلق الأمر باللغة أو الأسلوب أو العروض أو المعاني و البيان و غير ذلك ، رغم أن ابن رشيق ألف كتابه بطريقة تشبه القواميس حيث نجد العبارة مباشرة و مقتضبة جدا ليس كما هو الحال عند الآمدي مثلا ، لأن التعليق كما يبدو غير مقصود عند ابن رشيق و إنما يرد بشكل عفوي وانطباعي غالبا ، لكن مع ذلك نجد رصيدا متميزا من هذا النقد الذي غلب عليه البحث اللغوي والأسلوبي و البلاغي مع شذرات من العروض والقوافي.

- **النقد اللغوي و الأسلوبي :**

يعتبر النقد اللغوي و الأسلوبي في كتاب الأنموذج صاحب الغلبة و نصوصه هي الأكثر طولا في إشارة إلى ميل ابن رشيق إلى هذا الجانب من النقد المتعلق بالجوانب الفنية و هذا منهج عام في فكر ابن رشيق الذي ينزع دائما إلى الاهتمام بالجوانب الأدبية و البعد عن الكثير من القضايا الأخرى مثل التاريخ مثلا كما نجده عند ابن سلام أو غيره .

و المطّلع على كتاب مهم في البلاغة و النقد ككتاب العمدة لابن رشيق لا يستغرب أن تغلب الانتقادات اللغوية و الفنية من ابن رشيق في كتاب كالأنموذج ، فنجد فيه مثلا أحيانا نقدا لغويا يتناول فيه مسائل لغوية بحتة أو نقدا موجه للغة الشاعر عموما ، مثال الأول : تعليقه عقب شعر لابن سفيان الصيرفي يقول فيه :

يا ليلةً بتُّ بهـــا مُعجبـًــا   ما كانَ أحلى طعمها في فَمي
بتُّ و بات البدر لي صاحِبًا   في مجلسٍ قد حُفَّ بالأَنْعُـــم
و كُلَّمَا حـــاوَلَ أن يهتدِي   نكس بالرأْسِ فِعْـــلَ الحَـــمِ

قال ابن رشيق : أما قوله :كفعل الحم : فإنما أشار إلى ما يفعله الحمام عند مناقرتها من تنكيس رؤوسها بسرعة و إيمائها بها [1] ، حيث شرح ابن رشيق المقصود من هذا البيت بشرح هذه المفردة لكنه لم يقل ماذا يسمى هذا الأسلوب ، و قريب منه ما علق به على شعر الفزاري الذي يقول فيه :

حتّى استقرّ بمغناهُمْ نوى قَذَفٍ   شطّتْ بهم عن كَئيبِ القَلْبِ مَعْمُودِ
استودِعُ اللهَ من ولّى و أودَعَنِـي   شوقًا إليهِ جـــــديدًا غير مجــــذُودِ

قال ابن رشيق: "قوله جديدا غير مجدود من عجيب الشعر ، و المجدود هنا : المحظوظ ، و لو جعلته من الجد الذي هو القطع ، كأنه قال غير مقطوع لكان جيدا ، و الأول أشهر" [2] ، و هنا يريد ابن رشيق توضيح ما تحتمله كلمة مجدود من الدلالات اللغوية و أثرها على بلاغة البيتين الشعريين ومعناهما ، و من نقده الموجه للغة الشعراء قوله في : عتيق المذحجي : "كان شاعرا شريرا منابشا هجاء معجبا بما يصنعه لا يرى أحدا مع نفسه و كان سريع البديهة ، مدلا على الكلام ، لا يطلب إلا الوزن مسامحا لنفسه في العربية ، إن أعوزته لفظة صنعها على ما يشاء"، ويروي بيتا شاهدا عليها فإن طولب به أحال على كتاب لم يسمع بذكره قط"[3] ، و قال في ابن غالب : " شاعر مذكور كثير الافتنان ، ريان الفنن ، واسع العطن في أنواع علوم الدين و الدنيا ... يذهب في الشعر كل مذهب ، و ينحو في الرجز نحوا عجيبا ، و يتعرب كثيرا" [4] ، و قال عقب أبيات للفزاري يقول فيها:

يا مَنْ عذيري مِن شوقِي و تَسهِيدي   و مَنْ معِيني على نوْحِي و تعْدِيدِي
أمْ هلّ ليلُ أَخِي الأحزانِ من أَمَــــدٍ   فينْقضِي فيه تَصْوِيبِي و تَصْعِيــــدِي

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 99 ، 100 .
2)- المصدر نفسه ص 412 .
3)- المصدر نفسه ص 248 .
4)- المصدر نفسه ص 289 ، 290 .

قال ابن رشيق: "و هذا من حرّ الكلام و نفيسه"(1) ، هذه أهم أشكال تعليقات ابن رشيق المتعلقة بالجوانب اللغوية ، التي من خلالها نستنتج طبيعة منهجه في تعامله مع لغة الشعراء ، كما أنه يظهر أهمية الجوانب اللغوية في مكانة الشاعر و اعتباره جزء من مقاييس النقد فيه .

- و من توابع النقد اللغوي في كتاب الأنموذج نجد نقد الأساليب و المعاني و هو النقد الأغلب و الأكثر في كتاب الأنموذج ، و طبيعته في الأنموذج نفس طبيعة النقد اللغوي إذ كما أسلفت أن كتاب الأنموذج يسير على منهج تأليف واحد مع بعض الاختلافات التي تفرضها معطيات المترجم لهم حيث إنها لا تؤثر على النسق العام لكتاب الأنموذج ، فابن رشيق يوجه ملاحظات أسلوبية متعلقة بقضايا جزئية متخصصة أحيانا حول بيت شعري معين ، كما أنه قد يورد ملاحظات عامة حول شعراء معينين و أساليبهم مثال الأول : ما قاله عقب هذه الأبيات لـ أبي حبيب:

خطّتْ يدُ الحُسْنِ على خدِّهِ لامًا من المِسكِ شديدُ السوادِ
حتىّ إذا جاءَ إلى نِصفـــــــه وهمّ أن يـــــزدادَ جفَّ المداد
فحُقّ لي فيه لِبـــــاسُ الضَّنى و قلَّ لي فيهِ لباسُ الحـــــدَادِ

- قال ابن رشيق : هذه إشارة ظريفة خفية خفيفة ، و لما قال جف المداد ، دل على انقطاع الخط و خفاء منتهاه ، فاستحق عند نفسه لذلك لبس الضنى مشاكلة ، و قال : "لباس الحداد" لما بينهما من المزية(2) ، و قال عقب بيتين لـ ابن غالب يقول فيهما :

سأصنعُ في ذمّ العذارِ بدائعًا فمنْ شاء يقضِي بالدليلِ كما أقضِي
ألا إنّهُ كاللّامِ و اللّامُ شأنُها إذا أُلصِقتْ بالاسمِ صارَ إلى الخفضِ

قال ابن رشيق: "و هذا كلام واسع محتمل لما شئت من الذم ، إن شئت الخفض انخفاضه للعمل المطلوب منه و إن شئت جعلته انخفاض حاله و قد صنع الناس في تشبيه العذار باللام

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 412 .
2)- المصدر نفسه ص 141، 144 .

كثيرا ، فلم أعلم أحدا سلك هذه الطريقة و لا نحا هذا المنحى"[1] ، و يقول عقب بيت أبي حديدة هذا :

و شَمَمْتُ وردَةَ خدِّهِ نظرًا و نرجِس مقلتيْهِ

فقلت له : لقد جودت و أحسنت في شمك بالنظر كسماع أبي الطيب بالبصر إذ يقول :

خَلقتْ صفاتُك في العيونِ كلامَهُ كالخطِّ يملأُ مسمعيْ من أبصرَا [2]

و قال عقب هذه الأبيات لأبي الحسن الكاتب :

تريكَ الشّقيقَ الغضّ منهَا محاجرَا مكحّلةً منها و خـدًا مضرّجَا

و تحسبُ نورَ الأقحوان إذا بـدَا و كفَّ الحيا يجلُوه ثغرا مُفْلجَا

كأنّ دنانيرًا بـه و دراهمًـا نثرْنَ عليهـا مُفردًا و مزوّجَا

" هذه صفات ملاح شبّه أوساط العقيق بالعيون المكحلة لسوادها ، و شبه الباقي بالخدود المضرجة لحمرته، و جعل أوساط الأقحوان دنانير لصفرتها و ما حولها دراهم لبياضه فكان جميع ذلك مليحا" [3] ، و قال ابن رشيق كذلك : " تذاكرت يوما مرة أنا و أبو العباس ابن حديدة ما قيل في دنو السحاب فعرض لنا قول محمود بن الحسين كشاجم في سحابة وصفها:

دنَتْ منَ الأرضِ على كلالهِا كأنّما تسألها عن حالهِـا

فقلت" لو أشار إلى العناق لكان أوصف"[4] ، وقال بعد أن ساق هذا البيت للرقيق القيرواني:

كأنّها روضةٌ زهراء حاليـةٌ بِنورِها ترتعي في حسنها الحدقُ

"لولا ذكر الحدق في هذا البيت يحلبه من نصف القصيدة بل هي فوق ذلك حسنا و ملاحة و إيجازا و فصاحة و ليس في ألفاظ الكتابة العذبة مثل ما أتى به لا مستزاد عليه ، ألا ترى كيف تأنق فأغرب ، و نمق فأعجب"[5] ، هذه بعض التعليقات و الانتقادات التفصيلية

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 289 ، 290 .

2)- المصدر نفسه ص 71 .

3)- المصدر نفسه ص 360 ، 363 .

4)- المصدر نفسه ص 71 .

5)- المصدر نفسه ص 59 .

لابن رشيق المتعلقة بالجوانب الأسلوبية و البلاغية ، و هي ملاحظات خاطفة و صفة العجلة و الذوقية الانطباعية بادية عليها .

و مثال الثاني : ما قاله عقب أبيات للرّقيق القيرواني منها :

تردّى نجيعًا حينَ بزّت ثيابُهُ   كأنّ على أعطافِه فضلُ مجسدِ
مضاءُ سنانٍ في سنان مذلقٍ   و فَتكُ حُسام في حسامٍ مهنّدِ

قال ابن رشيق :"حق الرثاء أن يكون مثيرا للشّجن مهيّجا للحزن على هذا الأسلوب و في هذا المعنى"[1] ، و قال في الأربسي:" يذهب إلى الفلسفة في شعره ، و يغرب في عباراته ، وربما تكلف قليلا" [2] ، و قال في إسحاق بن إبراهيم الرافضي : " كان اعتماده في الشعر على أبي القاسم بن هانئ ، و له كان يتعصب ، و إن جانب طريقته فلم يسلكها " [3]، وقال في الزواق الكتامي " في قصائده طول عريان الظاهر من حلية الأدب لغفلة في طبعه وثقل في سمعه"[4] ، و قال عقب هذه الابيات لقرهب الخزاعي :

إلى السيّد الماجِدِ الألمعيّ   تحثُّ الرّكابُ بزوّارِها
إلى ابْن أبي العربِ المرتجَى   تفرُّ الرجالُ بأخطارِهَا
فتدركُ غايةَ آمالهَا   و أعلى النّهايةِ من ثأْرهَا

قال ابن رشيق : الشاعر الحاذق يجعل الشعر كسوة للممدوح لائقة بشكله مناسبة لقدره لا تضيق عنه و لا تضطرب عليه ، و هذه الأبيات لبوس محمد بن أبي العرب لاشك لما جمع من شرف الوزارة و لطف الكتابة إلى شهامة الفؤاد و نوادر الشجعان الأجواد ، فقابله بكل فن فنا و بكل معنى معنى[5] ، و قال عقب هذين البيتين للقفصي الكفيف ، من شعره في وصف الخمر :

تهاوَى للزّجاجَةِ سلسبيلاً   كعين الشمس تهوِي للجنوحِ
كميتا لم تزلْ في الدنّ وقْفًا   على الأيّام من سامِ بنِ نوُحِ

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 64 .
2)- المصدر نفسه ص 425 ، 429 .
3)- المصدر نفسه ص 99 ، 100 .
4)- المصدر نفسه ص 226 ، 228 .
5)- المصدر نفسه ص 324 ، 330 .

"و هذا شعر طيار الألفاظ خفيفها ، نقي الأعطاف نظيفها ، حلو مسترسل ، خارج عن طريقته التي يستعمل"[1]، و قال عقب هذه الأبيات له كذلك :

لائمي في الهوى دعني فالذي قدَّرَ اللهُ تعالى قد فـــــرغْ

لا تلُمني إنّ سلطانَ الصبَـا و الهوى أفسدَ قلبي و نزغْ

إنّما الدنيا دَدٌ فاشف بـــــه لدغةَ الحبّ إذا الحبُّ لَدَغْ

قال ابن رشيق: فهذا كلام لين الشكيمة ، غالي القيمة ، قد صحت أساليبه و اطردت أنابيبه" [2].

و غير هذه النماذج عند ابن رشيق كثيرة جدا يطول البحث بذكرها كلها ، لكنها على شاكلة ما أوردته إذ أن كتاب الأنموذج على نفس المنهج و النسق ، ونادرا يا يفاجئنا ابن رشيق بشيء جديد في منهج تأليفه مثل المفاضلة بين الشعراء التي لا نجد لها إلا مثالا واحدا ذكره ابن رشيق في سياق ترجمته لـ إسحاق بن إبراهيم الرافضي حيث قال : "جمعني و إياه مجلس طيب و كان ممقوتا فعزمت على خلافه مضايقة له و إهوانا إلى ما يأتي به ، و الجماعة قد فطنوا لي ، فاستدرجوه و ذكر بعضهم أبا الطيب و أثنى عليه إسحاق و قال به و بأبي القاسم ختم الشعر ، فقلت ليس إليه و لا منه في شيء، ذاك صاحب معان ، و هذا طالب لفظ على تفاوت ما بين الكوفة و الأندلس"[3] .

و الملاحظ أن هذه التعليقات النقدية توحي باطلاع و معرفة عميقة جدا من ابن رشيق بشعر هؤلاء الشعراء كيف و هو معاصر لهم ، و مهتم بما يقولون بحكم الكثير من المعطيات المعرفية والسياسية ، و رغم اختصار هذه التعليقات إلى أن دلالتها النقدية عميقة جدا تخرج بها من طور الذوقية الانطباعية إلى رتبة العلمية الموضوعية رغم عدم تمكن خروج النقد عن الذوق .

1) - ابن رشيق ، الأنموذج ص 336 ، 339 .

2)- المصدر نفسه ص 336 ، 339 .

3)- المصدر نفسه ص 99 ، 100 .

- **عيوب الشعر :**

من القضايا النقدية المتعلقة كذلك بالجوانب الفنية في الأدب العربي و القريبة من نقد الأسلوب التي تعرض لها ابن رشيق مسائل تتعلق بعيوب الشعر و صرّح ابن رشيق في نقده لها أنها من العيوب التي تسقط صاحبها و شعره و ذكر ثلاثة أمثلة لذلك :

- **الأول : التنافر**

التنافر كمصطلح عند علماء البلاغة هو ظاهرة لفظية سلبية تعتري الكلمات و يصير الكلام بسبب ذلك ثقيلا بعيدا عن الفصاحة ، يقول السيوطي في تعريفه : "التنافر منه ما تكونُ الكلمةُ بسببه مُتناهيةً في الثِّقَل على اللسان وعُسْر النُّطْق بها كما رُوي أن أعرابيا سُئل عن ناقته فقال تركتها تَرْعى الهُعْخُع ... قالوا التنافر يكون إما لِتَبَاعُد الحروف جدا أو لتقاربها"[1] ، و ابن رشيق كما يبدو لم يستخدم التنافر في الأنموذج بمفهومه الاصطلاحي ، حيث قال في ترجمة الأربسي: "اجتمعت به مرة و أنا حديث السن، ولم أكن قبلها رأيته فأخذ في ذكر الشعراء و غض من عبد الكريم و قال هو مؤلف كلام غير مخترع فأغلظت له في الجواب ، فالتفت إلى منكرا علي ، و قال:و أنت و ما دخولك بين الشيوخ يا بني ؟ فقلت و من يكون الشيخ أبقاه الله ؟ فعرفني بنفسه ثم أخرج رقعة بخطه فيها من شعره :

إياة الشمس حواه جسم لؤلـــــؤةٍ	تغيب من لطف فيهـــا و لم تغبِ
صفراء مثل النضار السكب لابسة	درعا مكللـــــــــــة درا من الحببِ
لم يترك الدهر منها غير رائحـــــة	تضوّعت وسنا ينســـاح كاللّهبِ
إذا النّديم تلّقاهـــا ليشربــــــــها	صاغت له الرّاح أطرافا من الذهبِ

فقال كيف رأيت: فقلت: -وأردت الاشتطاط عليه- : أما البيت الأول فناقص الصنعة مسروق المعنى ، فيه تنافر ، قال و كيف ذلك ؟ قلت لو كان ذكر الياقوتة مع اللؤلؤة كما قال أبو تمام :

أو درةٌ بيضاءُ بكرٌ أطبقتْ حبلا على ياقوتةٍ حمراءِ

1)- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1، 1418هـ 1998م 154/147/1 .

لكان أتم تصنيعا و أحسن ترصيعا ، و لو ذكرت روح الخمر مع ذكرك حب اللؤلؤ –يعني الكأس- لكان أوفق للمعنى ، ولو قلت مع قولك :

"إياة شمس" حواها نهار...و عنيت به الكأس كما قال ابن المعتز، و يروى للقاضي التنوخي :

و راحُ من الشمسِ مخلوقةٌ بدتْ لكَ في قدح من نهارِ

لكنت قد ذهبت إلى شيء غريب عجيب "[1] ، و كما يظهر من المثال فإن ابن رشيق لم يرد بالتنافر هنا تنافر حروف الكلمات بسبب تقارب المخارج أو تباعدها كما هو الاصطلاح عند علماء البلاغة و إنما مقصوده هنا تنافر المعاني ، و هنا في هذا المثال قضية انطباعية تخص ذوق ابن رشيق .

- **الثاني: التكرار**

يشتهر استعمال مصطلح التكرار عند علماء البلاغة كأحد لوازم التنافر حيث يقول الخفاجي: " من أقبح ما يكون من التكرار وأشنعه وإذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع" [2] ، و أفرد ابن رشيق في العمدة باب للتكرار قال فيه : "وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعانى، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو نسيب.."[3] ، إذا فقضية التكرار كما عند ابن رشيق هي ذوقية عائدة إلى مناسبة الكلام لكن الغالب أن التكرار معيب و اللغة العربية دائما تنزع إلى الاختصار و الإيجاز و هو سر البلاغة .

وذكر ابن رشيق التكرار على أنه عيب في ترجمة علي بن هبة الله العميله عقب أبياته هاته :

أظبيكَ يا وجرةَ الأعفَــــــرُ رماني أمِ الآنِسُ الأحْــورُ

و لم أر مثلـــــــيَ مستخبرا عن الشيءِ و هو به أخبرُ

إذا ملكَ الحبُّ حبُّ القلوبِ فعنه **يرى** و به **يُبْصـــــرُ**

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 425 ، 429 .

2)- أبو محمد عبد الله الخفاجي الحلبي (المتوفى: 466هـ) ، سر الفصاحة دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1402هـ/1982م ، ص 102 .

3)- ابن رشيق ، العمدة 73/2، 74 .

قال ابن رشيق : "هكذا الرواية في هذا البيت و هو تكرير يقبح على الشاعر الحاذق ، و إن سومح فيه و الذي أرى أن يروى : فعنه يعي و به يبصر" [1] ، و هذا التكرار في هذا الموضع هو تكرار معنوي ، و سبب استهجان ابن رشيق له لأنه ليس له داع كأهمية الكلمة أو غير ذلك كما قرّره في كتاب العمدة .

- الثالث : التوكؤ

التوكؤ لغة من تَوَكَّأَ عليه: أي تَحَمَّلَ، واعْتَمَدَ [2] ، أما اصطلاحا فلم اجد من استعمل أو أورد هذا المصطلح غير ابن رشيق في هذا الموضع إذ نجده في تتمة القصة السابقة في مبحث التنافر ، يقول ابن رشيق : "و أما قولك :

"تغيب من لطف فيها و لم تغب" فمن قول البحتري:

يُخفي الزجاجةَ لونُها فكأنّها — في الكفِ قائمةٌ بغير إناءِ

و أما البيت الثاني فأكثر من أن ينبه عليه ، و أما البيت الثالث فمن قول ابن المعتز :

أبْقى الجديدَان من موجودِها عدمًا — لوناً ورائحةً في غير تجْسيمِ

و أما البيت الأخير فمن قول مسلم بن الوليد :

أغارت على كفِّ المديرِ بلونِها — فصاغتْ له منها أناملَ من ذبْلِ

و من قوله أيضا :

إذا مسّها الساقي أعارتْ بنانهُ — جلابيبَ كالحادي من لونها صُفْرَا

و فيه عيب يقال له التوكؤ و هو تكريرك ذكر الراح و أنت مستغن عنه .

قال فبما كنت أنت تسد مكان الراح؟ قلت : كنت أقول:

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 295 .

2)- مجد الدين الفيروز آبادى (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط8، 1426 هـ - 2005 م ، ص 56 .

"صاغت ليمناه أطرافا من الذهب"[1] ، و إن كان الاستدلال غير مكتمل كما يبدو فيما نقله ابن رشيق و مع غياب مفهوم اصطلاحي للتوكؤ لكننا يمكن أن نفهم أن التوكؤ قريب من مفهوم التكرار و علاقة التكرار به هو أن الشاعر يتوكأ أي يعتمد على نفس المفهوم و يكرره .

- **نقد العروض و القوافي و البناء الشعري :**

تعرض ابن رشيق كذلك في كتاب الأنموذج إلى قضايا تتعلق بشكل القصيدة العربية لكنها مجرد إشارات بعيدة و و ومضات مختصرة تتعرض غالبا إلى الشاعر بوصفه باني القصيدة وفق ميزان معين ، حيث قال مثلا في : الوراق التميمي " ينحو نحو الصنوبري ويذهب مذهبه غير أن بينهما بونا بعيدا في ركوب القوافي الشرد أحيانا "

من شعره ، و هو خارج عن أبحر العروض :

أوردَ قلبي الــرَّدَى لامَ عذارٍ بـــــدَا

أسودَ كالغـــيّ في أبيضَ مثل الهدَى [2]

و قال في : ابن غالب :" قدير على التطويل وركوب القوافي الصعبة العويصة ... و ينحو في الرجز نحوا عجيبا ، و يتعرب كثيرا" [3] و قال في : القفصي الكفيف:"شاعر متقدم علامة بغريب اللغة ، قادر على التطويل و صاف للديار مولع بذكر الإبل و القفار متبع للعرب في أبنية أشعارها لا يعدو ذلك إلا قليلا في صفات الخمر و الزهر ، قليل الاختراع ، ركاب لشارد القوافي"[4] ، هذا نموذج عن تعليقات ابن رشيق المتعلقة بالعروض و القوافي و التي يظهر عليها كما أسلفت الإيجاز و الاختصار ، لكنها إشارت مهمة لأنها تعطينا مؤشر خاص بشعراء محصورين و مميزين .

كما نجد عند ابن رشيق كذلك بعض الإشارات المميزة مثل تعرضه لموضوع وحدة البناء في القصيدة العربية في ترجمة المنجم الذي قال فيه :"شعره مليح البناء ملتئم الأجزاء ، ملموم الثواء يجيء

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 425 ، 429 .

2)- المصدر نفسه ص 251 .

3)- المصدر نفسه ص 289 ، 290 .

4)- المصدر نفسه ص 336 ، 339 .

كأنه قطعة واحدة ، غلب عليه التنجيم كأبيه" [1] ، و أيا كان قصد ابن رشيق من قوله "يجيء كأنه قطعة واحدة" فإن الإشارة إلى الوحدة الموضوعية أو الفنية أو الإيقاعية للقصيدة العربية في تلك الفترة يعتبر من المواضيع الجديدة التي كان النقاش فيها محتدما بين التقليدين و دعاة الحداثة .

المطلب الثاني : النقد الديني :

نقصد بالنقد الديني هو ذلك النقد الذي يقوم على مبادئ و خلفيات دينية ، و هذا حتى لا يتداخل مفهومه مع ما يعرف اليوم في الدراسات الحداثية بنقد الفكر الديني أو تجديد الفكر الديني لدى بعض النقاد و المفكرين العرب[2] والغربيين ، مع أنّه قد يتداخل معه في بعض الجزئيات الدقيقة المتعلقة بالخطاب و الإيديولوجيا ، و مهما يكن من أمر فليس هذا مقصودنا .

تعتبر مناقشة هذه المسألة دقيقة جدا باعتبارها غير ثابتة المعالم لدى الكثير من النقاد العرب ، إضافة إلى أنها لا تخضع لمعايير لفظية أو جمالية ثابتة ، بل هي مسألة إيديولوجية ، يتفاوت مستوى حضورها عند النقاد لاعتبارات أخلاقية و شخصية و اجتماعية .

النقد الديني في النقد العربي ظهر مع انتشار الإسلام ، فبدأت منذ الوهلة الأولى تظهر بوادر منهج نقدي قائم على أساس أخلاقي غرضه خدمة الدين و المجتمع أولا ثم الأدب في الدرجة الثانية، إضافة إلى أنّ الجيل الأول من نقاد العصور الإسلامية كانوا في معظمهم علماء بالدين و أصوله وفروعه ، فراعوْا أثناء قراءتهم للتراث العربي القيم الدينية الإسلامية ، مع بعض التساهل مع الشعراء وتجلّى ذلك في شعراء الجاهلية ، لاعتبارات موضوعية و معرفية تتعلق بالتدوين و الاستشهاد في تفسير القرآن الكريم ، إضافة إلى الاعتبارات الذوقية و الجمالية ، لكن الثابت أن نقّاد العصور الإسلامية أكّدوا أنّ الشعر الذي يوحّد و لا يشتّت و يدعوا إلى الخلق الكريم و يشحذ الهمم وينعش الخواطر، و يحوي المعاني الجليلة و الألفاظ المبتكرة هو الشعر القمين بالرواية و الاعتبار [3].

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 408 .

2)- مثل: محمد أركون و نصر حامد أبو زيد و محمد عابد الجابري .

3)- عبد العزيز قلقيله ، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2، 1988م ، ص 377 ، ومحمد مرتاض ، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ، ص 172 .

لكن بعد عصر صدر الإسلام تراجع المد الديني في توجيه الأدب و النقد ، بسبب توسع الدولة و اختلاط الأجناس البشرية المكونة لمجتمعها ، يقول عبد العزيز جسوس : "إن الحقبة الإسلامية الفاصلة بين مرحلتين ... قد عرفت تميزا في نقداتها عن العصر الجاهلي و عن الحقبة الأموية من القرن الأول ، بظهور نواة لتصور إسلامي جديد عن الشعر و نقده ينهض على المزاوحة بين معايير العقيدة و المجتمع و الفنّ لتوجيه الشعر و نقده ، بحكم المنعطف الذي عرفه المجتمع العربي في هذه الحقبة ، و لكن هذه النواة قد انطفأت شعلتها بالانتقال إلى الحقبة الأموية حيث اختفى معيار العقيدة بأخلاقها و قيمها من تقويم الشعر و تحديد الموقف من الشعراء و أصبحت المناداة صريحة بفصل الدين عن الشعر"[1].

و على العموم فإنّ الإسلام أولى للأدب و الشعر قيمة مهمة تليق بمكانته لدى العرب وتعكس تسامح الإسلام و تفتّحه و دعوته إلى الجمال و العلم الذي يدعوا إلى غرس المبادئ السامية كما قال عبد الكريم النهشلي ، و نقل في ذلك قول عمر ﷺ : "الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه" ، و قال علي ﷺ : "الشعر ميزان القوم ..." [2] و قال النبي ﷺ للعلاء بن الحضرمي : "هل تروي من الشعر شيئا"؟ فأنشده :

حي ذوي الأضغان تسْبِ قلوبَهم	تحيّتَك الحُسنى و قد يُرقعُ النّعَـــلْ
فإنْ دحسوا بالكرْه فاعفُ تكرُّمًا	و إن خنسوا عنك الحديث فلا تسلْ
فإنّ الذي يؤذيكَ منهُ سماعُـــه	و إنّ الذي قالـــوا وراءك لم يقـــلْ

فقال النبي ﷺ: "إن من الشعر لحكما"[3] ، من هذه النصوص ينطلق ابن رشيق في بناء تصوره شأنه في ذلك ، شأن الكثير من النقاد العرب ، و إن لم يعقد مبحثا خاصا في عمدته لمناقشة هذا المسألة فإنه من خلال صفحات كثيرة و في مواضع متفرقة أكّد أن الشعر الذي يحمل قيمة فهو شعر لا تستنكف منه الأسماع ، و من دون شك أنّ أسمى القيم هي القيم الدينية الإسلامية لذلك يورد شعرا

1)- عبد العزيز جسوس ، نقد الشعر في الطور الشفوي ، مطبعة تينمل ، مراكش ، المغرب ، 1995م، ص 10،11 .

2)- عبد الكريم النهشلي، اختيار الممتع ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس 1978م ، ص 32 .

3)- أخرجه محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1411هـ – 1990م ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، 710/3 .

لحسان بن ثابت في الاعتذار للرسول ﷺ إذ أنه كان من الذين مالوا في حادثة الإفك الذي دار حول السيدة عائشة (رضي الله عنها) في أبيات مدحها بها منها :

حصـــــانُ رزانٍ مـــــا تزنُّ بريبــــةٍ   و تُصبِحُ غرْثَى من لحـــومِ الغوافلِ

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُم   فلا رفعَتْ صـــــــوْتي إلي أناملِي

فإن الـــــذي قد قيلَ ليسَ بلائطٍ   و لكنّـــــه قــولُ امرئ بيَ ماحِلِ

و بعد ذلك يشير إلى حديث آخر يبرز وعي الإسلام بمكانة الشعر من خلال تسخيره لمهام دعوية ، لما قال النبي ﷺ لحسان : "اهجهم –يعني قريشا- فوالله لهجاؤك عليهم أشدّ من وقع السهام في غبش الظلام، اهجهم و معك جبريل روح القدس"[(1)]، فحضور هذا الفكر الديني كان قائما في نقد ابن رشيق لكن بالقدر الذي يوحي بأنه لا يتعارض مع الشعر وليس هو الدافع والباعث الأساسي له.

لكن مع ذلك وبالرغم من أن ابن رشيق أورد في العمدة كل الأغراض الشعرية تقريبا شارحا و معلقا ، إلا أنه لم يبدُ محتفلا بالمفاهيم الأخلاقية التي قرّرها الكثير من النقاد الإسلاميين ، بل كان أغلب اهتمامه بالقضايا الفنية و الجمالية و الذوقية ، أما من ناحية المضامين فلا يبدو مكترثا كذلك بالجانب الأخلاقي بالرغم من السفور الكبير الذي نجده في بعض النصوص الكثيرة التي أوردها لأغراض متعددة ، لكن يستوقفنا مذهبه في الهجاء الذي عدّه من مكائد الشيطان ، و من باب التعدّي على الآخر فأورد في هذا الباب حديثا للرسول ﷺ يكرّه فيه الهجاء ، نصه : "من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر"[(2)] ، و الحق أن موقف ابن رشيق من الهجاء هو الموقف الواضح و الثابث و الصريح له و يؤكده بقوله :"و جميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود ، و ترك الفحش فيه أصوب إلا جريرا فإنه قال لبينه إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة و إذا هجوتم فخالفوا" ، و قال أيضا إذا هجوت فأضحك " ثم يقول ابن رشيق : "وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح لاتساع الظنّ

1)- ابن رشيق ، العمدة 25/1 ، و النهشلي ، اختيار الممتع ص 43 ، نجوى صابر، النقد الأخلاقي ، أصوله و تطبيقاته ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1990م ، ص 21

2)- ابن رشيق ، العمدة 2 /170 ، وعبد العزيز قلقيله ، النقد الأدبي في المغرب العربي ص 110 .

في التعريض و شدّة تعلق النفس به فإذا كان الهجاء تصريحا أحاطت به النفس علما" [1] ، هذا هو الغرض الوحيد الذي رسم له منهجا أخلاقيا والتزمه تقريبا أما غيره من الأغراض فاكتفى بالاعتناء بالملامح الفنية و الجمالية .

و بالانتقال إلى كتاب الأنموذج نقف على حقيقة هذا المذهب من ابن رشيق تجاه النقد الديني، حيث يظهر جليا أنه لا يعتبره عاملا في نقد الشعر ، فتهتّك الشاعر و شربه للخمر أو إتيانه للمحظور أو اعتناقه لمذهب فاسد ليس مؤثّرا في الحكم عليه إن كان الشاعر مُجيدا ، دليل ذلك أنّه ترجم للكثير من الروافض الشيعة الذين يخالفونه المنهج العقدي و التوجّه السياسي مثل إسحاق بن إبراهيم الرافضي الذي قال عنه : "كان رافضيا سبابا عليه لعنة الله" [2] ، أضف إلى ذلك بعض عبارات النقد التي توحي باستثقاله لبعض المضامين الدينية ، مثل قوله في أبي إسماعيل الكاتب :"وكان كلفا بالمواعظ"[3] وهو حكم من ابن رشيق يوحي بكراهته لكثرتها في الشعر ، كما أنّه ساق نصوصا كثيرة فيها من التهتك والتغزل بالغلمان أو المجاهرة بمعاقرة الشرب و لا يبدي تعليقا ، إلا ما تعلّق بالفن و الجمال و الأمثلة على ذلك كثيرة في كتاب الأنموذج ، مثل قوله في الجراوي :"و كان حسن الخلق ، جميل العشرة ، مدمنا على الشراب"[4] ، و في محمد الناجحون الضرير: " يقرأ القرآن بروايات ، و له شعر مليح و نوادر مضحكات ، و كانت فيه سماحة و مروءة و لم يكن له صبر على النبيذ" [5] ، و في محمد بن مغيث :"كان شاعرا مطبوعا ، مرسل الكلام ، .... وكان مفتونا بالخمر، متبذّلا فيها مدمنا عليها لا يفيق منها مولعا ببيت الخمّار" [6] ، و هي نصوص بحكم عدم ثباتها في الترجمات تبدو تعليقات استئناسية يوردها ابن رشيق كتمهيد لنصوص لاحقة في سياق

1)- ابن رشيق، العمدة 170/2 ، 173 .
2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 78 .
3)- المصدر نفسه ص 50 .
4)- المصدر نفسه ص 216 .
5)- المصدر نفسه ص 387 .
6)- المصدر نفسه ص 404 ، 405 .

الترجمة في الخمريات ، و هو منهجه في الربط بين الأحكام و الأمثلة و الشأن نفسه بالنسبة للغزل وشعر الغلمان [1].

و الشأن نفسه فيما يتعلّق بالروافض الشيعة ، حيث أنّ ابن رشيق لم ينتقد شعرهم بل انتقد شخصيتهم ، و باعثه في ذلك ليس اختلاف المنهج العقدي بالأساس، بل إنّ الاختلاف السياسي كان هو المحرك الأساسي للعداء الذي كان يكنّه ابن رشيق لهم ، لأن ولاءهم كان للدولة الفاطمية في مصر ، و لا يخف تاريخيا ما كان يضمره الفاطميون للصنهاجيين من كره و عداء بعد أن محوا ذكرهم من القيروان، و ابن رشيق كان من رجال البلاط الصنهاجي ، فطبيعي أن يرفضهم أيديولوجيا خصوصا أولئك الذين يجاهرون بذلك على الملأ و المنتديات ، يضاف إلى ذلك أن ابن رشيق أكدّ رفضه كذلك لأولئك الذين لم يتورعوا في النيل من بعض آل بيت النبي ﷺ و صحابته الكرام ، أما غير ذلك فهو لم يمارس عليهم الإقصاء و لا على نصوصهم ، بل يبدو كذلك من خلال الأنموذج أن الروافض الذين بقوا في القيروان في كنف الدولة الصنهاجية لم يمارس عليهم التضييق الفكري و لا الإقصاء الجسدي إلا من أعلن ولاءه للفاطميين أو لمن جاهر بالنيل من آل بيت النبوة أو الصحابة الكرام ، لأنه سيصير حينئذ تهديدا لأمن الدولة و استقرارها .

و من هؤلاء الروافض ، المصاحفي الذي يقول فيه : "كان رجلا مستهزئا مشهورا بالتنقير والمقالعة ، فيه تلاعب واستخفاف كان قد دخل الدعوة (الشيعية) تسترا بها و احتمى بسببها" [2] ، و قال في الهواري: كان متشيّعا ، شديد الصلف ، مباينا للخاصة و العامة في ذلك معجبا ... وكان سلطا [3]، و ما نقلته سابقا كذلك من قوله في إسحاق بن إبراهيم الرافضي : "كان رافضيا سبابا عليه لعنة الله" ثم يقول عنه : "جمعني و إياه مجلس طيّب و كان ممقوتا " [4] يقصد مجلس شعر وأدب رغم توجُّهه العقدي .

1)- ابن رشيق، الأنموذج ص 177 .

2)- المصدر نفسه ص 134 .

3)- المصدر نفسه ص 419 ، 420 .

4)- المصدر نفسه ص 78 .

لكن الأمر الثابت في منهج ابن رشيق هو ميله نحو رفض الهجاء كما قرّره في كتاب العمدة فكثيرا ما يشيد بأولئك الذين رفضوا الهجاء لورعهم ، و يقرّع أولئك الذين أفرطوا فيه ، و هذا النهج كما سبق بيانه دافعه أخلاقي ديني ، و هو يبدو متوافقا مع شخصية ابن رشيق المائلة نحو الدعة والهدوء و الاعتدال ، قال في الفراسي : " كان شاعرا خليعا ماجنا شريرا كثير المهاجاة ، قليل المداراة، خبيث اللسان" (1) ، و في عبد الله بن رشيق: " كان له في الشعر حظ كبير إلا أنه لم يمدح لمثوبة ، و لا أعلمه هجا أحدا قط " (2) ، و قال في القفصي البزاز: شاعر قوي الطبع مهول ... وليس له مدح و لا هجاء لكفايته و ديانته و ما عليه من طلاوة العلم الشرعي"(3) ، و غير هذه النصوص كثير ، و هي كلها تؤكّد على موقفه الثابت في رفض الهجاء و النفور منه و احتفاله بأولئك الشعراء الذين التزموا هذا المسلك ديانة و مروءة .

و خلاصة هذه المسألة هي أنّ ابن رشيق في ترجماته حاول أن يكون متزّنا مع نفسه بحيث لا تؤثر خلفياته الفكرية و العقائدية و السياسية على حكمه على الشعراء فقد يكون الشاعر مخالفا لأراءه لكن ذلك لا يسقطه من كونه شاعرا ، كما أنّ عدم استخدامه لمبدأ النقد الديني أوالأخلاقي بشكل واسع و مفرط يوحي بأنه لم يرد أن يجعله مطية للمتعصبين و السياسيين ليستغلوه كورقة للعبة السياسية و الإقصاء الفكري و الجسدي ، و هذا يعكس النضج الكبير الذي بلغه ابن رشيق وإدراكه لوظيفة و أهداف الأدب و الشعر القِيَمِيَة و الفنية و الجمالية ، بخلاف الكثير من النقاد الذين انساقوا وراء المذاهب و المواقف و التعصب للأشخاص .

نلاحظ كذلك أنّ استخدام ابن رشيق للنقد الديني أو الأخلاقي ليس معيارا ثابتا و إنما هو متغيّر حسب المقامات و الأعلام ، و كثيرا ما كان لمجرّد الاستئناس و التمهيد ، كما أنه ارتبط في مواضع كثيرة بملابسات أغلبها سياسي كما سبق فيما يتعلق بالشيعة الروافض أو بعض النواصب(4) وهذا هو الخط الذي قرّره في العمدة و اتبعه في الأنموذج .

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 146 .
2)- المصدر نفسه ص 191 ، 192 .
3)- المصدر نفسه ص 320 .
4)- المصدر نفسه ص 286 ، 287 .

من خلال ما سبق نستنتج أن ابن رشيق مارس النقد الأدبي على بعض النصوص التي أوردها في سياق تراجمه للشعراء ، لكن هذا النقد ليس على نهج متسق كما كان في قضايا الإبداع و المقدرة الشعرية ، إذ أن هذا النقد انطباعي ذوقي ، يورده ابن رشيق لما تُستَفزُّ ملكته الشعرية و النقدية ، كما أنّه قد ينبّه أحيانا على بعض العيوب الشعرية ، أو المذاهب الفكرية أو الفنيّة في الشعر ، و لكن بشكل عفوي غير منظّم ، لكنّه مع ذلك أعطى لكتاب الأنموذج زخما إضافيا نقديا إلى جانب تراجم الشعراء ، كما نلحظ كذلك أن ابن رشيق دائما ما يحرص على تقرير مذهبه -بشكل غير مباشر- النقدي القائم على أدبية الأدب أولا و بقية قيمه الأخرى ثانيا ، و هذا من خلال عدم اكتراثه بمذاهب الشعراء الفكرية و الدينية إلا ما كان بدوافع سياسية ، و يتضح ذلك بجلاء من خلال تصنيفه للشعراء الذي استنتجته من الأنموذج وفقا لنصوصه كما سنرى في المبحث التالي .

المبحث الثالث: ظواهر نقدية في كتب التراجم و الطبقات

المطلب الأول : مقاييس نقد الشعراء و تصنيفهم :

يعتبر ابن رشيق من زمرة المؤلفين في فنّ الطبقات الذين اعتمدوا على قريحة أنفسهم في نقد الشعراء و تصنيفهم ، و هذا أمر منطقي جدا ما دمنا نذعن لابن رشيق بالتقدّم و الأولية في الأدب و نقده ، خاصة و أن أغلب شعراء الأنموذج ممن اجتمع بهم ابن رشيق أو عاصرهم على الأقل مما يتيح له الحكم عليهم بنفسه دون الاحتياج لآراء غيره ، يضاف إليه أن مظاهر الصناعة الفنية تبدو جلية في كتاب الأنموذج حيث أن ابن رشيق ألف كتابه على فترة زمنية طويلة مما أتاح له كتابته وتنقيحه ، و هذا من خلال تباعد تواريخ بعض الشعراء المترجم لهم في الأنموذج و الاتّساق و الدقة في الترجمات ووضوح الانتقاء و الانتخاب في النصوص و الأشعار .

و مظاهر التطور الفكري الناتج عن تأخر ابن رشيق زمنيا عن الرعيل الأول من النقاد المؤلفين في الطبقات و استفادته من تلك المصنفات بادية من خلال المقاييس النقدية التي اعتمدها ابن رشيق و من خلال طريقة التأليف السهلة و المباشرة غير المثقلة بكثرة النقول و المناقشات ، إضافة إلى الاختصاص و الاختصار ووضوح الرأي في الشاعر المترجَم .

و لم يخرج ابن رشيق في كتاب الأنموذج عن مقاييس النقد التي سلكها غيره من النقاد لكن شخصيته و مواقفه غالبة و طاغية و هذا جلي من خلال عدم احتفاله ببعض المقاييس غير الأدبية والفنية مثل المكان و الزمان لدرجة أنه قد لا يذكر تاريخ مولد ووفاة الشاعر و هذا كثير في كتابه ، كإشارة منه ألاّ عبرة بالتقدم و الأولية أو أن التأخر موجب للأفضلية ، بل إن أغلب مقاييسه فنية ، يظهر فيها إيمانه بفكرة أن الأدب للفن و القيمة ، حتى المعيار الديني والأخلاقي لا يبدو ابن رشيق محتفلا به كثيرا رغم استعماله له أحيانا ، و في هذا البحث سأستعرض أهم مقاييس نقد الشعراء عند علماء الأدب و موقف ابن رشيق منها :

- الجودة :

يعتبر مقياس الجودة عند النقاد من المعايير الثابتة التي يتفقون عليها مثل ابن سلام و ابن قتيبة و القرشي و غيرهم، لكنهم قد يختلفون في ترتيبه مع غيره من المعايير ، خاصة معيار القدم والحداثة ، لكن من غير المعقول أن نجد ناقدا لا يعتبره ، و يمكننا القول أن مقياس الجودة عند ابن رشيق في أنموذجه هو الأس الذي تقوم عليه بقية المعايير إن كان لها اعتبار ، إذ أنه من البداية لما ألف كتابه في شعراء القيروان ، كما يبدو من مكاتبة ابن النحوي(1) السابقة له و ذكر أنه رجح بين شعراء كتابه من ناحية الجودة يدل على ذلك ، إضافة إلى الدلالة السيميائية لعنوان كتابه المشيرة إلى أن ابن رشيق جمع في كتابه أعلام الشعراء و عيون الشعر في زمنه ، و ليس كل الشعراء إذ البحث يثبت أن القيروان زمن ابن رشيق عرفت شعراء آخرين كثر و ابن رشيق كان على علم بهم و لم يثبتهم في أنموذجه ، لأسباب قد تكون متعلقة بعدم اقتناعه بشعريتهم .

و الملاحظ كذلك أن معيار الجودة عند ابن رشيق هو معيار ذوقي خاص به ، يصعب رسم حدود له ، خاصة و ان ابن رشيق ـ كما سبق الذكر ـ جاء في سياق متأخر نوعا ما عن بعض النقاشات المتعلقة بقضايا الشعرية مثل الطبع و الصنعة و القدم والحداثة و عمود الشعر و غيرها، لذلك نجده استفاد من كل التجارب السابقة ، لكن يتجلّى مفهوم الجودة عنده من خلال حسن التصوير و التشبيه و لطافة الألفاظ و رفض الطبع الموحش و التصنع المتكلّف مع إحكام

---

1)- المقصود ما نقله ابن رشيق في الأنموذج ص 155 ، قال :"كتب إلي - عبد الرزاق النحوي - لما صنعت هذا الكتاب صحبة نبذ أنفذها إلي لأثبتها" :

يـــا مبرزا إبريـــز خير سبيكـــة	و مكللا إكليـــل خيــــر متـوج
و مميــــــزا جنسـي مقدمة النهى	إن أشكلا من عاقــر أو منتــــج
و مطرزا حلل البلاغـــــة معجزا	كل الورى ببلاغـــــــــة الأنموذج
فكأنه للسمع لفـــظ أحبـــــة	و كأنـــه للعين روض بنفســـج
و كأنه للقلب سحـــــــر علاقة	في مهجة تخشى الصدود و ترتجي
خصصت أهل الغرب منه بمشرق	بأقـر مـــــن شمس النهار و أبهج
رجحت بين ذوي الفصاحة منهم	**و فصلـــت بين مرتب و مثبـــج**
و كشفت عن شعـــري لتلحقه به	فاستر على خل لسترك محــــــوج

اختيار الوزن ، و حصول الانسجام في البيت و القصيدة الشعرية ، إذ كثيرا ما يركز ابن رشيق تعاليقه النقدية على هذه القضايا مثل قوله في ابن حيان الكاتب:"شاعر ذكي متوقد سلس الكلام تطيعه المعاني ، و ينساغ له التشبيه ، و تحضره البديهة"(1) ، و قوله في محمد بن مغيث : "كان شاعرا مطبوعا، مرسل الكلام ، مليح الطريقة ، يقع على النكت ويصيب الأغراض"(2) ، و قوله في أبي الحسن الكاتب : " كان شاعرا حديد الخاطر ذلق اللسان مبرزا ، حسن البصر بصناعة الشعر سالكا لجميع شعابها"(3) ، و مثل قوله في القفصي الكفيف : "و من قوله و هو مما طاوعته فيه القافية العويصة":

لائمي في الهوى دعني فالذي قدّرَ اللهُ تعالى قد فــــرغْ
لا تلُمْني إن سلطانَ الصّبَــا و الهوى أفسدَ قلبي و نزغْ
إنَّما الدُّنيا دد فاشفَ بــــه لدغةَ الحبِّ إذا الحبُّ لدغْ

قال ابن رشيق: "فهذا كلام لين الشكيمة ، غالي القيمة ، قد صحت أساليبه و اطردت أنابيبه" (4).
و قوله بعد نقل أبيات الصيرفي التالية :

قلَقْتُ فيكَ هـذه هذه كيف تقلـقُ
قرفت يمُنَ ميّـــةٍ هي من مي تفرقُ
قتري لحـن مقتفٍ فتق من حل يرتُقُ

قال: "كل بيت من هذه الأبيات يقرأ معكوسا و هو قدرة على الكلام ليس فيه انسجام"(5) ، وأغلب ملاحظات ابن رشيق النقدية تدور في هذا الفلك المتعلق بإجادة الشاعر لذلك فالمصطلحات النقدية المتعلقة بها كثيرة جدا ، حتى يصعب ضبطها و تمييزها و التفريق بينها فنيا مستقلة ، لكن يمكننا حصرها عموما في ألفاظ الجودة و الامتياز و الحسن و الملاحة و اتباع طريق الشعراء و غيرها مما يقاربها معنويا .

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 396 .
2)- المصدر نفسه ص 404 ، 405 .
3)- المصدر نفسه ص 360 ، 363 .
4)- المصدر نفسه ص 336 ، 339 .
5)- المصدر نفسه ص 120 ، 122 .

- **الكم و الكثرة :**

اعتمد بعض النقاد القدامى قضية قلة نصوص الشاعر أو كثرتها معيارا لتصنيفه و اعتباره بين الشعراء و يعتبر ابن سلام من أهم هؤلاء النقاد ، و هو يرى أن كثرة انتاج الشاعر دليل على خصوبته الشعرية و مقدرته إضافة إلى توفر البواعث لذلك في بيئته ،كما أنّ المناخ الأدبي القديم كان يفضّل الشاعر المكثر الذي تتداول أشعاره بين الناس على الشاعر المقلّ(1) ، و هو متأثّر في ذلك أشد التأثر بالأصمعي الذي استثنى الكثير من الشعراء من طبقة الفحول لأنّ شعرهم قليل بين أيدي الناس ، لذلك فلما سئل عن الحويدرة قال :"لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا"(2) ، و استثنى كذلك المهلهل بن ربيعة من الفحول للسبب ذاته(3) ، لكن مع ذلك فإن ابن سلام لم يقصد بالكثرة مطلقها بل الكثرة مع الجودة ، مثل قوله في طبقة عبيد بن الأبرص وطرفة الرابعة : "و هم أربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم مع الأوائل ، و إنما أخلّ بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة"(4) ، و أعتقد أنه هذا هو المنطق الأدبي المعقول إذ قد يكون سبب قلة نصوص الشاعر عائد إلى أسباب غير فنية بل أسباب أخرى لذلك يوجد من اشتهر من الشعراء بالبيت أو البيتين أو القصيدة الواحدة ، يقول الرافعي : "و لا يبعد أن يشتهر الشاعر الجاهلي بالقصيدة الواحدة بل الأبيات القليلة بل البيت المفرد ، لأنهم يزنون الكلمة بمقدار ما تحرك من ميزانها الطبيعي الذي هو القلب"(5) .

أما ابن قتيبة فإنه لم يعر الكثرة أو القلة كبير الاهتمام مع ملاحظة إشارته لذلك أحيان كمؤشر إلى أنّه لا يعتمده لكنه يعتبره أو يستأنس به أحيانا تردادا لبعض أقوال سابقيه مثل قوله في الأعشى :" الأعشى هو رابع الشعراء المتقدمين و هو يقدم على طرفة لأنه أكثر عدد طوال

1)- جهاد المجالي، طبقات الشعراء ، دار الجيل ، بيروت/لبنان، مكتبة الرائد العلمية ، عمان/الأردن ط1، 1992م ص 129.

2)- الأصمعي أبو سعيد عبد الملك (المتوفى: 216هـ) ، فحولة الشعراء ، تح: ق ش. تورّي ، دار الكتاب الجديد، بيروت/لبنان، ط2، 1400 هـ - 1980 م ، ص 12، و جهاد المجالي ، طبقات الشعراء ، ص 129 .

3)- الأصمعي ، فحولة الشعراء ، ص 12.

4)- محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، دار المدني - جدة ، تح: محمود محمد شاكر ، 137/1 .

5)- مصطفى صادق الرافعي (المتوفى: 1356هـ)، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، 29/3 .

جياد"[1] ، و الشأن نفسه بالنسبة لابن المعتز الذي لا يعتبر قضية الكم معيارا نقديا مع أنه يذكر ذلك على سبيل الملاحظة لا غير مثل قوله في منصور النّمري : " و أشعار النّمري في آل الرسول عليهم السلام كثيرة جيدة ، من أجود ما مدحوا به"[2].

هذه هي مواقف بعض أهم النقاد في قضية قلة الشاعر أو إكثاره ، و يبدوا أنهم مثأثرين فيما ذهبوا إليه بعلماء الحديث الذين يعتبرون اشتهار الراوي بالرواية مع إكثاره منها إضافة إلى ضبطه و صدقه مدعاة لقبول روايته ، إضافة إلى ضابط آخر يعتمده علماء الحديث و هو أن النص قد يكون مشوب بأحد أسباب الضعف يرفع عنه ذلك إن اشتهر بين العلماء و عمل الناس به[3] .

كما نلاحظ كذلك أن أغلب النقاد من لدن الأصمعي لم يقصدوا بمعيار الكثرة مطلقها بل الكثرة مع الجودة ، لكن عباراتهم تختلف و مناهجهم في المعاملة كذلك، فقد نجد ناقدا يغلّب جانبا على آخر ، لكن مع ذلك يبقى معيار الكثرة منفردا كذلك في غاية الأهمية إذ أن قلة نصوص الشاعر موجب لتأخره بسببين :

أ- قد تؤدي قلّة نصوصه إلى قصور الحكم عليه أو تعذره .

ب- قد يكون قلة شعره عائدا إلى ضعف مقدرته الشعرية ، و عدم ممارسته لأسبابها ، و هذا ما عناه ابن سلام في الكثير من المواضع .

وإذا انتقلنا إلى ابن رشيق فإننا نجده لا يعير لهذه القضية كبير الاهتمام رغم أنه اعتبرها في الكثير من المواضع ، ففي كتاب العمدة لم يصرح في نقل لنفسه أن كثرة شعر القائل موجب لتقدمه لكنه أفرد بابا للمشهورين من الشعراء و هو يقصد أولئك الذين لهم شعر كثير اشتهر بين الناس ، و أفرد بابا آخر للمقلين ، و هذا التفريق منهجي و ليس فني إذ يقول ابن رشيق بأن

---

1)- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 255/1 .

2)- جهاد المجالي طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ص 134 .

3)- ينظر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض ، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف ، 381/2 و 67/1 .

منهجه في تأليف العمدة البعيد عن الإفراط و التفريط يوجب عليه إضافة هؤلاء المقلين لأن فيهم الكثير من المجيدين [1] ، و هذا المنهج المعتدل حاضر في الكثير من المحاورات عند ابن رشيق.

- و بالانتقال إلى كتاب الأنموذج فإننا نجد كذلك أن ابن رشيق أعمل هذا المعيار لكن من غير أن يعتبره شرطا أو ضابطا مؤثرا ، خاصة و أن إكثار الشاعر أو إقلاله بالنسبة لابن رشيق في خصوص كتابه الأنموذج لا يعتبر مهما لأن أغلب شعراء الأنموذج ممن اجتمع بهم ابن رشيق أو عاصرهم على الأقل ، لذلك ففحولتهم و مقدرتهم الشعرية لا يمكن أن تفوت ابن رشيق كيف و هو الناقد و الأديب و العالم و رجل الدولة ، و إن وقع فهذا يعني أن الشاعر ليس في مصاف الشعراء عند ابن رشيق على الأقل ، و إن أورد ابن رشيق مصطلحا يخص هذه القضية فليس بمعزل عن معيار الجودة ، لكن مع ذلك فإن أغلب ملاحظاته القليلة جدا المتعلقة بهذا الموضوع تتعلق بقلة شعر الشاعر ، و ارتبط هذا كثيرا بالشعراء المصنفين في الطبقة المتوسطة كمؤشر إلى أن قلة نصوصهم متعلقة بتوسطهم في الشعرية كما أن إشارته إلى ذلك قد تكون متعلقة بقضايا أخرى كانشغال ذلك الشاعر بأمور أخرى غير الشعر مثل الزهد أو الكتابة أو غير ذلك ، مثل قوله في الجنبياني : " كان عبد الله شاعرا ظريفا يخفي شعره و هو مع ذلك قليل ، و يصنعه و لا يتجاوز المقطعات إلى شيء من التطويل" [2] ، وقوله في الصدفي : "خامل رثّ الحال ، يطرح نفسه حيث وجد القناعة حتى أنّ بعضهم سماه سقراط لتلك العلة تشبيها به ، و ربما أقام أحمّ[3] الناس به حولا كاملا لا يقع عليه نفورا ولواذا ، فشعره لذلك قليل بأيدي الناس" [4] ، و في ابن القيني قال : "كان شاعرا مشهورا لطيفا قليل الشعر ، لا يقدر على التطويل كثير الرواية"[5] ، و قوله في : الفارسي: "كان

---

1)- ابن رشيق ، العمدة 102/1 .
2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 186 .
3)- هكذا وقعت في الأصل ص 189 .
4)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 189 ،190 .
5)- المصدر نفسه ص 286 .

ترف الكلام ، نزر الشعر ، قليل التطويل ، متظاهرا بالتأدّب"[1] ، و في القطان: "كان شاعرا مشهورا بعيدا من التصنع لا يكاد يحاوله ، قصير الأشعار ، لا يجاوز العشرين إذا طوّل" [2] ، هذه تقريبا كل المواضع التي ذكر فيها ابن رشيق معيار قلة شعر الشاعر ، ولمح إلى الكثرة في موضع واحد تقريبا فيما بحثت و هو قوله في ابن غالب : "شاعر مذكور **كثير الافتنان** ، ريان الفنن ، واسع العطن في أنواع علوم الدين و الدنيا ، قدير على التطويل وركوب القوافي الصعبة العويصة ، سريع الصنعة ، يذهب في الشعر كل مذهب ، وينحو في الرجز نحوا عجيبا ، و يتعرّب كثيرا ، و أنا أقتصر في كلامه على ما جانس الوقت وناسب الطبقة" [3] ، و الملاحظ في أغلب نصوص ابن رشيق السابقة أنها معللة أي أن إقلال الشاعر مرتبط بمنهجه أو أمر شخصي يتعلق به أو لقصور قدرته الشعرية أحيانا ، وهذه الملاحظات عند ابن رشيق يحاول من خلالها شرح قضايا تتعلق بالشاعر ، أو تبيين ارتباط معيار القلة بعلة فنية أخرى مرتبطة بها ، و هذا تماشيا مع نهج الاتزان و ترك الإفراط والتفريط الذي سلكه ابن رشيق .

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 318 .

2)- المصدر نفسه ص 318 .

3)- المصدر نفسه ص 289 ، 290 .

- الدين و الأخلاق :

لم يول أغلب نقاد القرون الأولى في التأليف النقدي للقضايا الدينية و الأخلاقية أهمية كبيرة لأنها لا تتعلق بأمور لفظية أو أسلوبية أو فنية ، فهم لم يرفضوا شاعرا لمعاقرته للخمر أو حبه للنساء أوتعلّقه بالغلمان، أو لاعتقاده بالجبر أو الرفض أو الاعتزال أو الدهرية أو غير ذلك بل كان العبرة عندهم الأدب و الفن ، و هذا الغالب على النقاد الأوائل مثل ابن قتيبة و ابن المعتز و غيرهما ، لكن هذا لم يمنعهم إلى أن يشيروا إلى بعض القضايا الدينية و الأخلاقية ، بل إن أكثرهم تظهر عنده الخلفية الدينية الإسلامية ، لكنهم مع ذلك استطاعوا أن يعطوا لكل ذي حق حقه في الأدب والشعر .

لكن الملفت أن ابن سلام في طبقات فحوله أفرد مبحثا للشعراء اليهود ، و هو تصرف غير مفهوم المقصد من ابن سلام ، إذ أن يهود شبه جزيرة العرب لم يكن لهم ما يميزهم في أسلوبهم ولغتهم إذ كانوا مستعربين ، و تميزهم أنهم أهل كتاب و علوم ، أما اللغة و الأدب فإن لغتهم كانت لغة العرب و أدبُهم كذلك .

و بالعودة إلى أنموذج ابن رشيق فإن معيار النقد الديني و الأخلاقي ليس مقياسا ثابتا أو مؤثرا عنده كما قررته سابقا في مبحث النقد الديني[1] ، إذ يلاحظ أن ابن رشيق كان يرفض الهجاء شأنه في ذلك شأن الكثير من النقاد و علماء الأدب ، و يلاحظ ذلك من خلال بعض تعليقاته مثل قوله في : المثقال:"شاعر مطبوع قليل التكلف سهل القافية ، خبيث اللسان في الهجاء عيار ماجن لا يمدح أحدا"[2] ، و قوله في الفراسي : " كان شاعرا خليعا ماجنا شريرا كثير المهاجاة ، قليل المداراة، خبيث اللسان" [3] ، و هذا الخط واضح عند ابن رشيق قرره في كتابه العمدة إذ يقول :"و جميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود ، و ترك الفحش فيه أصوب إلا جريرا فإنه قال لبنيه إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة و إذا هجوتم فخالفوا" ، و قال أيضا إذا هجوت فأضحك " ثم يقول ابن رشيق :

---

1)- ينظر هذا البحث ص 102 .

2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 235 ، 238 .

3)- المصدر نفسه ص 146 .

"وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح لاتساع الظنّ في التعريض و شدّة تعلق النفس به فإذا كان الهجاء تصريحا أحاطت به النفس علما" (1) ، يضاف إلى هذا ما يلاحظ على ابن رشيق من امتعاظه من بعض الشعراء الروافظ الشيعيين مثل إسحاق بن إبراهيم الرافضي الذي قال عنه : "كان رافضيا سبابا عليه لعنة الله" (2) ، و غيره و سبب ذلك كما قررته سابقا لوقوع هؤلاء الروافض في الهجاء والطعن في مقدسات للمسلمين إضافة إلى خلافهم السياسي مع الدولة الصنهاجية ، و ما عدا الذي ذكر فإن ابن رشيق في الأنموذج لم يؤاخذ شاعرا لشربه أو سكره أو عاشقا لعشقه أو غير ذلك كما قررته سابقا .

- القدرة على الإبداع و التصرف في الشعر :

من المعايير النقدية لملازمة لمعيار الجودة قضية قدرة الشاعر على التصرّف في مختلف أغراض الشعر ، مع أن ذلك ليس شرطا إذ أن الكثير من الشعراء الذين اشتهروا في غرض معين مثل الملاحم أو الغزل أو الخمريات أو غير ذلك و هم في قمة هرم الشعراء ، لكن مع ذلك يستعمل معيار تعدد الأغراض و القدرة على التصرف فيها معيارا تفضيليا على الأقل ، و الظاهر أن النقاد القدامى لم يولوا هذا المعيار أهمية الأوّلية ، لكننا نجد ناقدا مثل ابن سلام يولي هذا المعيار أهمية و هو في ذلك مثأثر بأستاذه الأصمعي الذي كان يفاضل بين الشعراء أحيانا باستخدام هذا المعيار ، فحين سئل عن الأعشى قال:" إن أهل الكوفة لا يقدمون على الأعشى أحدا ، قال و كان خلف لا يقدم عليه أحدا ، قال أبو حاتم لأنه قال في كل عروض و ركب كل قافية" (3) ، و أعمل ابن سلام هذا المعيار حين فاضل بين جرير و الفرزدق حيث قال :"كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق"(4) و وضع الأعشى في الطبقة الأولى لأنه كان ذا تصرف في أغراض الشعر إذ يقول: " قال أصحاب الأعشى : هو أكثرهم عروضا ، و أذهبهم في فنون الشعر ، و أكثرهم طويلة جيدة ،

---

1)- ابن رشيق ، العمدة 170/2، 173 .
2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 78
3)- الأصمعي ، فحولة الشعر ص 12 .
4)- ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء 374/2 .

وأكثرهم مدحا و هجاء و فخرا ووصفا ، كل ذلك عنده"[1] ، لكن كما سبقت الإشارة فإن هذا المعيار كان للتفضيل كما يبدو و ليس أصلا في التصنيف خاصة و أن الكتابة في الأغراض هي قضية ذاتية و ذوقية بأسباب نفسية و اجتماعية فكثيرا ما يتعلق الشاعر بغرض أو أغراض لظروف قسرية محيطة به خاصة فيما يتعلق بالرثاء و الهجاء مثلا.

في كتاب الأنموذج عند ابن رشيق لا يختلف الأمر كثيرا كما هو عند ابن سلام ، إذ أن ابن رشيق يلمح في العديد من المواضع إلى مقدرة الشاعر على التصرف في أغراض الشعر كتعزيز لإبراز مكانة الشاعر و مرتبته ، و ليس شرطا أن يكون الشاعر قد كتب في كل أغراض الشعر و هذه إشارة لإلمام النقاد بفلسفة الشعر المتعلقة بالنفس إذ للشعر أسباب تستدعيه عادة فاختصاصه أو عدمه قضية ذوقية و ليست موضوعية .

لكن مع ذلك فإن ابن رشيق يشير إلى أن مقدرة الشاعر على التصرف في أغراض الشعر و تنوع إبداعه يكسبه مزية إضافية عن غيره كما يقول في الحروري النحوي : " و في شعره من القوة والتصرّف و التصنّع ما ليس في شعر غيره من أصحابنا ، و هو مع ذلك كثير " [2] ، و قال في محمد بن مغيث : " كان شاعرا مطبوعا ، مرسل الكلام ، مليح الطريقة ، يقع على النكت و يصيب الأغراض " [3] ، و في الخولاني: " شاعر ماهر ، صاحب قواف شرّد و لغة عويصة إذا شاء ، و له قدرة على الكلام يأخذ من رقيقه و جزله ، و يسلك في حزنه و سهله مع حفظ للغة العرب و معرفة بفصول الشعر" [4] ، و في ابن شرف : " ابن شرف : شاعر حاذق متصرف كثير المعاني و التوليد، جيد المقطعات و التقصيد لا ينكر حذقه"[5] ، و في أبي هلال التجيبي"هو شاعر معروف حسن الطريقة ، متصرف بين التصنع و الاسترسال أحيانا ، صاحب مكاتبات و مضمرات و معمى

1)- ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء 65/1 .
2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 162 ، 166 .
3)- المصدر نفسه ص 404 ، 405 .
4)- المصدر نفسه ص 421 ، 423 .
5)- المصدر نفسه ص 340 ، 343 .

ومطيرات ، و ملح و مفكهات و مدحه قليل" [1] ، وفي المسيلي: "كان شاعرا مطبوعا ، سريع الصنعة جسورا على الكلام و المعاني الأبكار من غير براعة في العلم و لا تقدم في الطلب ، ...كنت أناوله المعاني و أفتح له أبواب الكلام إلى أن دخل الجملة و أنشد في المحافل ، ومدح الأشراف ، ثم لم يزل حتى نابش الشعراء و تصرف كيف شاء في القطع والقصائد" [2] ، هذه بعض الأحكام من ابن رشيق في خصوص هذه القضية التي يشير من خلالها أن التصرف في أغراض الشعر يكسب صاحبها قيمة إضافية ، و لم يشترط أحد من النقاد أن يقول شاعر في غرض معين حتى تستبين مقدرته الشعرية ، أو يتجنب غرضا معينا كالمدح مثلا حتى يعيّن في مصاف الفحول ، بل العبرة بالإجادة في أي غرض قال فيه الشاعر ، رغم ما نجده عند النقاد من تفضيل لأغراض على أخرى كما هو حال ابن رشيق في استهجانه للهجاء ، يعني أن الموضوع الشعري لا يهم بقدر ما تهمّ الشعرية نفسها ، رغم أنه يبدي مزيد العناية بأولئك الشعراء الذين يمدحون السلاطين الصنهاجيين .

- **الزمان**

أثارت قضية الزمان قلاقل فكرية و أدبية كبيرة بين أنصار القديم و أنصار الحديث من الشعر ، وانعكس ذلك على واقع التصنيف في كتب الأدب و النقد و على كتب الطبقات بشكل أكبر حيث نجد ناقدا مثل ابن سلام يصنف كتابه على أساس القدم و الأكثر من ذلك أنه يهمل شعراء كبار من المعاصرين له مثل بشار و أبي نواس و أبي تمام و غيرهم ، و هو في ذلك متأثر بما حوله من آراء الأصمعي و ابن الأعرابي و أبي عمرو بن العلاء[3] ، و تبعه في ذلك أبو زيد القرشي الذي يقول عن القدامى : "فلما لم نجد أحد من الشعراء بعدهم إلا مضطرا إلى الاختلاس من محاسن ألفاظهم ، وهم إذ ذاك مكتفون عن سواهم بمعرفتهم " [4] ، لكن ابن قتيبة تفرّد برأيه القائل أنّ كل قديم فهو محدث

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 102 .

2)- المصدر نفسه ص 311 .

3)- جهاد المجالي ، طبقات الشعراء ، ص 114 ، 115 .

4)- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، جمهرة أشعار العرب ، تح: علي محمد البجادي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ص 11 .

بالاضافة إلى من كان قبله[1] بعبارة واضحة لرفضه التصنيف الزمني ، أما ابن المعتز فقد انحاز صراحة للمحدثين و ألف في طبقاتهم[2] ، اتخذ ابن رشيق في عمدته من هذه المسألة موقفا معتدلا متوازنا قوامه أن المعيار الزمني قاصر في العملية الأدبية، إذ أن كلّ قديم هو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله كما نقله عن ابن قتيبة ، إذ أن الله تعالى لم يخص فئة بالكلام و فنونه عن أخرى [3] ، وهذا ما مارسه فعلا في أنموذجه فبالرغم من أن الأنموذج يخص شعراء زمن و إقليم معين إلا أننا لا نلمس مفاضلة بين الشعراء بسبب أزمانهم و لا أظنه حتى رتبهم حسب تواريخهم لأن يهمل في الكثير من الأحيان زمان مولد و وفاة الشاعر و كأنه لا يكترث بالأمر بالرغم مما يظهره من معرفته العميقة بالعلم المترجم له ، و هذا تفسيره أن ابن رشيق صب جل اهتمامه على الجوانب الفنية الأدبية في حياة الشاعر مع عدم الاكتراث بحداثته أو قدمه .

- **المكان**

لم يأخذ المكان أهمية كتلك التي أخذها الزمن في الفكر النقدي العربي القديم ، حيث أننا لا نجد إلا ابن سلام في الطليعة الأولى من النقاد الذين تكلموا عن الفرق بين لغة البادية و الحاضرة و ما الذي يفعله المناخ و البيئة في لغة و شعرية الشاعر حيث قال عن عدي بن زيد : "كان يسكن الحيرة و يراكن الريف ، فلان لسانه و سهل منطقه فحمل عليه شيء كثير " [4] ، و نجد عند غيره كذلك مثل ابن قتيبة و ابن المعتز بعض الإشارات غير المباشرة حول البيئة و أثرها في الشعرية ، لكنهم جميعا لم يعملوها كمعيار للتصنيف و التفضيل ، بالرغم مما اشتهر بعد ذلك من تقسيم للشعراء حسب بلدانهم ، أما ابن رشيق فهو الآخر نقل عن شيخه النهشلي نصا مهما في أثر البيئة في الشعرية يقول فيه : "قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره. ونجد الشعراء الحذّاق تقابل كل زمان بما

---

1)- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 64/1 .

2)- جهاد المجالي ، طبقات الشعراء ، ص 119 .

3)- ابن رشيق ، العمدة 138/1 .

4)- ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء 140/1 .

استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله، بعد ألاّ تخرج من حسن الاستواء، وحدّ الاعتدال وجودة الصنعة، وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم، قال: والذي أختاره أنا التجويد والتّحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدّهر، ويبعد عن الوحشيّ المستكره، ويرتفع عن المولّد المنتحل، ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة"[1] ، فبالرغم مما يبديه ابن رشيق من أهمية للبيئة إلا أن هذا لم يظهر أثره في كتاب الأنموذج لأن طبيعة الكتاب المختص بإقليم واحد ترفع عنه عنت البحث في تأثير البيئة في الشعراء ، إلا أنّه مع ذلك يورد بعض أحوال الشعراء مثل مكان مولدهم و نشأتهم و تقلبهم في البلدان لأن له تعلّقات ببعض القضايا الأدبية المهمة ، لكنه عموما لم يعمل معطيات الجغرافيا كأدوات نقدية في كتاب الأنموذج .

1)- ابن رشيق ، العمدة 93/1.

المطلب الثاني : طبقات الشعراء :

- مفهوم طبقة الشعر :

ـ **لغة** : كلمة طبقة تحمل دلالات و معاني متعددة ، تلتقي أغلبها عند مفهومي المساواة و الموافقة قال ابن منظور :"و طَبَقُ كل شيء ما ساواه و تطابق الشيئان : تساويا ، و المطابقة الموافقة"[1] ، وهذا التساوي و التوافق يكون في أفراد الطبقة الواحدة أي أنهم يشتركون في مميزات و خصائص تجعلهم في وضع متشابه وواحد ، وتطور مفهوم الطبقة و أصبحت له دلالات كلها تعتمد الأصل الأول ، من تلك المفاهيم مفهوم الحال أي أحوال الناس بمعنى طبقاتهم ، قال الزمخشري : "و الناس طبقات ، منازل و درجات بعضها أرفع من بعض"[2] أي أحوالهم في المركز و القيمة الاجتماعية ليسوا على درجة واحدة[3].

- اصطلاحا :

إن أول من قام بالتصنيف على حسب الطبقات هم علماء الحديث الذين أرادوا تصنيف رواة النصوص و الآثار النبوية في طبقات زمانية - و مكانية أحيانا – فوضعوا كل جيل في طبقة حتى تعرف أزمانهم و أجيالهم مما يساعد فيما بعد على دراسة أسانيدهم و التأكد من صحتها مثل طبقات خليفة بن خياط (240هـ) و طبقات ابن سعد (230هـ) هذا مما وصلنا و ما لم يصلنا أووصل بشكل غير مباشر كثير كذلك مثل طبقات الواقدي[4] و طبقات الفقهاء و المحدثين للهيثم بن عدي [5] كما أن لواصل بن عطاء (131هـ) كتابا في الطبقات [6]، ثم تطور الأمر لتظهر مصنفات طبقات حسب القيمة سواء تعلق الأمر بدرجة العلم مثل كتب طبقات الحفاظ و المحدثين

---

1)- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 209/10

2)- محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان ، ط1، 1419 هـ ، 1998 م ، 595/1 .

3)- جهاد المجالي ، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ص 17 ، 18 .

4)- محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، الفهرست ، مطبعة دانشكاه ، طهران/إيران ، 111/1 .

5)- ابن النديم ، الفهرست 112/1 .

6)- المصدر نفسه 203/1 .

و الضعفاء و المتروكين ، أو تعلّق بمدى صدق الراوي مثل طبقات الثّقات و الوضّاعين و الكذّابين أوغير ذلك ككتاب الثقات لابن حبان ، و الثقات للعجلي ، و الضعفاء للبخاري و مثله للدارقطني و العقيلي و غير ذلك من الكتب الكثيرة جدا ، و هذه الأوَّلية لمصنفات المحدثين في هذا المجال معقولة بالنظر لاهتمام المسلمين بعلوم الدين في البداية خصوصا علم الحديث التي كانت أكثر إلحاحا منها في غيرها من المعارف ، خاصة مع ظهور الوضع و التدليس ما دعا البحث عن الرواة والتدقيق في أحوالهم عن طريق الإسناد حتى تمكنوا من فرز ثقات الرواة و المحدّثين من غيرهم [1].

غير أن هذه الفكرة لم تقتصر على ميدان الحديث بل امتدت إلى ميادين أخرى ، فوضع العلماء مؤلفات في طبقات الشعراء ثم النحاة و اللغويين و الأطباء و الحكماء مثل كتاب طبقات النحويين البصريين و أخبارهم لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (286هـ) و أخبار النحويين لابن درستويه وكتاب السيرافي طبقات النحاة البصريين وصولا إلى أزمنة متأخرة مثل مؤلف السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة[2] .

بالنسبة للأدب فإن الأمر لا يختلف في التأليف عنه كما في علم الحديث لكن الغالب عند نقاد الأدب هو تقدير منازل الشعراء و مراتبهم ، فأبو زيد القرشي (170هـ) في جمهرتة رغم أنه قسم كتابه موضوعيا كما يبدو إلا أنه اعتمد الطبقات الزمنية ، أما ابن سلام (232هـ) فقد صنف الشعراء بالنظر إلى أزمانهم فوضع قسما للجاهليين و آخر للإسلاميين و وزّع المخضرمين على القسمين ، و اتبع ابن قتيبة (276هـ) الترتيب ذاته، لكنه ترجم أولا للشعراء الجاهليين و المخضرمين ثم لعدد من الشعراء الأمويين ثم العباسيين لكن يبدو أنه لم يراع الترتيب الزمني الفردي دائما و ذلك لما نجده عنده من تراجم لمخضرمين قبل جاهليين و تفسيره هو أنه راعى الترتيب الزمني للمجموع[3]، و الشأن نفسه بالنسبة لابن المعتز(296هـ) في طبقات الشعر .

---

1)- جهاد المجالي ، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ص 27 .

2)- المرجع نفسه ص 26 .

3)- المرجع نفسه ص 26 .

إذن من خلال ما سبق نفهم أن معنى الطبقة عند نقاد الأدب لم يقتصر على المعنى الزمني بل تعداه إلى المعنى القِيمي حسب مكانتهم و درجاتهم كما هي الحال عند ابن سلام ، على الرغم من أن محقق كتاب طبقات فحول الشعراء ينفي المعنى القِيمي للطبقات و يذهب إلى معنى المنهج أوالأسلوب"[1] ، لكن يرى الكثير من الباحثين أن ابن سلام قصد المعنى القيمي و الأدلة كثيرة في كتابه و من أقواله نفسه ، ففي حديثه مثلا عن شعراء الطبقة الرابعة الجاهليين ، يقول : "و هم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع الأوائل و إنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة"[2] ، فهو يقول صراحة أنه أخّر هؤلاء الأربعة لأنهم مقلين ، و لو أن ترتيبه كان فنيا فقط لما نظر إلى هذا الجانب .

و مهما يكن من أمر فإن هذه الكتب الأدبية لم تكن كتب جمع فقط بل كانت تعتمد الانتقاء و الانتخاب وفق قواعد نقدية ثابتة عموما عند كل مؤلف أو ناقد على الأقل .

وابن رشيق في كتاب العمدة ذكر كذلك في طبقات الشعراء منهجين من التصنيف الأول وفق الترتيب الزمني حيث يقول بأن : "طبقات الشعر أربع: جاهلي قديم ، و مخضرم ، و هو الذي أدرك الجاهلية و الإسلام ، و إسلامي ، و محدث ثم صار المحدثون طبقات : أولى و ثانية على التدريج ، و هكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا "[3] ، و التصنيف الثاني فني أدبي حيث أنشد في بيانه لغيره :

الشعراءُ فاعلمـــنَّ أربعـــهْ فشاعرٌ لا يُرتَجَـــــى لمنفعهْ
وشاعرٌ ينشد وسْط المجْمعهْ و شاعرٌ آخَرُ لا يجري معهْ
و شاعر يُقالُ خمرٌ في دعهْ [4]

و نقل كذلك في هذا الصدد قولهم : "الشعراء أربعة : شاعر خنذيذ و هو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره ، و سئل رؤبة عن الفحولة ، قال : هم الرواة ، و شاعر مفلق ،

1)- جهاد المجالي ، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ، ص 68 .
2)- ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء 137/1 .
3)- ابن رشيق ، العمدة ، 113/1 .
4)- المصدر نفسه 114/1 .

وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجوّد كالخنذيذ في شعره ، و شاعر فقط و هو فوق الردئ بدرجة ، وشعرور، و هو لا شيء"[1] .

من هذه النقول نستنتج أن ابن رشيق قرّر بها واقع تصنيف الشعراء إما على طبقات الزمن أوتصنيفهم من خلال جوانب فنية متعددة كما في النص الثاني .

كتاب الأنموذج هو الآخر لا يخرج في فلسفته عن هذا السياق لكن عوامل التطور الفكري ظاهرة على لغته و منهجه على الأقل في حدود ما وصلنا منه في شكله الحالي ، حيث أن ابن رشيق خصص كتابه لترجمة مائة من الشعراء الذين ينتمون واقعيا و حضاريا إلى القيروان ، إذ نجد في كتابه أعلاما خارج منطقة القيروان لكنهم ينتمون إليها ثقافيا ، و أعلاما أخر لم يذكر تاريخ وفاتهم ما يبيّن أنه لا يبالي بالتواريخ كثيرا ، و هذا كله في حدود من عاصره و شهده ابن رشيق من الشعراء ، هذا يعني أن شعراءه تجمعهم زمنيا طبقة واحدة ، يبقى ترتيبهم داخل هذه الطبقة محل نظر ، لأن الكتاب في شكله الحالي كما أخرجه جامعاه مرتب ألفبائيا ، لكن محتواه ينبئ أن للكتاب تقسيما و ترتيبا آخر ، أو على الأقل يمكن تقسيمه بطريقة أخرى منهجيا أو أدبيا ، بالنظر إلى المصطلحات النقدية و التعليقات الأدبية التي يحكم بها ابن رشيق في كل ترجمة .

من الواضح أن ابن رشيق لم يعتمد في تقسيم كتابه المعطيات الزمانية أو الجغرافية ، لأنه لو سلك هذا المنهج لاتضح ذلك فيما وصل إلينا و لأشار له من نقل عنه ، لكن عموما يمكننا تقسيم شعراء أنموذج ابن رشيق إلى أربع طبقات ، يمكن اعتبارها واقعا من معطيات الكتاب وليست وضعا اعتباطيا أو تعسّفيا ، بل إن ابن رشيق نفسه صرّح أنه قسّم كتابه وفق طبقات في ترجمة ابن غالب ، حيث يقول ابن رشيق في سياق إيراده لنصوص المترجَم له : "و أنا أقتصر من كلامه على ما جانس الوقت و ناسب الطبقة"[2] ، و لا نحسبه يريد إلا طبقة الشاعر .

---

1)- ابن رشيق ، العمدة ، 115/1 .

2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 289 .

و على العموم الطبقات التي يمكن تمييزها في الأنموذج هي : طبقة الشعراء النقاد ، طبقة الشعراء الكتاب ، طبقة الشعراء الفحول ، طبقة الشعراء المتوسطين ، و رغم ما في هذا التقسيم مما يظهر من عدم التجانس حيث أن الشعراء الكتاب لا يتجه تصنيفهم مع النقاد و الفحول و المتوسطين ، إلا أنه يمكن اعتبار أنّ ابن رشيق أراد إفرادهم بطبقة لتميّز فئة الشعراء الكتاب في تلك الفترة ، خاصة وأنّه توجد بعض كتب الطبقات التي تقسم حسب المنهج و التميز ، و ليس حسب الإجادة والقدرة و المكانة دائما ، كما يرى محمود شاكر في مقدمة طبقات ابن سلام أن هذا الأخير عنى بطبقاته المناهج فكل طبقة عنده تمثل منهجا مستقلا و متميزا في عالم الشعر[1]، و الشأن نفسه يمكن استنتاجه من جمهرة[2] القرشي الذي قسّم كتابه إلى معلقات ومجمهرات و منتقيات ومذهبات وغير ذلك ، و يمكن اعتبار الأمر كذلك في هذا التقسيم لدى ابن رشيق ، ثم إن التميز المنهجي يتبعه بشكل مباشر تميز أدبي فني ، لذلك فالجمع بين هذه الطبقات ليس أمرا نشازا يرفضه المنطق الأدبي .

لكن يبقى المعيار العام الثابت في تقسيم ابن رشيق للأعلام في الأنموذج هو الجودة و دليل ذلك :

ما قاله ابن رشيق : كتب إلي - عبد الرزاق النحوي - لما صنعت هذا الكتاب صحبة نبذ أنفذها إلي لأثبتها :

يـــا مبرزاً إبريـــز خير سبيكـــة — و مكللا إكليـــل خيـــــر متوجِ
و مميّـــــزا جنسـي مقدمة النّهى — إن أشكلا من عاقـــر أو منتـــجِ
و مطرّزا حلل البلاغـــــة معجزا — كل الورى ببلاغـــــــــة الأنموذجِ
فكأنّه للسمع لفـــــظُ أحبـــــــةٍ — و كأنّـــه للعين روض بنفســـجِ
و كأنّه للقلبِ سحـــــــرُ علاقـةٍ — في مهجة تخشى الصدود و ترتجي
خصصت أهل الغرب منه بمشرق — بأقـــر مـــــن شمس النهار و أبهجِ
رجّحْت بين ذوي الفصاحةِ منهمُ — و فصَلْـــــت بين مرتِّب و مثبِّـــجِ
و كشفتُ عن شعـــري لتلحقهُ به — فاستُر على خلٍّ لسترِك مُحُـــوجِ[3]

1)- ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، مقدمة المحقق ، 65،69/1 .
2)- أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، ص 111، 379 ، 431، 491 .
3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 155 .

فقول عبد الرزاق النحوي "رجّحت بين ذوي الفصاحة منهم" يدل صراحة أن ابن رشيق ميّز بين شعراء أنموذجه بعد انتقاءهم و انتخابهم ، يضاف إليه أن ابن رشيق ترجم في الأنموذج لأهم شعراء عصره و أعلامهم و دليل ذلك أنه أهمل البعض منهم رغم معرفته بهم لأسباب مختلفة ، ما يعني أن التفضيل مستخدم وفق منهج هو الجودة .

و يبدو ابن رشيق كغيره من نقاد الأدب متأثرا بعلماء مصطلح الحديث خاصة فيما يخص ايراد المصطلحات مختصرة و من غير تعليل مطول .

- **طبقات الشعراء**

أولا : طبقة الشعراء النقاد :

هذه الطبقة من الشعراء هم أولئك الذين بلغوا درجة متقدمة في قول الشعر و نقده ووصفهم ابن رشيق صراحة بأنهم شعراء نقاد ، مثل الحصري الذي قال فيه: "كان شاعرا نقادا عالما بتنزيل الكلام و تفصيل النظام" [1] أو وصفهم بأعلى صفات النقد و المدح مستخدما أفعل التفضيل وصيغ المبالغة مثل ما قال في ابن شرف القيرواني : " أشعر أهل زمانه من شق غباره وأحذقهم من اقتفى آثاره و ما منهم إلا أغر نجيب ، و لقد شهدته مرات يكتب القصيدة في غير مسودة كأنه يحفظها"[2]، و عادة ما يطيل ابن رشيق في ذكر أحوالهم و مجالسهم ، و هؤلاء هم الذين يطلب منهم التحكيم في مجالس الشعر و الأدب مثل طلب ابن رشيق من ابن حديدة أن يجيز شعره ويقيّمه [3] و مثل قول ابن رشيق كذلك في ابن بقال الضرير : " يسلك طريق أبي العتاهية في سهولة الطبع و لطف التركيب ، و قرب مآخذ الكلام ، و لا غنى لأحد من الشعراء الحذاق عن العرض عليه والجلوس بين يديه أخذا للعلم عنه و اقتباسا للفائدة منه"[4] ، و يمكننا عموما إحصاء أحد عشر شاعرا ناقدا هم : الحصري ، الخولاني ، ابن حديدة ، ابن البقال الضرير ، العطار، ابن شرف ، ابن سفيان ، ابن الربيب القاضي ، أبو حبيب ، النهشلي ، إضافة إلى صاحب الكتاب، وصفهم ابن رشيق بصفات تشير إلى هذه المرتبة يمكن إجمالها في الآتي:

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 45 ، 46 .

2)- المصدر نفسه ص 340 ، 343 .

3)- المصدر نفسه ص 72 .

4)- المصدر نفسه ص 158 ، 159 .

1 - النقد : و هو أبلغ وصف في الإشارة إلى هذه الطبقة وصف به ابن رشيق شاعرين هما الحصري و الخولاني [1].

2 - الفتوى : و هي في دلالتها لا تقل أهميتها عن الوصف السابق ، رغم أنه مصطلح ديني استعاره ابن الرشيق في الأدب ، حيث وصف به أبوحبيب فقال : " برز في الأدب و صناعة الشعر و علم الشرع ، فصار صدرا مذكورا في كل واحد منها يصلح للفتوى"[2] .

3 - الحذق : و هي صفة قوية كذلك في الإشارة إلى المرتبة النقدية الكبيرة التي بلغها الشاعر و إلى قدرته على تمييز الشعر و تقييمه و هذا راجع إلى حذقه فيه ، ووصف ابن رشيق به كل من ابن حديدة [3]و ابن البقال الضرير[4] و العطار[5] وابن شرف[6] ، و ابن الربيب القاضي [7].

4 - العلم : و هو وصف كذلك يدل على الجمع بين الأدب و علمه و وصف ابن رشيق به ابن سفيان حيث قال فيه : " هو من أهل العلم بهذه الصناعة و الذكر و التقدم فيها" [8].

5- التقديم : هذا الوصف يدل على أولّية صاحبه في مجال الأدب قولا و نقدا ، ووصف ابن رشيق بهذه الصفة أستاذه عبد الكريم النهشلي [9].

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 45 ، 46 ، 421 ، 423 .

2)- المصدر نفسه ص 141 ، 144 .

3)- المصدر نفسه ص 71 .

4)- المصدر نفسه ص 158 ، 159 .

5)- المصدر نفسه ص 198 ، 202 .

6)- المصدر نفسه ص 340 ، 343 .

7)- المصدر نفسه ص 111، 113 .

8)- المصدر نفسه ص 99 ، 100 .

9)- المصدر نفسه ص 170 ، 171 .

ثانيا : طبقة الشعراء الكتاب :

قد يظهر أن هذه الطبقة نشاز بين الطبقات الأخرى كما سبق لأنها ليست نتاج المعيار الفني الأدبي و إنما معيارها يتصل بحرفة أو مهنة الشاعر و هي الكتابة لكنها ذات علاقة وطيدة و مؤثرة في أدب صاحبها ، و إصرار ابن رشيق في كل مرة في تراجم بعض الشعراء على أنهم كانوا كتابا محترفين و سرد بعض القضايا المتعلقة بذلك يوقفنا على أنه يولي الأمر أهمية تستحق الوقوف عندها ، ويستأنس في ذلك بما فعله ابن المعتز الذي قسم شعراءه إلى مدارس فنية مثل مدرسة البديع ومدرسة الحكمة و غير ذلك [1] و بما فعله القرشي ، و بما قاله محمود شاكر كما مر سابقا، و من دون شك أن شعر الكتاب و أدبهم بصفة عامة يحمل مميزات فنية خاصة تجعل أدبهم يصنف في طبقة معينة كما نستشفه عند ابن رشيق ، خصوصا إذا كان الكتاب صفة مميزة لزمن أو عصر معين كما في العصر العباسي ، و كما هو الحال في عصر الصنهاجيين و المعز بن باديس بوجه أخص ، ثم إن ابن رشيق نفسه خصص كتاب آخر للشعراء الكتاب كما تذكر المصادر [2].

و يشمل هذا الصنف من الشعراء أولئك الذين امتهنوا الكتابة الرسمية في الحضرة الأميرية وأبناءهم كذلك يلحقون بهم مثل ابن أسباط الكاتب فهو لم يكن كذلك إنما أبوه هو من كان كاتبا [3] ، إضافة إلى أولئك الذين احترفوا الكتابة العلمية في الأخبار و التواريخ و الفلسفة و غيرها من العلوم ، إضافة إلى أولئك الذين اشتهروا بالخط و فنونه [4]و هي صفة لازمة للكاتب السلطاني عادة .

من مميزات شعر هذه الفئة من الشعراء أنهم يميلون إلى لطافة الألفاظ ووضوحها و النزوح نحو الطبع وقلة القول في الأغراض المشهورة مثل المديح و الهجاء و الميل إلى الشعر العلمي الذي يستعمل فيه صاحبه مصطلحات علم معين ، إلى جانب استعمال الشعر التعليمي سواء في شكل ألغاز أونكت أو غيرها و الوصف ، و تكثر في أشعارهم المراسلات ، مع ملاحظة –كما يبدو من

1)- عبد الله بن محمد المعتز (المتوفى: 296هـ)، البديع في البديع ، دار الجيل ، ط1 ، 1410هـ - 1990م ، ص 7، و انظر جهاد المجالي ، طبقات الشعراء في النقد الأدبي ، ص 85 .

2)- ابن رشيق ، الأنموذج ، ص 29 .

3)- المصدر نفسه ص 194 .

4)- أبو بكر محمد بن يحى الصولي (المتوفى: 335هـ) ، أدب الكتّاب، : المطبعة السلفية - بمصر، 1431هـ ، 46/1.

الأنموذج - أنهم غير مكثرين من الشعر و أغراضه ، و عادة ما يطلق ابن رشيق نفَسَه في ترجمتهم وسرد بعض أحوالهم و قد يكون مرد ذلك إلى أن ابن رشيق كان على مقربة منهم و على احتكاك دائم معهم لأنه كان من رجالا البلاط السلطاني إلى جانب الكتاب ، وقد يشتهر بعضهم في كثير من الأحيان بتميزه في فنون النثر إلى جانب بروزه في الشعر و هذا طبيعي بسبب الحرفة ، و الشخصية العلمية التي يتميزون بها .

و يظهر ذلك بشكل واضح عند ابن رشيق عند ترجمته للشعراء الذين صنّفتُهم في هذه الطبقة وعددهم ثلاث عشرة شاعرا، وصفهم كلهم تقريبا إلى جانب ميزة الكتابة ، بلطافة العبارة أو بوصف قريب منها مثل الملاحة و الحسن و السلاسة مثل ما قاله في أبي إسماعيل الكاتب :" لطيف الألفاظ نظيفها رشيق المعاني و جيزها ... غواصا في بحر الحكمة على در البديع ، قليل المديح و الهجاء ، كلفا بالمواعظ في شعره"[1] ، و في الرقيق القيرواني :" شاعر سهل الكلام محكمه لطيف الطبع قويه تلوح الكتابة على ألفاظه قليل صنعة الشعر "[2] ، و في كاتب كرامة: " شاعر لطيف ، حلو الكلام"[3] ، و في ابن الأبزاري : "كان شاعرا لطيفا متفننا " [4] ، و في ابن أسباط الكاتب : "كان..شاعرا حاذقا ، مليح الكلام غريب القوافي ظريف المعاني قليل الشعر " [5] ، و في أبي الحسن الكاتب : في شعره من إتقان الصنعة في لطافة و حلاوة و إدماج ما يفوت كثيرا من الشعراء"[6]، وفي ابن حيان الكاتب: "شاعر ذكي متوقد سلس الكلام تطيعه المعاني ، و ينساغ له التشبيه ، وتحضره البديهة" [7] ، و في المنجم: "شعره مليح البناء ملتئم الأجزاء"[8] ، و قال في الطارفي : "أكثر اشتهاره بالنثر دون النظم إذ كان فيه فارس الفرسان وواحد الزمان" [9].

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 50 .
2)- المصدر نفسه ص 55 .
3)- المصدر نفسه ص 90 ، 91 .
4)- المصدر نفسه ص 130، 131 .
5)- المصدر نفسه ص 194 .
6)- المصدر نفسه ص 360 ، 363 .
7)- المصدر نفسه ص 396 .
8)- المصدر نفسه ص 408 .
9)- المصدر نفسه ص 167، 168 .

في هذه النقول التي تمسّ أغلب شعراء هذه الطبقة نجد فيها أهم الخصائص التي تمييز هذه الطبقة إلى جانب لطافة العبارة وسهولتها من مثل :قلة الشعر و تجنب بعض الأغراض و الشهرة بالنثر و غير ذلك ، لكن تبقى أهم ميزة هي لطافة اللغة و قد يكون هذا بسبب احترافهم للكتابة السلطانية التي تتطلب مجاملات و و عبارات و ألفاظ فيها جانب كبير من الاحترام و التوقير .

ثالثا : طبقة الشعراء الفحول :

- مفهوم الفحولة :

لغة : قال ابن منظور : "الفحل معروف، الذكَر من كل حيوان ... وفَحَل إِبلَه فَحْلاً كريماً اختار لها ... "[1] ، وَفِي الْحَدِيثِ: "إن لَبَنَ الفَحْل حِرْم" ؛ يُرِيدُ بالفَحْل الرجُل تَكُونُ لَهُ امرأَة وَلَدَتْ مِنْهُ وَلَدًا وَلَهَا لَبَنٌ، فكلُّ مَنْ أَرضعته مِنَ الأَطفال بِهَذَا فَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى الزَّوْجِ وإِخوتِه وأَولاده مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا، لأَن اللَبن للزوج حيث أنهَ سَبَبُهُ ، و نقل عن الأزهري : " استفحَل أَمر العدوّ إِذا قوِي واشتدّ فهو مستفحِل " [2] ، إذن من خلال إشارات ابن منظور السابقة نستنتج أن مفهوم الفحولة اللغوي يمكن حصره في الذكورة و الخصوبة -الإنجاب- و النبيل و الكريم و ما يقرب من هذه المعاني التي تعطي التميز و الفرادة و الرفعة .

أما اصطلاحا فإن الفحولة لم تعرف تحديدا ثابتا لدى النقاد الأوائل لكن يمكننا وضع إطار عام وتصور يجمع أهم آراء النقاد ، يقول ابن منظور: هُمُ الَّذِينَ غَلَبُوا بالهِجاء مَنْ هَاجَاهُمْ مِثْل جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ وأَشباههما، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عارَض شَاعِرًا فَغَلَبَ عَلَيْهِ، مِثْلُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ، وَكَانَ يُسَمَّى فَحْلًا لأَنه عَارَضَ إمرأَ الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِي أَولها: "خليليَّ مُرّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ" بِقَوْلِهِ فِي قَصِيدَتِهِ: "ذَهَبْت مِنَ الْهِجْرَانِ فِي غَيْرِ مذهَب " وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُعَارِضُ صَاحِبَهُ فِي نَعْتِ فَرَسِهِ ففُضِّل علقمةُ عَلَيْهِ وَلُقِّبَ الفَحْل" [3] ، و مقصوده بالفحل هنا هو ذلك الشاعر الذي

---

1)- ابن منظور الأفريقي ، لسان العرب ، 516/11.

2)- المصدر نفسه ،516/11.

3)- المصدر نفسه ،518/11.

بإمكانه تطويع أي قافية و غلبة أي شاعر ، و سال أبو حاتم الأصمعيَّ عن معنى الفحل فقال له: "له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق" قال: وبيت جرير يدلك على هذا:

وابنُ اللبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ   لم يستَطِع صولَةَ البُزلِ القناعيسِ"[1]

و لخص أدونيس معايير الفحولة عند الأصمعي فقال بأنها : 1 -الحظوة أي المنزلة و المكانــة ، 2 -السبق ،3- الأخذ من قوله ، 4 – إتباع مذهبه و يضيف أدونيس معلقا : "و إذا عبرنا عن ذلك بلغتنا ومصطلحاتنا الحديثة قلنا إن الشاعر العظيم في نظر الأصمعي ، هو الذي يبتكر ما لا سابق ، و يؤثر في الذين يأتون بعده فيسيرون في الطريق التي فتحها" [2].

و نقل ابن رشيق قولهم"الشعراء أربعة : شاعر خنذيذ و هو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره ، و سئل رؤبة عن الفحولة ، قال : هم الرواة ، و شاعر مفلق ، و هو الذي لا رواية له إلا أنه مجوّد كالخنذيذ في شعره ، و شاعر فقط و هو فوق الردئ بدرجة ، و شعرور، و هو لا شيء"[3] ، و قول رؤبة في الفحوله هم الرواة يفيد أمرا آخر للشاعر و هو كونه راوية للشعر ، وقريب منه نص الجاحظ الذي يقول : "سمعت بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاث : شاعر وشويعر و شعرور"[4] ، و يعد ابن سلام من أهم النقاد الذين استخدموا مصطلح و معيار الفحولة و ميزته أن مؤلفه الذي يحمل عنوانه هذا المصطلح بلغنا ، لذلك ارتبط به أكثر من غيره ومفهوم الفحولة عند ابن سلام تتحدد في كون الشاعر : مجيدا و متعدد الأغراض الشعرية ، إلى جانب كم إنتاجه الشعري[5] ، و هذه الحدود الثلاثة لمعيار الفحولة هي التي اشتهرت بقوة بعد ابن سلام .

و في كتاب الأنموذج ذكر ابن رشيق هذا المصطلح في أكثر من موضع كما في ترجمة عبد الله الجراوي الذي قال فيه :"كان شاعرا **فحلا** قويا وصافا دربا بالخبر و النسب جيد الفكر و الخاطر

1)- الأصمعي ، فحولة الشعراء ، ص 9 ، وإحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،51 .
2)- أدونيس ، الثابت و المتحول بحث في الإتّباع و الإبداع عند العرب، دار العودة، بيروت/لبنان ، ط2 ، 1979 ، 40/2.
3)- ابن رشيق ، العمدة ، 115/1 .
4)- الجاحظ ، البيان و التبيّن ، 9/2 .
5)- ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء 3/1 .

تحسب بديهته رويته "[1]، و في ترجمة ابن أبي النوق الطبيب الذي قال فيه : "لم أر قط أسهل من الشعر عليه ، يكاد لا يتكلم إلا به ،و أكثر تأدبه بالأندلس **...**أخذ الجوائز و قارع فحول الشعراء**"**[2] .

و كما يظهر من النص الأول فإن مفهوم الفحولة عند ابن رشيق لا يختلف عنه كما عند بقية النقاد إذ نجده يسلك طريق ابن سلام في اعتبار الفحولة بالجودة و الكم و تعدد الأغراض و يتضح هذا أكثر عند مجموعة الشعراء الذين وضعتهم في هذه الطبقة و البالغ عددهم أحد عشر شاعرا ، لم يذكر ابن رشيق في وصفهم هذه الشروط الثلاثة متلازمة بل يصفهم بأحدها أو أكثر ، مع ملاحظة أن هاته الطبقة يسهب ابن رشيق في إطرائهم و مدحهم بما يفيدنا أنها طبقة من بلغ الذروة في قول الشعر و إجادته لكنه ليس في مرتبة النقاد ، وبذلك انحصرت الصفات التي يذكرها ابن رشيق في هؤلاء في ألفاظ الكم و الإجادة و الامتياز وتعدد الأغراض إضافة إلى وصف "اتباع طريق الشعراء أوالعلماء" ، لكن الوصف الأكثر هو لفظ الإجادة مثل ما قال في **:** أبي طاهر المطرز " هو شاعر **مذكور جيد** المعرفة**"**[3] و في قرهب بن جابر الخزاعي**:**" كان شاعرا مطبوعا **جيد الطبع** علي الأنفاس**"**[4] ، و في **:** الكموني التميمي **:** "شاعر فصيح الألفاظ حسن التقسيم، **جيد الترسيم** جزل الشعر **...** وشعر محمد **كثير جدا** ، و إنما أكثرت منه إدلالا بجودته**"** [5] ، و في القزاز " كان له شعر **جيد** مطبوع مصنوع " [6] ، و في محمد بن مغيث **:** " كان شاعرا مطبوعا ، مرسل الكلام **... يصيب الأغراض** و يقيم حرب الشعراء[7] ، و في الأربسي**:** "كان شاعرا **مجودا** مليح الكلام**..."**[8]، و خص بوصف الامتياز **:**

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج 216 .

2)- المصدر نفسه 241 .

3)- المصدر نفسه ص 87 ،88 .

4)- المصدر نفسه ص 324 ، 330 .

5)- المصدر نفسه ص 331 ، 335 .

6)- المصدر نفسه ص 365 ، 369 .

7)- المصدر نفسه ص 404 ، 405 .

8)- المصدر نفسه ص 425 ، 429 .

محمد بن أبي علي :"هو شاعر حلو ذكي ، **ممتاز** لا يمدح و لا يهجو ثقة" [1] ، أما مصطلح "اتباع طريق العلماء" أو "الشعراء" : فلقد خص به كلا من : اسماعيل الخازن الذي قال فيه :" طريقته في الشعر **طريقة العلماء** يستعمل ما عليه الناس "[2] ، و الفارسي الذي قال فيه :"شاعر درب متدفق الطبع لقي الملوك ودخل الأمصار و **سلك طريق الشعراء**" [3] ، و لعل مدلول المصطلح أن الشاعر بلغ ما بلغه بفضل سلوكه للخط الموصلة إلى مصافّ الشعراء رغم أن لا مزية له على غيره بإضافة أوخاصية .

هذه أهم الأوصاف التي خص بها ابن رشيق شعراء هذه الطبقة ، التي نجد لغة الترجمة فيها على نسق ومستوى واحد ، ما يقربنا أكثر إلى أرجحية تقسيم الأنموذج وفق طبقات محددة .

رابعا : طبقة الشعراء المتوسطين:

صرح ابن رشيق في ترجمته لأحد الشعراء في الأنموذج أن هناك من هم في طبقة متوسطة من الشعر[4] و من ثم وضعت هذا العنوان لهذه الطبقة التي تعتبر أكثر شعراء كتاب الأنموذج حيث يبلغ عددهم أربعة و ستين شاعرا ، و هذه الطبقة من الشعراء ليسوا في شهرتهم مثل النقاد و الكتاب و الفحول بل أغلب ما ذكره ابن رشيق فيهم هو مجرد وصف لا يقتضي مدحا أو رفعا في الغالب مع أنه قد يقتضي تهوينا حيث أنه قد ينتقدهم أحيانا في شخوصهم أو أساليبهم الشعرية أو قد يكونون ممن تُكُلِّم في مقدرتهم الشعرية التي قد يذكرها ابن رشيق أحيانا لكنه ضمنهم كتابه لأنهم شعراء و فقط ، أو أنهم غير مشهورين بالشعر .

و لا يطيل ابن رشيق في ترجمة شعراء هذه الطبقة كثيرا ، و لا يذكرهم في الغالب بعبارات أو أحكام مميزة مدحا أو ثلبا ، بل أكثر ما يذكر فيهم كلاما عاديا ، و في أحسن الأحوال يصف جزئية في

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 347، 349 .
2)- المصدر نفسه ص 81، 82 .
3)- المصدر نفسه ص 413، 418 .
4)- المصدر نفسه ص 92 ، 134 .

شعريتهم بالحسن كما حصل مع الكثير منهم مثل ما قاله في أبي هلال التجيبي :"هو شاعر معروف حسن الطريقة"[1] ، و في الصيرفي : "حسن المناقشة و المفاتشة" [2] ، و في ابن الفكاه : "حسن الطريقة حلو في جزالة"[3]، و في الزبني : "حسن الطريقة فخم الكلام"[4] ، وفي ابن الخواص الكفيف: "شاعر مشهور ، حسن الطريقة"[5] ، و غيرهم كثيرون ، و ممن وصفهم بالتوسط الذي أخذنا منه تسمية هاته الطبقة نجد ابن الإسفنجي الذي قال فيه : " مشهور بعمل الشعر ، متوسط الطبقة ، أظنه لا يصنع إلا لحا من غير قصد و لا تعمد" [6] ، و نجد كذلك شبلون المصاحفي الذي قال فيه "كان رجلا مستهزئا مشهورا بالتنقير و المقالعة ... كان شبلون متوسط الشعر منصرف الهمة إلى نظمه بلسان القبقبة"[7] ، و هذا التصريح الواضح من ابن رشيق بوسم هؤلاء الشعراء بالتوسط دليل على أن ابن رشيق حتى و إن لم يقسم كتابه إلى طبقات إلا أنه كان يفرق بينهم منهجيا مستخدما أدوات فنية نحاول استكشافها و استنتاجها .

و نجد في هذه الطبقة أولئك الشعراء الذين ذكر فيهم ابن رشيق نقدا لنفسه أو نقله عن غيره و سواء أأفاد هذا النقد علما أو لم يفده، كأن كان تحاملا مثلا من مثل ما قاله في أبي الفتوح السوسي " **قيلت فيه أقوال فلم يضره ذلك**" [8]، و ما انتقد به كذلك إسحاق بن إبراهيم الرافضي الذي قال فيه : "**كان رافضيا سبابا ، عليه لعنة الله** ... جمعني و إياه مجلس طيب..." [9] ، و قال في الصابوني : " كان شاعرا معمرا ... صاحب نوادر و مقالعة **و هجاء خبيث** ، **و أقدر الناس على مهاترة و بديهة**"[10] ، و قال في ابن حربون : " **ربما انقلب عليه التشبيه ، و قد تصفحت**

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 102 .
2)- المصدر نفسه ص 120 ، 122 .
3)- المصدر نفسه ص 136 .
4)- المصدر نفسه ص 138 ،139 .
5)- المصدر نفسه ص 155 .
6)- المصدر نفسه ص 92 .
7)- المصدر نفسه ص 134 .
8)- المصدر نفسه ص 69 .
9)- المصدر نفسه ص 78 .
10)- المصدر نفسه ص 97 .

جميع ما رأيت له من الشعر فلم أجده ولد معنى انفرد به و لا زاده ، زيادة توجيه له" [1] ، **وفي الفراسي : "كان شاعرا خليعا ماجنا شريرا كثير المهاجاة ، قليل المداراة ، خبيث اللسان"**[2] ، و غير ذلك من عبارات النقد التي تحضر في أغلب شعراء هذه الطبقة لكن الأمر اللازم مع هذا الانتقاد أن ابن رشيق يعترف لهؤلاء الشعراء بالمقدرة الشعرية رغم ما يلاحظه عليهم .

و قد نجد ابن رشيق يصف بعض شعراء هذه الطبقة بكونهم لم يشتهروا بقول الشعر أو أن شعرهم قليل أو أنهم عرفوا بأمور أخرى غير الشعر مثل : عبد الرزاق النحوي الذي قال عنه : "الغالب عليه علم الشرائع و القرآن ، وعنده من أصول الجدل و النظر في المذاهب نصيب"[3] ، وما قاله كذلك في الجنبياني: " كان عبد الله شاعرا ظريفا يخفي شعره و هو مع ذلك قليل ، و يصنعه ولا يتجاوز المقطعات إلى شيء من التطويل" [4] ، و في ابن فلاح "كان متصدرا للقرآن مشهورا بذلك ذكيا لوذعيا مليح الشعر" [5] ، و في الحروري النحوي:" له من سائر العلوم حظوظ وافرة وحقوق ظاهرة ، أغلبها عليه علم النحو و القراءات و ما تعلق بها و فيه ذكاء يكاد يخرج عن الحد المحمود " [6] ، هذه الأوصاف و ما يقاربها تنحصر في فئة معينة هي تلك التي أسميتها بطبقة المتوسطين .

في خاتمة هذا المطلب يمكننا القول بأن ابن رشيق ميّز بين شعراء أنموذجه من خلال الألفاظ و المصطلحات التي خص بها كل مترجم ، هذه الألفاظ تطلعنا على موقف ابن رشيق من ذلك الشاعر و تطلعنا كذلك على مكانة الشاعر المترجَم ، و هذا ما يزيد في أهمية كتاب الأنموذج بين كتب الأدب و النقد .

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 104 .

2)- المصدر نفسه ص 146 .

3)- المصدر نفسه ص 155 .

4)- المصدر نفسه ص 186 .

5)- المصدر نفسه ص 196 .

6)- المصدر نفسه ص 162 ، 166 .

المطلب الثالث : تقاليد أدبية و نقدية

في هذا المبحث نلقي الضوء على بعض الأعراف الأدبية التي نلمحها من خلال كتاب الأنموذج عند ابن رشيق و أشار إليها كثيرا بالقدر الذي يوحي بأهميتها و التي ميزت الجو الأدبي أوكانت إحدى المسلمات أو التقاليد التي تسود الحياة الأدبية آنذاك ، و التي كان لها أثرا معرفيا أواقتصاديا في الحياة الأدبية في القيروان ، و أهم هذه التقاليد هي :

- المكاتبة بين الأدباء و العلماء .
- التأديب ، أي تأديب أبناء الأمراء و الوجهاء .
- التكسب بالشعر .

و رغم أنه يوجد الكثير من المظاهر الأدبية الأخرى إلا أن هذه النقاط الثلاثة شكلت أهمية ملفتة من خلال تكرار ابن رشيق لإيرادها في أنموذجه .

1ـ المكاتبة :

- **تعريف المكاتبة لغة و اصطلاحا**

أولا : لغة : المكاتبة على صيغة مفاعلة من الفعل كتب ، قال ابن منظور (كتب) الكِتابُ معروف والجمع كُتُبٌ وكُتْبٌ كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبه كَتْباً وكِتاباً وكِتابةً وكَتَّبه خَطَّه ... والكِتابُ أَيضاً الاسمُ عن اللحياني الأَزهري الكِتابُ اسم لما كُتب مَجْمُوعاً والكِتابُ مصدر والكِتابةُ لِمَنْ تكونُ له صِناعةً مثل الصِّياغةِ والخِياطةِ والكِتْبةُ اكْتِتابُك كِتاباً تنسخه ويقال اكْتَتَبَ فلانٌ فلاناً أَي سأَله أَن يَكْتُبَ له كِتاباً في حاجة واسْتَكْتَبه الشيءَ أَي سأَله أَن يَكْتُبَه له [1] ، و المكاتبة على وزن مفاعلة التي تقتضي المشاركة ، أي هي الكتابة من طرفين .

---

1)- ابن منظور الأفريقي ، لسان العرب، 1- 698 .

ثانيا :اصطلاحا : تعتبر كلمة المكاتبة مصطلحا علميا يختلف مفهومه لدى مختلف العلماء حسب اختصاصهم و أشهر من عرف استخدامه لهذا المصطلح علماء الفقه و علماء الحديث النبوي وعلماء اللغة .

أولا : المكاتبة عند علماء الفقه الإسلامي :

المقصود بالمكاتبة في الفقه الإسلامي هي عقد يربط العبد المملوك بسيده ، على أن يسدد هذا العبد قيمة ثمن حريته على دفعات ، و يسمى العبد مكاتبا بصيغة اسم المفعول و السيد المكاتب بصيغة اسم الفاعل ، قال ابن منظور : "أَصلَ المكاتَبة من المَوْلى وهو الذي يُكاتِبُ عبده ابن سيده ، كاتَبْتُ العبدَ أَعْطاني ثَمَنَه على أَن أُعْتِقَه وفي التنزيل العزيز ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾[1] معنى الكِتابِ والمكاتَبةِ أَن يُكاتِبَ الرجلُ عبدَه أَو أَمَتَه على مالٍ يُنَجِّمُه عليه ويَكْتُبَ عليه أَنه إِذا أَدَّى نُجُومَه في كلِّ نَجْمٍ كذا وكذا فهو حُرٌّ فإِذا أَدَّى جميع ما كاتَبه عليه فقد عَتَقَ وولاؤُه لمولاه الذي كاتَبهُ وذلك أَن مولاه سَوَّغَه كَسْبَه الذي هو في الأَصْل لمولاه فالسيد مُكاتِب والعَبدُ مُكاتَبٌ إِذا عَقَدَ عليه ما فارَقَه عليه من أَداءِ المال سُمِّيت مُكاتَبة لِما يُكْتَبُ للعبد على السيد من العِتْق إِذا أَدَّى ما فُورِقَ عليه ولِما يُكتَبُ للسيد على العبد من النُّجُوم التي يُؤَدِّيها في مَحِلِّها وأَنَّ له تَعْجِيزَه إِذا عَجَزَ عن أَداءِ نَجْمٍ يَحِلُّ عليه"[2] .

ثانيا : المكاتبة عند علماء الحديث النبوي :

هي طريقة من طرق تحمل الحديث النبوي ، و يقصد بالتحمّل تلقي الحديث النبوي بأحد طرقه التي قررها علماء هذا الفن التي منها القراءة ، و السماع و الإجازة و الوجادة و المناولة و غيرها ، والمكاتبة هي إحدى هذه الطرق ، و هي أن يكتب الراوي أو الشيخ شيئا مما يحفظه و يرسله مع ثقة إلى راو آخر ليروي عنه المكتوب ، و هي إحدى الطرق التي يقبل بها رواية الحديث من الراوي ، لكنها في رتبة نازلة عن بعض الطرق الأخرى مثل القراءة و السماع عن الشيخ .

1)- سورة النور الآية 33 .

2)- ابن منظور ، لسان العرب ، 698/1 .

يقول نور الدين عتر :"المكاتبة : هي أن يكتب المحدث إلى الطالب شيئا من حديثه و يبعثه إليه و هي على نوعين : النوع الأول : المكاتبة المقرونة بالإجازة ، و هي في الصحة و القوة مقرونة بالمناولة المقرونة بالإجازة ، النوع الثاني: المكاتبة المجردة من الإجازة ، و الصحيح المشهور بين أهل الحديث تجويز الرواية بها ، فإنها لا تقل عن الإجازة في إفادة العلم " [1] .

ثالثا : المكاتبة عند علماء اللغة و الأدب :

تطلق المكاتبة عند اللغويين و الأدباء على تلك الرسائل الإخوانية و السلطانية ذات الطابع الأدبي، و اتخذت هذه الرسائل صورا شتى إذ تكون شعرية أحيانا أو نثرية أو على شكل مقامة أدبية أو غير ذلك، و اشتهرت هذه المكاتبات الأدبية بين الأشخاص حتى شكلت غرضا أدبيا في التراث العربي، نقل الأصبهاني في أخبار علية بنت المهدي عن الفضل بن الربيع قوله: "ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهدي وأخته علية، وكانت تقدم عليه، كانت تحب المكاتبة بالشعر وكاتبت طلاً فمنعها الرشيد" [2] .

ذكر ابن رشيق في الأنموذج أمثلة كثيرة في سياق ترجماته عن المكاتبات الأدبية، و أخبارا عن اشتهارها بين شعراء عصره لأهداف متعددة نذكر من ذلك : قال في ترجمة الحسن بن أبي هلال التجيبي أبو هلال "هو شاعر معروف حسن الطريقة ، متصرف بين التصنع و الاسترسال أحيانا ، صاحب **مكاتبات** و مضمرات و معمى و مطيرات ، و ملح و مفكهات و مدحه قليل" (3)، و قال في ترجمة الطارفي قال : "هو شاعر مجود ، فخم الكلام ينحته نحتا و يأتي به بختا ، و أكثر اشتهاره بالنثر دون النظم إذ كان فيه فارس الفرسان وواحد الزمان ما بين تزوير مقامة مبتدعة و تصدير خطبة غير مفترعة إلى الرسائل السلطانية و المكاتبات الإخوانية "[4].

---

1)- نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث ، دار الفكر ، سورية ، دمشق ، ط3 ، 1988 ص 218 .

2)- أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، دار الفكر، بيروت/لبنان ، ط2، تح: سمير جابر ،193/8 .

3)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 102 .

4)- المصدر نفسه ص 167 ، 168 .

وروى كذلك عن الأنصاري ،أبو الحسن علي بن زياد الذي قال عنه أنه كان مشهورا وقورا أنه كتب إليه أبو مسلم بن عبدون الكاتب ، و كان خليعا ، يستهديه نبيذا في زكرة يوم شتاء :

يا معدِنَ الأدبِ الذي ما زالَ للأدباءِ كهفَــا

امنُن علــيّ بزكــــــرةٍ للخندريسِ تكونُ ظرفَا

فأجابه :

كلفْتَني يابنَ الكــــرامِ و من غدا للمجد حِلفَا

شطَطاً لحملِ الخندريـ ـسِ إليكَ ممَّا كان ظرفَا

إني أُحـــرّمَ شُربَهَــــا فأرى بها حَرَجا ووكْفَا [1]

و نقل كذلك ابن رشيق في الأنموذج مكاتبات أدبية كثيرة منها لخدوج الرصفية[2] و شعراء آخرين كثر ، و لا تقتصر أهمية هذه المكاتبات في أشكالها و جمالياتها الأدبية فحسب بل لها كذلك أهمية نقدية و علمية كبيرة ، حيث أنها في الكثير من الأحيان تطلعنا على الحيز الزماني و المكاني والإطار الفكري الذي ورد فيه النص كما في الأمثلة السابقة ، كما تفيد المكاتبات كذلك في كثير من الأحيان ببعض القضايا النقدية مثل القصة التي أوردها ابن رشيق يقول : كتب إلي عبد الرزاق النحوي لما صنعت هذا الكتاب (يقصد الأنموذج) صحبة قصيدة أنفذها إلي لأثبتها :

يــــا مبرزا إبريز خير سبيكـــــة و مكلّلا إكليــــــل خير متوج

و مطرّزاحلل البلاغـــــة معجزا كل الورى ببراعــــــة الأنموذج

فكأنّه للسمع سحـــر علاقــــة في مهجة تخشى الصدود وترتجي

خصّصتَ أهل الغرب منه بمشرق لأقرّ من شمس النّهار و أبهــج

رجّحتَ بين ذوي الفصاحة منهم و فصلت بين مرتّب ومثّبِــــــج

و كشفتُ عن شعري لتلحقه به فاسترُ على خل لسترِك محُوج [3]

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 283 ، 284 .

2)- المصدر نفسه ص 123 ، 124 .

3)- المصدر نفسه ص 34 .

يفيد هذا النص الكثير من القضايا النقدية المهمة جدا ، حيث نجد فيه إخبارا صريحا بالمنهج الذي سلكه ابن رشيق في تأليف كتابه باعتماده الترجيح في ترتيب الأعلام ،كما أفادتنا بعنوان الكتاب الصحيح و هو الأنموذج ، كما أن الربط بين النص و صاحبه يؤكد لنا ما نذهب إليه من تأطير زماني لكتاب الأنموذج ، كما تفيد الأبيات كذلك التوجه الحقيقي للشعراء بالتفريق بين المشرق و المغرب تفريق أسلوب و منهج ، والشعور بالتقصير في التأليف خدمة للمغرب العربي و أدبه ، ومكاتبة عبد الرزاق النحوي لابن رشيق كذلك تطلعنا على الأهمية العلمية لشخص ابن رشيق ومؤلَّفه الأنموذج في ذلك العصر .

ومثال ما تفيده المكاتبات من قضايا نقدية كذلك ما ذكره ابن رشيق في ترجمة عمار بن علي بن جميل ، قال : كان قادرا على الشعر متوسط الطبع ، يحب حوشي الكلام و عويص اللغة يرى ذلك قوة و فصاحة و كان مرّ المذاق شرس الأخلاق يتشبه بمحمد بن عبد الملك الزيات في جميع أحواله ، كتب إليه محمد بن مغيث يعاتبه في تقعره و تكلفه و تخلفه :

لیتَ شعري إذا كتبتَ الدَنــــ ـدنَ و النوس و الوزى و الجِرَشَّى
ما يكونُ الجوابُ عنهنّ يا منْ نشَّ بحرَ العلومِ من فيــــهِ نشَّى[1]

فأجابه :

يا أبَا عبدَ الله قد كنتَ عندي يُرْتَجى علمُك الصحيحُ و يُخْشَى
و إذا ربعُــك المخيّلُ بالأنــ ـس من العلمِ قد غَدَا منهُ وحْشَا

أفادت هذه الترجمة أن حركة النقد في تلك الفترة كانت نشطة بشتى الطرق سواء النقد المباشر في المجالس و المنتديات أو غير المباشر بالتأليف و المكاتبات و غير ذلك ، حيث أن عمار بن علي لم يتوان في إنكار التكلف و التقعّر على محمد بن مغيث ، في موقف صريح منه في ميله نحو المطبوع والقديم من القول تعضيدا لحكم ابن رشيق فيه أنه قادر على الشعر ومتوسط الطبع كما سبق.

و على العموم تعتبر المكاتبة من خلال ما نستنتجه من كتاب الأنموذج مؤشرا على الحياة الأدبية النشيطة و الحركة النقدية الحاضرة و الحية ، من خلال النقاشات و المحاورات و مختلف المراسلات بين الشعراء و الأدباء ، و حجم المكاتبات يدل على حجم التواصل الأدبي و الفكري والتحاور النقدي الذي كان سائدا آنذاك .

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 305 ، 307 .

2 ـ التأديب :

التأديب في اللغة هو الضرب دون الحد أي التعزير(1) ، ثم توسع هذا اللفظ ليصبح مصطلحا يعني تربية الأولاد و تثقيفهم و تعليمهم شتى الفنون ، و أصبح التأديب في الدولة العربية الإسلامية حرفة يمتهنها أدباء و علماء متخصصين في تربية الأولاد خصوصا أبناء الخلفاء و السلاطين و نبلاء الناس و أشرافهم ، و يعتبر التأديب و انتشاره و توسعه مؤشرا على تطور الدولة و توجهها نحو العلم والمعرفة و عدم الاكتفاء بالفروسية و الشجاعة و الإقدام فقط لذلك فلقد عرفت دولة الإسلام خلفاء و سلاطين دهاة و بارعين و علماء مثل عبد الملك بن مروان في الدولة الأموية و المأمون في الدولة العباسية و المعز بن باديس في الدولة الصنهاجية و المهدي بن تومرت في الدولة الموحدية و غيرهم كثيرون .

من خلال كتاب الأنموذج يمكننا أخذ ملمح بسيط عن واقع التأديب في الدولة الصنهاجية وقت تأليف الكتاب حيث ذكر ابن رشيق في ترجمة بعض شعرائه أنهم احترفوا التأديب من بينهم ابن حربون الذي قال عنه : "مباحث دراس ، يعرف مستعمل اللغة و تركيب ألفاظ الشعر... أقام بمكة يتولى خدمة أبي الفرج و تأديب ولده" (2) ، و قال عن علي الناسخ : "شاعر مجيد يطلب البديع ويحب التصنيع و يحرص عليه ... حضرت معه المكتب في جملة غلمانه ... ثم ترك التأديب"(3) ، وغيرها من المواضع الأخرى التي أورد فيها ابن رشيق قضية التأديب التي تضعنا أما حركة أدبية مؤسسة و أصيلة و ليست طارئة أو مستوردة لأن هذه المظاهر العلمية تؤسِّسُ بفعل التراكم إلى فكر و عقلية خاصة ميّزت من دون شك الأدب و النقد المغربي خاصة في عصر الزيريين تحديدا .

---

1)- ابن منظور الأفريقي ، لسان العرب ، 561/4 .

2)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 104 ، 106 .

3)- المصدر نفسه ص 261 ، 263 .

3 ـ التكسّب بالشّعر :

تعتبر مسألة التكسب بالشعر من أهم المسائل الأدبية التي وظفها علماء الأدب في موازينهم النقدية مختلفين في نظرتهم إليها بالنظر إلى جانب رؤية كل واحد فيهم ، و نظرا لموقع الشاعر الإجتماعي و قربه من العامة و الخواص و السياسيين و غيرهم و باعتباره صاحب منبر معلى و يمكن اعتباره من أهم وسائل الإعلام و الدعاية في الوسط العربي القديم على الأقل، فلقد تباينت مواقف النقاد من التكسب بالشعر ، حيث نجد فريقا يرفضه و يعتبره تذللا و إراقة لماء الوجه و دافعا للتزلّف و الكذب و الانتحال وهذا الموقف مبني على دوافع خلقية و اجتماعية و نفسية ، و نجد في هذا الصدد موقف أبي عمرو بن العلاء من الأعشى الذي رأى أن "الشاعر وضعته الحاجة بالسؤال"(1)، و حث عبد الحميد الكاتب كذلك الكتاب على تجنب التكسب بالأدب فقال : "وارغبوا بأنفسكم عن المطامع ، سنيها ودنيها و مساوئ الأمور و محاقرها ، فإنها مفسدة للكتاب"(2) ، و يبدو أن الجاحظ كذلك يذهب هذا المذهب إذ يقول : "إن التربح و التكسب و الاستئكال بالخديعة والطعم الخبيثة فاشية غالبة و مستفيضة ظاهرة ... بل ما ظنك اليوم بالشعراء و الخطباء الذين إنما تعلموا المنطق لصناعة التكسب ... فاحذرهم و لا تنظر إلى بزة أحدهم فإن المسكين أقنع منه ، و لا تنظر إلى موكبه فإن السائل أعف منه" (3) ، و نقل الجاحظ كذلك في البيان و التبيّن عن أبي عمرو بن العلاء :"كان الشاعر في الجاهلية يقدّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر ... فلما كثر الشعر و الشعراء و اتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة و تسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ... "(4) .

---

1)- القرشي ، جمهرة أشعار العرب ،ص 55 ، و مقال : رائد عبد الرحيم ، ظاهرة التكسب بالشعر و تجلياتها في النقد العربي القديم ، مجلة جامعة الأزهر بغزة ، سلسلة العلوم الإنسانية 2010 ، مج 12 ، ع 01 ، ص 426.

2)- أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الفكر ، دمشق/سوريا، 119/1.

3)- عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى: 255هـ)، البخلاء ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ط2، 1419 هـ ص 228 .

4)- الجاحظ ، البيان و التبيّن ، 241/1 .

و ذهب فريق آخر إلى أنه ليس هناك بأسا إذا تكسب الشاعر برأيه ، بل إن التكسب حافز قوي على القول و الإبداع معتمدين في ذلك على نصوص و آثار دينية ، حيث أن النبي ﷺ حث شعراء الإسلام حسان بن ثابت وكعب بن مالك و عبد الله بن رواحة على الدفاع بشعرهم عن الإسلام و المسلمين ، و كافأهم مكافأة دنيوية[1] ، حيث بنى لحسان منبرا يقول عليه الشعر ، وكافأه حين طلب إلى قادة جيشه يوم فتح مكة أن يدخلوها من باب كداء ، الذي ذكره في همزيته ، إذ تنبأ بفتح مكة ، فيقول مخاطبا كفار قريش :

عُدِمْنَا خيلناَ إنْ لم ترَوْها   تُثيرُ النّقعَ موعدُهَا كداءُ

قال ابن رشيق : "أن الناس أمروا بالسير إلى كداء تفاؤلا بهذا البيت ليصح"[2] .

وروي كذلك عن عمر ابن الخطاب أنه كافأ الشعراء لقولهم مثل قصته مع الأعرابي [3].

و يبدو ابن رشيق من خلال كتابه العمدة من أولئك النقاد الذين يستقبحون التكسب بالشعر حيث أعلنها صراحة أن " العرب لا تتكسب بالشعر ، و إنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أومكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاما لها ..." [4] ، لكنه لا يبدو متشددا في موقفه و إنما اعتبر أن الأمر لا يعدو أن يكون حفاظا على قيمة الشعر ووقوفا عند حد المروءة فمتى لم يتذلل الشاعر بقوله و لم يسع للعطية و الوصل ، و متى ما كان المعطي سلطانا أو ملكا كبيرا كان الكسب مقبولا و لا يزري بصاحب الشعر [5]، و هو موقف متزّن و معقول ويزيد تأكده لما كبرت دولة العرب و المسلمين و صارا الأدب و الشعر علما يطلب تعلمه بالنسبة لأبناء الجاهة والسلاطين

---

1)- يحيى بن علي الشيبانيّ التبريزي (المتوفى: 502هـ)، شرح ديوان الحماسة ، دار القلم ، بيروت/لبنان ص 56 ، الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص 70، الحصري ، زهر الآداب، 62/1 ، أبو الفرج النهرواني (المتوفى: 390هـ) ، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، تح: عبد الكريم سامي الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان ، ط1 ، 1426 هـ/ 2005م،694 .

2)- ابن رشيق ، العمدة 67/1 .

3)- ينظر: النهرواني، الجليس الصالح ص 304 ، الأصفهاني ، الأغاني ، 189/2 ، الصفدي ، الوافي، 72/11 .

4)- ابن رشيق ، العمدة ، 80/1 .

5)- المصدر نفسه ، 82،83/1 .

فالأمر لا يختلف عنه كثيرا ، يضاف إليه أن هذا المعيار النقدي ليس فنيا بقدر ما هو أخلاقي خارج عن ماهية الأدب ، إذ أن المكتسب بشعره لا يسقط شعره بذلك و تكفينا الأمثلة السابقة دليلا على ذلك مثل الحطيئة و النابغة ، كما المنحة على الشعر قد تكون حافزا قويا على القول و الإجادة ، خاصة أن السلاطين و من كانوا يمنحون على القول لم يكونوا يمنحون لرديء الشعر و إنما جيده خاصة و أن بعضهم كان عالما بالشعر و صاحب حس له ، لذلك فالموقف المتزن من ابن رشيق في التعامل مع هذا المعيار يدل على استحضاره لهذه المعاني و المعطيات .

في كتاب الأنموذج يلاحظ أن أغلب من ألزمهم ابن رشيق هذه الملاحظة أشار إلى عدم تكسبهم بالشعر حتى صارت صفة غالبة على الشعراء الذين ترجم لهم ، في إشارة إلى أن شعراء المغرب أغلبهم لم يكن يتكسّب بشعره و هذا نجد له مبررا اجتماعيا و هو اشتغال الكثير منهم بالفقه و الدين الذي يعف أهله عن التكسّب بقولهم إضافة إلى اشتغالهم بأعمال أخرى ، كما يكون سببه كذلك أن الأمراء الصنهاجيين كانوا على دراية كبيرة بالأدب إضافة إلى درايتهم بالعلوم الدينية مع ما سبق من أن الدين ليس مانعا من العطايا على الشعر ، و من بين من ألزمهم ابن رشيق هذه الصفة نجد عبد الرحمن الذي قال عنه : "برز في الأدب و صناعة الشعر و علم الشرع ... و لم يكن متكسبّا بالشعر و لا طالبا ثوابا عليه" (1) ، و قال كذلك في عبد الله بن رشيق: " و كان عفيفا خيّرا مستحييا ، منقطع اللسان عن فضول الكلام ، كان له في الشعر حظ كبير إلا أنه لم يمدح لمثوبة " (2) ، و قال كذلك في ابن أسباط الكاتب: " كان عبد الله شاعرا حاذقا، مليح الكلام غريب القوافي ظريف المعاني قليل الشعر لا يتبذل به" (3) ، و قال كذلك في النعمان بن ميمون الخولاني :" شعره في أيدي الناس قليل لقلة مدحه و هجائه و انقطاعه إلى طلب الدنيا من غير باب الأدب" (4) ، و غيرهم الذين وصفهم ابن رشيق بهذه الصفة كثيرون في إشارة منه إلى أن هذه الصفة منقبة لهم و إضافة إلى إجادتهم الشعرية و صدقهم الأدبي ، و قد يكون ذلك ميلا من ابن رشيق نحو

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 141 ، 144 .

2)- المصدر نفسه ص 191 ، 192 .

3)- المصدر نفسه ص 194 .

4)- المصدر نفسه 421 ، 423 .

التأكيد على الرسالة الإنسانية السامية للشعر على حساب الصنعة الأدبية ، و لكنه مع ذلك أشار إلى أن البعض قبل العطية على شعره مثل : ابن قاضي ميله الذي قال فيه : "شاعر لسن مقتدر يؤثر الاستعارة ... صحب أباه إلى جزيرة صقيلية ، وكان مفخما حاذقا فعرف ثقة الدولة بسببه و اتصل لاتصاله به ... صنع فيه قصيدته الفائية و ما أعلم أحد في وزنها و رويها مثلها ، فأجزل صلته وقرب منزلته و ألحقه في أحدد دوانين الخاصة ، من هذه القصيدة :

و عاذلةٍ في بذْلِ ما مكلتْ يدِي　　لراجٍ رجـــــــــانِي دون صَحْـــبِ تعنِّفُ

تقولُ إذا أفنيتَ ما صنتَ مــدةً　　و أُحوِجتَ منْ يعطيكَهُ قلتُ يوسفُ [1]

و قال كذلك في حق نفسه : " و امتدح سيدنا خلّد الله دولته ، سنة سبع عشرة و أربعمائة بقصيدة ذكر فيها بناء ابتناه بمنزله بصبرة و هي منظرة جليلة أنيقة ، و لما تحقق مكانته من الأدب ومحله من قول الشعر قربه ، فامتدحه بقصيدة صار بها في جملته و نسب لأجلها إلى خدمته، و لزم ديوانه وأخذ الصلة منه و حمل على مركب يميز به[2] ، و لم يعب ابن رشيق في كتابه إلا ابن أبي العرب الخرقي الذي قال فيه : "قليل التصنع ، فخم الاستعارة ، كثير التبذل في المدح و بذلك يعيبونه" [3] ، وبهذه التعاليق الأخيرة يكون ابن رشيق قد سار على نفس المنهج و الفكر الذي أسسه في كتاب العمدة ، حيث أنه أبرز ميله إلى رفض التكسب بالشعر ـ رغم أنه كان شاعرا وتابعا للبلاط الصنهاجي ـ والتبذل به و عَذْرَ أولئك الشعراء الذين قبلوا العطية من غير تزلف إليها أوتبذل، و الحطّ من قدر الذين سعوا في طلبها ، لكن ترجمة من فعل ذلك في كتابه دليل على أنّ العبرة في النهاية لمدى قدرة الشاعر لا في مدى مروءته لأن العبرة بالأدب لا بقائله .

---

1)- ابن رشيق ، الأنموذج ص 209 ، 213 .

2)- المصدر نفسه ص 439 ، 440 .

3)- المصدر نفسه ص 245 .

في نهاية هذا المبحث نستنتج أنّ هناك مجموعة من الظواهر النقدية تعتبر ملازمة لكتب التراجم و الطبقات لطبيعة التأليف في هذه المصنفات التي تستدعي وصف الظواهر العلمية و الأدبية المختلفة التي تعتبر بدورها مؤشرا للحركة النقدية و عواملها و أسبابها ، و الحال نفسه نجده عند ابن رشيق في كتاب الأنموذج ، مثل المكاتبات التي يدل نشاطها على النشاط الفكري و الأدبي والنقدي، إضافة إلى ذلك فإن ابن رشيق في أنموذجه لم يستعمل مصطلحات نقد الشعراء بشكل عشوائي و إن كانت تبدو انطباعية أحيانا إلا أنها انطباعية العالم بالأدب و نقده التي لا تخرج عن قواعد الفن ، ومع ذلك فإن مؤشرات الصناعة ظاهرة في الأنموذج من خلال خارطة توزيع مصطلحات نقد الشعراء التي أفرزت لنا أربعة طبقات كما سبق ، كما أن توزيع هذه المصطلحات و تردّدها أوحى لنا بالمعايير الثابتة في النقد عند ابن رشيق من تلك المتغيرة ، و هذا كله وفق رؤية لا تتناقض مع ما في كتاب العمدة لابن رشيق .

خاتمة

في ختام هذا البحث نستطيع القول إن كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق القيرواني ، كتاب مهم جدا في عالم الأدب و النقد و أهميته لا تقل عن مكانة العمدة أوكتب أخرى ، بل إنه يتطلب في قراءته استحضار سياقات معرفية كثيرة من كتب النقد خاصة من كتاب العمدة الذي يعتبر مكتوبا وفق رؤيته ، و لكن مع ذلك فإن الأنموذج لم يحظ بالدراسة الكافية لظروف ضياعه و فقده ، و لكن النصوص المتاحة تمكننا من كشف بعض خبايا الفكر النقدي الذي يختزنه ، و على العموم يمكننا حصر نتائج هذا البحث فيما يلي :

- إن قيمة كتاب الأنموذج بصفته مصنّفا نقديا لا تقل عن قيمته بصفته مصنّف سير وتراجم أولا ثم كتاب أدب و منتخبات ثانيا ، و هذا لكثرة النصوص النقدية العامة والتطبيقية الواردة في ثنايا الكتاب ، و لمدى ظهور لمسة ابن رشيق في انتقائه و انتخابه للنصوص وترتيبها رغم أنه صرّح في ثنايا كتابه أنه يسوق الأمثلة من غير توجيه منهجي ، ثم للنصوص النقدية الكثيرة التي يستهل بها ترجماته و يذيل بها أمثلته كذلك ، مما يجعلنا لا نسلّم له بتبرؤه من الانتخاب و الانتقاء و الاختيار.

- في كتاب الأنموذج كذلك تظهر شخصية ابن رشيق القيرواني الناقد حقيقي الذي يتناول الأشخاص بموضوعية و النصوص بدقة و فنّية منطلقها و منتهاها الأول هو الأدب ، ويتناول الفنون و الآداب كذلك بأحكام منهجية تبدو عليها الانطباعية لكنها انطباعية العالم بالأدب و الناقد له مما يجعلنا أمام حتمية إبعاد ابن رشيق عن صف الجامعين للأدب و نصوصه من غير فحص أو تمحيص ، وهذا كله إلى جانب كونه شاعرا و منظرا في مجالي الأدب و النقد كما عرفناه من ديوانه وكتابيْ العمدة و قراضة الذهب .

- يتضح جليا من كتاب الأنموذج أن ما ساقه ابن رشيق في كتابه من أحكام ، نأى فيها بذوقه وعلمه عن الذاتية و التأثيرات السياسية أو الدينية أو غيرها في المجمل، بل يبدو أن أحكامه في معظمها مبنية على أسس علمية و موضوعية قائمة على القدرة الفنية

(الفحولة) فيما يخص الشعراء، والموضوعية العلمية في حدود الفن فيما يخص بقية الأحكام ، بما يؤسس لمنهج يؤدي إلى تحقيق جمالية و أدبية الأدب و أهدافه السامية النبيلة، بدليل أنه ترجم للكثير من الروافض الشيعة أو ممن يخالفونه الإيديولجيا الدينية أوحتى السياسية ممن هم ليسوا من البلاط الصنهاجي ثم إن طبيعة بعض النماذج التي ساقها ابن رشيق في كتابه بالنظر إلى معطيات المنطقة التي تحكمها العقلية الفقهية بالمقارنة مع عقلية الأدباء و الشعراء يوحي أن ابن رشيق نظر إلى الأدب كفنٍّ في معزل عن المضامين التي يوجهها الدين أو بعض القيم المعيّنة بما يخدم الأدب و الفن ولا يخرج عن حدود المعقول و المقبول و العرف الأدبي السائد آنذاك .

- كما يبدي ابن رشيق من خلال الأنموذج ميله الشديد في النقد إلى الجوانب الفنية والأسلوبية و البعد عن الجوانب الخارجة عن النص مثل الجوانب التاريخية .
- من خلال كتاب الأنموذج يتضح الارتباط الوثيق بين كتب ابن رشيق المختلفة رغم اختلافها في المنهج و أصل التأليف ، حيث أنه لا يوجد تعارض في المواقف و الآراء بين هذه الكتب بل نجد في الكثير من الأحيان تطبيقات وتعزيزات لآراء نظرية ، ساقها ابن رشيق في إحدى كتبه بأمثلة واقعية خاصة بين كتابي العمدة و القراضة من جهة وأنموذج الزمان من جهة ثانية ، ما يرجّح القول بأن كتاب الأنموذج كتاب تطبيق و كتابي العمدة و القراضة للتنظير ، ويرجح كذلك الرأي بأن ابن رشيق ألّف كل هذه الكتب في أزمنة متقاربة ومتداخلة.
- يقدم لنا ابن رشيق في أنموذجه منهجا للتأليف النقدي في مجال التراجم ، يشبه المعاجم النقدية للمتخصصين حيث إنه لم يوغل في تتبع الأغوار التاريخية للمترجم لهم بما لا يخدم المشتغل بالأدب بل جاء بالقدر الذي يشير إلى المكانة الأدبية و العلمية للعلَم ، و دلّل على ما يسوقه بشواهد شعرية ، عكست في كثير من الأحيان اختيار ابن رشيق وانتخابه، هذا النوع من التأليف الذي يحمل هدفا و منهجا قد يكون ابن رشيق أخذه من منهج التأليف لدى علماء الحديث النبوي لمّا ترجموا لرواة الآثار بالقدر الذي يظهر مقدرتهم في

نقل الأخبار بطريقة صحيحة، وهذا ليس بعيدا عن ابن رشيق بالنظر إلى البيئة التي نشأفيها .

- ابن رشيق من خلال الأنموذج يظهر بشكل واضح أنه ألفه وفق منهج ثابت و قسمه إلى طبقات وفق تصنيف منطقي قوامه القدرة الأدبية ، يسعى إلى تقرير أدبية اللغة أولا و هذا التصنيف حاولت حصره في أربع طبقات كما مرّ .
- كتاب الأنموذج كما هو بين أيدينا اليوم لا يترك لنا شكا في نسبته إلى ابن رشيق جملة أوتفصيلا ، و هذا لملاحظات و اعتبارات علمية كثيرة ، و عدم توافره على مقدمة تعريفية من المؤلف تشرح منهجه لا تقدح في النتائج التي نهدف الوصول إليها لأن منهج الباحث أصلا يروم جمع النصوص المتحدة في الموضوع وتحليلها مجتمعة بعد شرحها و ترتيبها ، ما يجعلنا أمام محاكمة للنصوص ومقارنتها بعضها إلى بعض لتأكيد مدى اشتراكها في الأصل المؤلف لها و أنها متحدة في مصدرها .

في النهاية مناي أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا البحث بما يخدم مكتبة النقد المغاربي التي تحتاج إلى الكثير من الجهود متضافرة ، قصد كشف المغطى من موروث هذه المنطقة الحيوية في جسد الفكر العربي ، فإن أصبت فلله الحمد و المنة و أن كان غير ذلك فحسبي أني بشر شأنه العثر لا يستطيع دفع الخطر .

كما لا يفوتني أن أجدد شكري لكل من أسهم و ساعد و أرشد لاتمام هذا البحث أخص بالذكر أستاذي و مشرفي الأستاذ الدكتور عبد الحميد هيمة فجزاه الله عني خير الجزاء.

و لله الحمد أوّلا و آخرا

فهارس

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	طرف الآية
53	البقرة	236	" عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ"
53	البقرة	286	" لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا .... "
41	النساء	143	"مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء"
138	النور	33	والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم'

فهرس الأحاديث و الآثار

الصفحة	الأحاديث و الآثار
103	'الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه ...."
103	'الشعر ميزان القوم ..."
103	'هل تروي من الشعر شيئا ... "
103	'إن من الشعر لحكما '
104	'اهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام ....."
104	'من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر'

فهرس الأشعار

الصفحة	القافية
	- أ-
68	فالليل ألبسنا الحداد و سرّنا و الصبح ألبسنا البياض و ساء
98	أو درة بيضاء بكر أطبقت حبلا على ياقوتة حمراء
100	يخفي الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير إناء
144	عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
	- ب-
43	عدمناك من بعد و إن زدتنا قربا على أنّ فيما بيننا سبسبا سهبا
54	فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في أكبادنا و التحوب

- القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع .

فهرس المصادر و المراجع

- **المصادر:**

- الحسن بن رشيق :

- أنموذج الزمان في شعراء القيروان ،تح: محمد العروسي المطوي و بشير البكوش ، الدار التونسية للنشر -تونس- و المؤسسة الوطنية للكتاب _الجزائر_1986م .

- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، دار الجيل ، ط5، 1401 هـ - 1981م، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد .

- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، تح : منيف موسى ، دار الفكر اللبناني ، بيروت .

- **المراجع :**

-أ-

- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس ، دار صادر – بيروت .

- ابن عذارى ، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، دار الثقافة، بيروت ، لبنان ، ط3، 1983م .

- إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: 453هـ) ، زهر الآداب وثمر الألباب ، دار الجيل، بيروت.

- ابن فرحون ، إبراهيم بن علي بن محمد المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار التراث، القاهرة ، مصر.

- أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، تهذيب محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تح: إحسان عباس ، ط1 ، 1970 م ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان .

- أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، التطفيل و حكايات الطفيليين و أخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم ، دار ابن حزم ، بيروت .

- أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الفكر ، دمشق/سوريا .
- أدونيس ، الثابت و المتحول بحث في الإتّباع و الإبداع عند العرب، دار العودة، بيروت/لبنان ، ط2 ، 1979 .
- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط 1 ، 2002 م .

-ب-

- بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، المكتبة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981م .

- بدوي طبانه ، السرقات الأدبية ، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، دار الثقافة ، بيروت، 1986م .

-ج-

- جهاد المجالي، طبقات الشعراء ، دار الجيل ، بيروت/لبنان، مكتبة الرائد العلمية ، عمان/الأردن ط1، 1992م .

-ح-

- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى: 370 هـ) ، الموازنة بين الطائيين (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) ، دار المعارف ط4، مكتبة الخانجي ط1، 1994 م .
- الحسن أبو هلال بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، الصناعتين ، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت، 1419 هـ .
- حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، دار الأندلس، بيروت/لبنان ، ط2، 1983م.
- حاجي خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ، مكتبة المثنى ، بيروت ، لبنان .

- حسن حسني عبد الوهاب :

- كتاب العمر في المصنفات و المؤلفين التونسيين ، مراجعة و إكمال : محمد العروسي المطوي وبشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1، 2005م .

- بساط العقيق في حضارة القيروان و شاعرها ابن رشيق ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون ـ بيت الحكمة ـ ط3 ، 2009م .

-خ-

- ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك ، الصلة ، دار الكتاب المصري ،القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، تح: إبراهيم الأبياري ، ط1، 1989م .

-س-

- سليمان الجمل ، حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- سعيد سليم، التناص التراثي، الرواية الجزائرية نموذجا، عالم الكتاب الحديث، اربد/الأردن ،ط1، 2010م .

-ش-

- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة .

- شوقي ضيف، النقد ، دار المعارف ،القاهرة ، ط5 .

-ض-

- ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، دار الرفاعي ، الرياض، ط2،1983م .

-ع-

- عبد الرحمن بن خلدون ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(المعروف بتاريخ ابن خلدون) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2001م .

- أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي ، تحفة القادم ، تح: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ط1، 1986م .

- علي بن ظافر الأزدي المصري (المتوفى: 613هـ)، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، تح: دكتور محمد زغلول سلام، دكتور مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعارف، القاهرة.

- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ):

- البيان و التبيّن ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، 1423 هـ .

- الحيوان ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1424هـ .

- البخلاء ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ط2، 1419 هـ .

- عبد الكريم النهشلي :

- ط1 : الممتع في صناعة الشعر، دار المعارف ، الإسكندرية .
- ط2: اختيار الممتع ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس 1978م .

- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، الشعر والشعراء ، دار الحديث، القاهرة ، 1423 هـ .

- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1995م ، تح: د.محمد التنجي .

- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ):

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1، 1418هـ 1998م .

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض ، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف .

- عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: 466هـ) ، سر الفصاحة دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1402هـ_1982م .

- عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: 296هـ)، البديع في البديع ، دار الجيل ، ط1 ، 1410هـ - 1990م .

- الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (المتوفى: 216هـ) ، فحولة الشعراء ، تح: ق ش. تورّي ، دار الكتاب الجديد، بيروت/لبنان ، ط2، 1400 هـ - 1980 م .

- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ط:1 ، 1981م .

- أبو الحسن علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني (المتوفى: 392هـ) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .

- عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر العالمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1978م .

- أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، الأغاني، دار الفكر، بيروت/لبنان ، ط2، تح: سمير جابر.

- عبد العزيز قلقيله ، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2، 1988م .

- عبد العزيز جسوس ، نقد الشعر في الطور الشفوي ، مطبعة تينمل ، مراكش ، المغرب ، 1995م.

- عبد الفتاح كيليطو ، الكتابة و التناسخ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء -المغرب- ط1 ، 1985م ، تر: عبد السلام بنعبد العالي .

- عبد الرحمن ياغي ، قيروان ابن رشيق ، دار الفارابي ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 1999 م .

-م-

- محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ط1.

- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط8، 1426 هـ - 2005 م

- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (المتوفى:322هـ)، عيار الشعر ، تح : عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1411هـ – 1990م ، تح: مصطفى عبد القادر عطا .

- محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، دار المدني/جدة ، تح: محمود محمد شاكر.

- محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، جمهرة أشعار العرب ، تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 .

- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، إعجاز القرآن ، دار المعارف ، القاهرة/مصر .

- محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان ، ط1، 1419 هـ ، 1998 م.

- محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، الفهرست ، مطبعة دانشكاه ، طهران/إيران.

- محمد بن يحى الصولي (المتوفى: 335هـ) ، أدب الكتّاب، : المطبعة السلفية - بمصر، 1431هـ .

- أبو عبيد الله محمد بن عمران ، المرزباني ، الموشح (مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر) تح: محمد علي البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة،1965م .

- أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيي الجريرى النهرواني (المتوفى: 390هـ) ، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، تح: عبد الكريم سامي الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان ، ط1، 1426 هـ/ 2005 م .

- ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1993م ، ط1 ، تح: محمد نعيم العرقسوسي .

- مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ)، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي .

- محمد مرتاض ، النقد الأدبي في المغرب الإسلامي ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2000م .

- محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، نهضة مصر للطباعة .

- محمد غنيني هلال ، النقد الأدبي الحديث نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، 2001م .

-ن-

- نجوى صابر، النقد الأخلاقي ، أصوله و تطبيقاته ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1990م .

- نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث ، دار الفكر ، سورية ، دمشق ، ط3 ، 1988 .

-ي-

- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، معجم البلدان ، دار الفكر – بيروت .

- يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: 502هـ)، شرح ديوان الحماسة ، دار القلم ، بيروت/لبنان .

الرسائل و المذكرات الجامعية :

- بوديسة بولنوار ، الخطاب الشعري المغربي من خلال كتاب أنموذج لزمان في شعراء القيروان ، مذكرة ماجستير مخطوطة ، جامعة باتنة ، الجزائر ، موسم 2009/2008م .

- الشيخ بوقربة ، المنهج النقدي عند ابن رشيق القيرواني ، مذكرة ماجستير مخطوطة ، جامعة دمشق، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، 1987.

- فتيحة ربيع ، منهج ابن رشيق في النقد التطبيقي في شرح الشعر ، أنموذج الزمان في شعراء القيروان نموذجا ، مذكرة ماجستير مخطوطة ، جامعة وهران ، الجزائر ، موسم 2006م/2007 .

المجلات و الدوريات :

- مجلة جامعة الأزهر بغزة ، سلسلة العلوم الإنسانية 2010 ، مج 12 ، ع 01 .
- مجلة الفضاء المغاربي ، مخبر الدرسات الأدبية و النقدية و أعلامها في المغرب العربي ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، العدد02، أفريل 2004م/ صفر 1425هـ .
- مجلة مقاليد ، مخبر النقد و مصطلحاته ، جامعة ورقلة ، العدد 03، ديسمبر 2012م

فهرس الموضوعات